الجمهوريـــــــــــة الجزائريـــــــــة الديمقراطيـــــــة الشعبيـــــة

وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلمـــي

جامعـــة الجيلالي اليابس سيدي بلعبـــاس

كلية العلوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة

قســـم الإنسانيـــة

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم تخصص التاريخ الحديث والمعاصر

الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني

1830-1518

من خلال كتب الرحالة والجواسيس ورجال الدين الكتابات الفرنسية و الإسبانية نموذجا

أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. محمد مكحلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د حنيفي هلايلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د. نورالدين عسال	أستاذ محاضر أ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. بن عمر حمدادو	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د. بحري أحمد	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د. طاعة سعد	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر	عضوا مناقشا

من إعداد الطالب: **حمدون بن عتو**

تحت إشراف الأستاذ الدكتور: **حنيفي هلايلـي**

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2016-2017م

بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَـٰنِ اِلرَّحِيمِ

إهـــداء

أهدي عملي إلى:
والدي.
أطال الله في عمرهما.

إلى والدي الذي حرص على تعليمي وتعب من أجلي.
إلى كل من كان عون لي في إخراج هذه الرسالة.

إلى زوجتي وأبنائي كل بإسمه.

أهدي لهم هذه الرسالة التي اسأل الله أن يجعلها في
ميزان حسناتهم.

المختصرات

مختصرات البحث باللغة الأجنبية:

B.G.H.D	: Bulletin de géographie historique et descriptive, Paris.
B.S.G.A.O	: Bulletin de la société de géographie et d'Archéologie d'Oran.
C.T.	: Cahiers de Tunisie.
I.H	: Information historique, Paris.
P.U.F	: Presses universitaires de France, Paris.
R.A	: Revue Africaine, Alger.
R.H	: Revue historique, Paris.
R.H.C.M	: Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, Alger.
R.H.M	: Revue d'histoire Maghrébine, Tunis.
R.H.M.C	: Revue d'histoire moderne et contemporaine, Paris.
R.H.A.O	: Revue d'histoire Arabe des études ottomanes, Tunis.
R.O.M.M	: Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée, Aix-en- Provence.

مختصرات البحث باللغة العربية:

خط همايون:	وثائق الأرشيف العثماني
م.ج.ع:	مجموعة الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني :المكتبة الوطنية بالجزائر.

مقدمة

هذه الأطروحة ترتكز على إبراز الأنشطة الدعائية التي كان يقوم بها الأوروبيون المقيمون في الجزائر و على رأسهم رجال الدين و المبعوثين الدبلوماسيين و إبراز كتاباتهم حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.و أبرز أليات النشاط الدعائي و أهدافه سجلته مذكراتهم و تقاريرهم العدائية ضد الجزائر و أمتها، و تتمحور في النقاط التالية:

- تصوير حياة و معاناة الأسرى الأوروبيين في الجزائر ، مع نسيان أسرانا في الجهة الأخرى.
- أسباب اعتناق الأسرى الأوروبيين للإسلام بمدينة الجزائر.
- الطعن في معتقدات الأمة الجزائرية و السخرية من الشعائر الإسلامية.
- تصوير الجزائر على أساس أنها وكر للقرصنة و أمة متخلفة.

يعتبر القرن السادس عشر بالنسبة للتاريخ المغاربي، قرنا محوريا إذ شهد تحولا كبيرا جدا على جميع المستويات، و إذ عرف بقرن المجابهات الحربية بين مختلف الأطراف، فهو و لا شك قرن التحولات الضخمة في الأنظمة السياسية و الاتصالات المباشرة و البعثات التي حصلت بين أطرافه عبر البحر الأبيض المتوسط، و هو أيضا قرن التحالفات الظرفية و المنافع العاجلة[1].

و بالإضافة إلى ذلك فهو قرن يستحيل معه فصل السياسة عن الدين و على الأخص ما كان متعلقا منه بملف الصراع الإسباني- العثماني، حيث وجب أن لا يغيب عنا أن الدين قد أثر على فكر و سلوك الإنسان خلال القرن السادس عشر سواء أكان عثمانيا أو إسبانيا أو أوروبيا، و تلك هي الحقيقة التي تشرح لنا طبيعة الأحداث و الصراعات السياسية و العسكرية بالبحر الأبيض المتوسط الغربي. و عليه فإن منتصف القرن السادس عشر، قد تميز ببروز **درغوث رايس** و **علج علي** و **اندري دوريا**، الذين يعتبرون شخصيات محورية و هي شخصيات طبعت

[1] إن البحوث و التأليف عن القرن السادس عشر المتوسطي ضئيلة نسبيا. و هذا بدءا برسالة بروديل ثم عديد المقالات المنشورة بـــ Revue Africaine و المجلة التاريخية المغاربية و كراسات تونس و غيرها من المجلات.

أحداث المغرب العربي بما لها من عبقرية أهلّها لتبني خطط واضحة و مدروسة لتحركها السياسي و العسكري[2].

يعد بداية القرن السادس عشر بروز لتهديد صريح متمثل في الخطر الأوربي الذي حل على دول المغرب العربي عامة والجزائر خاصة هذه الأخيرة التي وجدت في الدولة العثمانية خير حليف لحمايتها من هذا الخطر المحدق فقد أغرى الدول الأوربية وفي مقدمتها فرنسا تربع الجزائر على عرش البحر المتوسط الذي هو همزة وصل بين الشرق والغرب فبدأت حمى التسابق في الحصول على المستعمرات، كل دولة حسب مطامعها ومصالحها فكان التوجه الفرنسي نحو الجزائر وجعلت منها حلما يجب أن تحققه وتحصل عليها بأي ثمن وقد زادت هذه الأطماع خاصة بعد حصول فرنسا على امتيازات صيد المرجان خلال الفترة العثمانية ولتكريس هذه الأطماع وتجسيدها على أرض الواقع وضعت جملة من المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر، وقد كانت بداية طرح أول مشروع فرنسي في عهد لويس الرابع عشر ثم بدأت تعرف المشاريع تطورا وتعددا فكثرت في عهد نابليون بونابرت وقد كانت جل تلك المشاريع التي ميزت عهده أساسها وقاعدتها هو مشروع بوتان و تواصلت هذه المشاريع في عهد شارل العاشر وتنوعت وقد عرفت مشاركة حاكم مصر محمد علي ودخوله في خضم هذه المشاريع الفرنسية بمشروع عرف باسمه وقد كان مصيره كباقي المشاريع إذ بقى حبر على ورق ،وقد كانت هذه المشاريع لهدف واحد وهو احتلال الجزائر وقد تعددت الأسباب التي ساقتها فرنسا لتبرير غزوها سنة 1830م فتراوحت هذه الذرائع بين حماية شرف فرنسا الذي أهين من قبل الداي والقضاء على حركة الجهاد البحري التي كانت تتزعمها الجزائر في حوض المتوسط مع محاولة فرنسا إبراز قدراتها وطاقاتها لغرض خدمة المسيحية أمام الدول الأوروبية.

إن عثمنة المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، قد وردت مبدئيا في إطار مبادرات شخصية، فوصول الأخوين بربروسة إلى السواحل الإفريقية كان وراء عثمنة

[2] عبد الجليل التميمي "التشكل الإداري و الجغراسياسي للأيالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب (1557-1588م).في كتاب تحية تقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو (جمع و تقديم: عبد الجليل التميمي)، زغوان: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، ج2، أكتوبر- نوفمبر ،1997م، ص452.

الفضاءات المغاربية، بدءاً بالجزائر ثم طرابلس الغرب و أخيرا تونس كانت البانوراما السياسية للمغرب الأوسط تتأرجح بين الضعف السياسي و التجزئة الإدارية و القبلية و يرجع الفضل إلى **عروج** و **خير الدين** اللذين نجحا تماما، على إثر مجابهتهما مع النظام الاجتماعي و القبلي السابق في أن يضعا حدا لتلك الانتهاكات و لثورات القبائل، و أن يتمكنا فيما بعد، من إرساء استراتيجية و تحالف بين العثمانيين و شيوخ الطرق الدينية ضد العدو المشترك؛ إن النجاح الذي تحقق، قد أدى حتما إلى تبني تصور سياسي مستقبلي، يقضي بربط الجزائر بالدولة العثمانية، و هو الارتباط الذي رغب فيه بل وطالب به عن طواعية أهالي الجزائر الذين كانت تقضي مضاجعهم الضربات و الهجومات الإسبانية ضدهم.

دوافع اختيار البحث:

يعود اختياري للموضوع إلى الرغبة في إزالة الغموض الذي يشوب تلك المشاريع التي شكلتها فرنسا لتطيح بالجزائر عام 1830م و لأن هذه المشاريع بقيت الستار الواقي للأطماع الفرنسية كما كشفت بشاعة الاستعمار الذي تعرضت له الجزائر. مع إبراز دور الكتابات الأوروبية في تشويه صورة الجزائر السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية خلال العهد العثماني.

لقد تكالبت الدول الأوروبية ضد الجزائر وبخاصة في الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وقادت حملات عسكرية ضخمة، كما عملت الكنيسة على مباركة هذه الحملات في إطار تجدد النزعة الصليبية، وبفضل فعالية التنظيم الدبلوماسي لإيالة الجزائر تمكنت من إبرام عدّة اتفاقيات ومعاهدات مع الدول الأوروبية عامّة وفرنسا خاصة.

إنّ الفترة العثمانية لم تلق العناية الكفاية من الباحثين الجزائريين، فبقي الجانب الدبلوماسي مرتبطا برؤية الطرف الفرنسي المعادي للجزائر، الذي كان الغرض الأساسي منها الوصول بالقارئ إلى فكرة مردها أنّ الفترة العثمانية ليس فيها ما يكسب الجزائر شخصية وطنية وكيانا سياسيا، ونظاما اقتصاديا، وأطرا دفاعية، فالكتاب الأوروبيون وغيرهم يركزون فقط، على ما وصفوه بالقرصنة وتجارة الرقيق.

لقد حصرت فترة هذا البحث خلال مراحل التواجد العثماني بالجزائر، لما تميزت به من أحداث مهمة وما عرفته من تغيرات طرأت على أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وتتحكم في هذا الإطار التاريخي عوامل منهجية منها ما تناولته وثائق الأرشيفات والمذكرات والتقارير، خاصة بعد اختلال التوازن لفائدة أوروبا على حساب الجزائر بعد ضعف الأسطول الجزائري، وانهيار النظام الدفاعي، والتحالف الأوروبي ضد الجزائر، والتطورات السياسية التي عرفتها فرنسا، كلّها عوامل أضرت باقتصاد الإيالة وأجبرتها على الانسحاب من ميدان التجارة الخارجية التي أصبحت مقاليدها بيد فئة يهود الجزائر الذين سخروها لمصالحهم الذاتية، ومهدت لفشل الدبلوماسية الجزائرية ونجاح المشاريع الفرنسية في احتلال الجزائر.

لقد تكالبت الدول الأوروبية ضد الجزائر وبخاصة في الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وقادت حملات عسكرية ضخمة، كما عملت الكنيسة على مباركة هذه الحملات في إطار تجدد النزعة الصليبية، وبفضل فعالية التنظيم الدبلوماسي لإيالة الجزائر تمكنت من إبرام عدّة اتفاقيات ومعاهدات مع الدول الأوروبية عامّة وفرنسا خاصة.

تتمثل إشكالية الموضوع أساسا في الكشف عن مكامن القوّة والضعف في الدبلوماسية الجزائرية العثمانية، وتوضيح المشاريع الاستعمارية في الدبلوماسية الفرنسية، والبحث عن أسباب تدهور الدبلوماسية الجزائرية ونجاح الحملة الفرنسية، وبالتالي فإنّ هذا البحث يهدف إلى إبراز ملامح طبيعة وواقع تطور العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال العهد العثماني (1518-1830م) من خلال ملاحظات وشهادات الرحالة الأجانب الذين

و من خلال دوافع اختيار هذه الدراسة يتضح جليا الأهداف المراد الوصول إليها :

- كشف الستار على حقيقة المشاريع الإسبانية والفرنسية و ما حمل كل مشروع بين طياته، وهذا من خلال الكتابات التي أعدها الجواسيس و القناصل و رجال الدين و الرحالة.
- كذلك التعرف على الشخصيات التي كانت على رأس كل هذه المشاريع .
- تتبع مسار فكرة احتلال الجزائر التي بدأت تتطور مع مرور الزمن إلى أن انتهت بالحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م.

الإشكالية :

إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه المشاريع التي تبنتها اسبانيا في احتلال المرسى الكبير و وهران و تعاملها مع سكان بايليك الغرب ما بين 1505-1792 . ما هي المشاريع الفرنسية التي سبقت احتلال الجزائر سنة 1830؟

1- ما طبيعة الشخصيات التي أنجزت المشاريع الفرنسية؟

2- كيف ساهمت هذه المشاريع الفرنسية في احتلال الجزائر؟

3- ما هي طبيعة كتب الرحلات و الجواسيس و رجال الدين الفرنسية و الإسبانية ؟ وما هي أهدافها؟ وما هي أهمية المعلومات التي توفرها في مجال تطور العلاقات بين الجزائر من جهة و اسبانيا و فرنسا من جهة ثانية لفرنسية؟

4- هل يمكن تثمين الكتابات الفرنسية و الإسبانية في إعطاء صورة الجزائر السياسية و الاقتصادية و العسكرية خلال العهد العثمانية و مقارنتها بالمصادر المحلية من مخطوطات و ووثائق عثمانية.؟ و إلى أي مدى يمكن الاستفادة منها في الكتابات التاريخية؟.

5-فيما تتمثل أهمية ربط الموضوع بمذكرات القنصل الفرنسي "شارل فيليب فالبير و مايفريد"؟

وفي حدود هذه الإشكالية وتساؤلاتها، فإنّ هذا البحث سيرسم ملامح الحياة السياسية والعلاقات الخارجية للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي في ظل الخلافة العثمانية، و هذا من خلال الكتابات الفرنسية و الإسبانية.

نقد المصادر و الدراسات السابقة :

لقد اعتمدت هذه الدراسة على كتب الرحلات سواء كانوا تجارا أو قناصل أو أسرى. من بين هؤلاء الرحالة **Peyssonnel قام بزيارة للجزائر** بتكليف من أكاديمية العلوم زار الشرق الجزائري بين سنتي (1734-1735م) وقدم عملا هاما عن الجزائر، تضمن معلومات جغرافية وطبيعية واجتماعية قيّمة.

- ✓ رحلة العالم الفرنسي " **فانتير دي بارادي**" إلى الجزائر سنة 1789م وقدم عملا قيّما بعنوان:"Venture de Paradis, Alger au 18e siècle".
- ✓ رحلة مجموعة من رجال الدين أشهرهم الإسباني "**فرنتيسكو خيمينيت**" من الآباء البيض زار وهران بين (1717-1720م) دون معلوماته في ثلاثة مجلدات تتضمن معلومات هامّة عن ظروف الأسرى خاصة.

وتتفرد رحلة القنصل الفرنسي " **شال فيليب فالبير**" إلى الجزائر كقنصل فرنسا بين (1791-1792م) بأهمية قصوى بالنظر للتحوّل الكبير الذي عرفته العلاقات الجزائرية الفرنسية في عهده، وبفضل التقارير المطولة والأساسية التي دونها، لهذا اتخذته الدراسة نموذجا للكشف عن النوايا الحقيقية لفرنسا في الجزائر. و يمكن التركيز على معلومات القنصل الفرنسي "**شارل فيليب فالبير**" من خلال مقارنتها بالوثائق العثمانية المحفوظة في المركز الوطني للأرشيف، وهي عبارة عن رسائل كان يتبادلها حكام الجزائر مع فرنسا حتى سنة 1803م عندما قرر الإمبراطور الفرنسي "**نابليون بونابرت**" توقيفها، بالإضافة إلى التقارير التي كان يرسلها القناصل، كما كان من الضروري الاستعانة بالوثائق الموجودة في المكتبة الوطنية- قسم المخطوطات- مع تحليلها ونقدها، وهذه الوثائق عبارة عن مجموعة من مراسلات وتقارير أعدّها حكام الجزائر إلى الباب العالي.

لم تكن صورة الجزائر في القرن الثامن عشر واضحة جدا، بفعل أن المصادر العربية والعثمانية كانت قليلة الأهمية في نظر الأوروبيين. ولكن أغلب ملامح هذه الصورة الكاملة لبلاد الجزائر رسمها الأوروبيون، سواء الرحالة منهم أو القناصل أو الأسرى .كما كانت الرحلات الاستطلاعية الأوروبية إلى الجزائر منذ بداية الوجود العثماني فيها السبق في ذلك، إذ سبق لنيكولاي ''Nikolay'' أن زار الجزائر عام 1551 وهو من الجغرافيين .وكان من أفراد حاشية الملك هنري الثاني، حيث قدم وصفا لمدينة الجزائر وبجاية وعنابة وهو في طريقه إلى اسطنبول. وبتكليف من أكاديمية العلوم زار جان أندري بايصونال الشرق الجزائري خلال عامي 1724 و1725، وقدم عملا هاما عن الجزائر، تضمن معلومات جغرافية وطبيعية واجتماعية قيمة.

و بخصوص لويس مارمول كربخال(Marmol Carvajal)(1520-1600)فإنه عسكري ومؤرخ إسباني عاش سنوات عديدة بين الموريسكيين الذين اُحتُجِزوا في غرناطة بعد استردادها من المسلمين، كما عاش في الجزائر برهة من الزمن إذ وقع أسيرا في الجزائر مدة ثمان سنوات. و رافق جيش شارل الخامس سنة 1541 عندما حاول احتلال مدينة الجزائر.

ترك مرمول كتاب مهما عن شمال إفريقيا عامة و الجزائر خاصة موسوم بـــ وصف عام لإفريقيا طبع لأول مرة سنة 1600 بغرناطة.

أما الأب دان المتوفى سنة 1637(P.Pierre Dan) الذي كلفته الكنيسة الفرنسية بافتداء الأسرى الفرنسيين بالجزائر حيث وصل في 12 جويلية سنة 1634 و تمكن من افتداء 42 أسيرا ساقهم إلى فرنسا في شهر مارس سنة 1635 . في كتابه حول تاريخ بلاد البرابرة (الجزائر)، الذي طبع بباريس سنة 1637 تحدث بإسهاب عن أتراك الجزائر و الإسلام و المسيحية بالجزائر و أمال الجهاد البحري(القرصنة في مفهومها الخاص). و معاملة الجزائريين للأسرى الأوروبيين و أوضاعهم المأساوية .

أما **فرنثيسكو خيمينيث** (مولود عام 1685) وهو من الآباء البيض الإسبان الترينيتاردين ل زار وهران بعد أن استرجعتها إسبانيا عام1732 في إطار الاحتلال الثاني [1]

قدم ملاحظات هامة عن الجزائر ووهران خلال رحلته إليهما التي دامت من عام 1717 إلى عام 1720، حيث دون أعماله في سبعة مجلدات، خصص ثلاثة منها لهذه الرحلة. والأربعة الأخرى خصصها لتونس. عرض فيها معلومات نادرة عن ظروف الأسرى المسلمين في إسبانيا. وقد تحادث مع الباي مصطفى بوشلاغم في هذا الموضوع. وسعى لبناء مستشفى في وهران، ولكن الباي رفض هذا الطلب. و لم يمنعه هذا الرفض من تقديم معلومات كثيرة، منها ما تعلق برغبة هذا الباي في دفع بعض الأسرى إلى اعتناق الإسلام، بل أن الباي حاول أن يجعل أحدهم خزندارا. وهو الأمر الذي تكرر مع الباي محمد الكبير حين أسند مهام وظيفة الخزندارا إلى تيدنا.

وبالمقابل فإن أعمال **فانتور دي بارادي** (Venture de Paradis)بالنسبة لتاريخ الجزائر العثمانية تعد ذات قيمة عالية، وقد نشرت في المجلة الإفريقية، إذ زار العالم فانتور دي بارادي الجزائر عام 1789 وقدم عملا بعنوان notes sur Alger :تضمن معلومات قيمة عن هذا البلد، من بينها ما يتعلق بالجزائر العاصمة التي قال عنها أن بها 16000 بستان، وبها 5000 مسكن بما فيها 180 مسكن لليهود وقدر عدد سكانها ما بين 25 إلى 30 ألف نسمة، وقال أن العدد قد يصل إلى 50 ألف ساكن بالنظر إلى عدد النساء اللواتي لا يخرجن من البيوت (6000 كراغلة، و300 تركي، و7000 يهودي و2000 أسير و32000 من العرب)

[1] استولت إسبانيا على المرسى الكبير سنة 1505ووهران عام 1509. ثم حررها الجزائريون عام 1708 ثم عادت للاحتلال مرة ثانية عام 1732 وهذا في عهد الباي مصطفى بوشلاغم. وأخيرا استرجعها الباي محمد الكبير نهائيا عام 1792 .

ومهما يكن فهذا العمل يعد من المصادر الأساس لخدمة تاريخ الفترة العثمانية في الجزائر .

مثلما هي أعمال **هايدو**(F. Diego de Haedo) ذات القيمة العلمية الراقية، إذ قدمها باللغة الإسبانية تحت رعاية الدينية الكاثوليكية عام1608وترجمت إلى الفرنسية بعنوان :

(Topographie et Histoire générale d'Alger)وتناولت خمسة محاور.

المحور الأول حول طبوغرافية الجزائر (Topographie d'Alger) والثاني تناول حكام الجزائر "ملوك الجزائر (l'épitomés des rois d'Alger) "والثالث حول الأسر (la captivité) والرابع حول الشهداء والخامس حول المرابطيين .وقد تبنى واعتمد المجلس الاعلى الديني الكاثوليكي لمملكة سيسيليا هذا العمل، ووافقق على طبعه ونشره الملك نفسه عام 1610، ولكنه نشر عام 1612، ومن غير المستبعد أن تكون الموافقة جاءت بعد حذف أو تعديل أو زيادة بعض المعلومات التي كانت تمس ما يتعلق بالمسحيين .

كان الرحالة الآخرون علماء متخصصين في شتى العلو الطبيعية و التاريخ و الجغرافيا و العقائد. من بينهم ديسفونتان . يعتبر عمل **ديسفونتان** وثيقة هامة لمعرفة أنواع النبات والمناجم في الغرب الجزائري، فهي ذات أهمية خاصة لما تضاف إلى أدب الرحلات وتقارن بما قدمه تيدنا، ومن غير المستبعد أن تكون سلطة الاحتلال الفرنسي قد استفادت من هذه المعلومات ووظفتها في استغلالها للموارد الطبيعية في الجزائر .

أما القس **بوراي** فقد قدم عملا هو الآخر عن زيارته إلى الناحية الشرقية من بلاد الجزائر، ولكنه أضفى على كلامه إسهابا دينيا مسحيا، من خلال هذه الرحلات والكتابات عرفنا سر اهتمام الأوربيين بالجزائر، منها قضايا تمس المجتمع الجزائري آنذاك، و عدد السكان وعدد الأسرى المسيحيين واللهجات السائدة آنذاك في الجزائر العاصمة، وهي العربية والتركية والإسبانية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية والهولندية و لغة فرنكا لغة رجال البحر في المتوسط خلال الفترة العثماني.، وقدم من جهته **لوجيي دي طاسي** (Laugier de Tassy)دراسة قيمة عن الجزائر نشرت عام 1725.، سجل أنماط النظام السياسي في الجزائر و القدرات الاقتصادية و العسكرية و النظم الاجتماعية السائدة أنذاك.

ومن أجل الاستفادة العلمية من مذكرات هؤلاء الرحالة، كان لابد من الاستعانة بمجموعة الوثائق الأرشيفية فاستفدت من وثائق مجموعة الوثائق الوطنية المحفوظة في المكتبة الوطنية.

ووثيقة بالأرشيف الإسباني بمدريد، إلى جانب مجموعة من المصادر كان في مقدمتها " **حمدان خوجة**" في دراسته القيمة: "**المرآة** ، يضاف إلى الاستنارة بالحقائق الموثقة التي تضمنتها مجموعة من المراجع المتخصصة في مقدمتها الدراسات الأكاديمية للمؤرخ الجزائري "**جمال قنان**" في كتابيه:

- العلاقات الفرنسية الجزائرية بين (1790-1830) الذي استقى أهمّ معلوماته من تقارير القناصل المعتمدين في الجزائر، والمحفوظات الوطنية بباريس والمحفوظات الحربية الفرنسية في فانسان، والمحفوظات الخارجية من مراسلات قنصلية وتجارية بباريس.
- معاهدات الجزائر مع فرنسا (1518-1830م)، الذي أرخ فيه كرونولوجيا تطور معاهدات التي رسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية.

كما اعتمدت على الدراسة الأكاديمية الموثقة بتفوق للأستاذة القديرة المرحومة " **عائشة غطاس**" في رسالة الماجستير بعنوان: العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن السابع عشر، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 1984م-1985م

وساهمت دراسات الأستاذ المشرف كثيرا في توثيق هذه المذكرة من خلال الاعتماد على كتبه التالية:حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815-1830م)، دار الهدى، الجزائر، 2007م.

- أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008م.
- أطروحة الدكتوراه حول النظام الحربي للجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، جامهعة سيدي بلعباس، 2004.

لقد حاولت منذ البداية أن أتوصل إلى هدفين أساسيين قام عليهما البحث أولهما إبراز الدور الرئيسي الذي لعبته الدبلوماسية في تاريخ الجزائر العثمانية، وثانيهما إجلاء الصورة السياسية للمنطقة موضوع الدراسة تاريخيا وسياسيا وعسكريا مع الإشارة إلى أسباب نجاح الحملة الفرنسية عام 1830م.

اعتمدت في استغلال هذا الزخم الوثائقي والمعرفي، وتوظيف معلوماتها في الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي القائم على مقابلة الوثائق والنصوص والتحليل توطئة لاستنباط الحقائق، ومستعينا بعدد كبير من المصادر العربية والأجنبية والدراسات الحديثة التي تعرضت للموضوع من قريب أو بعيد.

صعوبات البحث:

دراسة المشاريع الفرنسية في هذه الفترة الزمنية لم يكن سهلا و ميسورا للأسباب التالية:

- قلة المراجع التاريخية التي تطرقت للموضوع و كل ما وجد منها لا يعدوا إلا إشارات مقتضبة وردت في دراسات عامة.
- إن البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى الاطلاع على الأرشيف الفرنسي خاصة و أن الدراسات العربية قليلة و لكن الرغبة في إخراج هذه المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر حيز البحث جعلني أقوم بهذا الجهد المتواضع.

قسمت الموضوع إلى مقدمة و **فصل تمهيدي** تناولت فيه بالدرجة الأولى عوامل و ظروف تأسيس أيالة الجزائر ، مع إبراز ظهور المعالم الأولى للكيان السياسي الجزائري خلال الفترة الحديثة. عالج **الفصل الأول** ملاحظات الأوروبيين لأوضاع الجزائر خلال الفترة العثمانية و أسباب و دوافع هذه الكتابات من النواحي السياسية و الدينية و العلمية و الثقافية ، و تحليل المؤلفات التي درست هذه الأوضاع، و طبيعة الكتابات الأوروبية و قيمتها الإخبارية في الكتابات التاريخية. وجاء **الفصل الثاني** ليبين صورة الجزائر العسكرية في الكتابات الفرنسية و الإسبانية من خلال البنية العسكرية و القدرات الدفاعية من واقع ملاحظات و انطباعات الفرنسيين و الإسبان.

وخصصت **الفصل الثالث** لدراسة العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال ماكتبه فاليير و مايفريد بحكم إقامتهم بالجزائر كمفوضين و تجار ،إذ تم تقديم صور سياسية و اقتصادية و اجتماعية عن الجزائر ، ولكن بطرق استهزائية و تحامل على الجزائر و حضارتها. أما الفصل **الرابع** فانتقل إلى دراسة طبيعة المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر من واقع المذكرات و التقارير التي أعدها التجار و الجواسيس و المبعوثين الفرنسيين.

قدم **الفصل الخامس** صورة واضحة عن الجزائر السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية في الكتابات الإسبانية من خلال الأسرى و على رأسهم ميغال دي سرفانتس و ديغو هايدو و مارمول كربخال. لقد ترك هؤلاء كتابات ساهمت في التأريخ للعلاقات بين الجزائر و إسبانيا خلال الفترة الحديثة سيما الفترة العثمانية، و لكن هذه الكتابات لم تخلو من الحقد و المبالغة ، و كان من ورائها الجوسسة و الدعاية المغرضة و التنصير.

وخلص الفصل إلى إبراز كتابات الراهبين فرنثيسكو خمينات و مالغور غارثيا نفاراو حول سكان الجزائر و أوضاع الأسرى الأوروبيين عامة و الإسبان خاصة، و عمليات افتدائهم و مراحلها.

ورغم ما يطرحه الموضوع من صعوبات مرتبطة أساسا بندرة الأرشيف الجزائري وسيطرة التقارير الفرنسية مما يعرقل الدارس، ويبعده عن الموضوعية في الكشف عن الحقيقة التاريخية، فإنّني أصبو من خلال ربط الموضوع بكتب الرحلات ورحلة شارل فيليب فالبير خاصة الاقتراب نحو المساهمة في التعريف بالتطور الحقيقي للعلاقات الجزائرية الفرنسية، مستعينا بمساعدات وتوجيهات الأستاذ **الدكتور المشرف حنيفي هلايلي**.

وبالله التوفيق

سيدي بلعباس في 2016/09/04

فصل تمهيدي

ظروف وعوامل تأسيس إيالة الجزائر

أولا: اتساع ظاهرة القرصنة البحرية

ثانيا : تحرير ثغور المغرب الأوسط و جهود العثمانيين

أ- عروج

ب- خير الدين

ثالثا: الجهود الرسمية للدولة العثمانية

رابعا: التمزق السياسي للإمارة الزيانية في المغرب الأوسط

1. صد العدوان الإسباني:
2. ظهور معالم الكيان السياسي للجزائر
3. مرحلة الارتباط المركزي بالخلافة العثمانية

فصل تمهيدي
ظروف وعوامل تأسيس إيالة الجزائر

أمام اختلال التوازن بين تفوق القوى الإيبيرية وتراجع قوى المغرب العربي مع بداية القرن 15م حيث تكالبت إسبانيا والبرتغال ضد الإسلام والمسلمين في حرب صليبية مدعمة بدعاية وسند مادي للكنيسة، عن طريق شن غارات اتسمت بالتوحش والشراسة، وأمام سلبية المقاومة الرسمية للدولة الزيانية ، كان الفضل للقوة الإسلامية العثمانية التي ستدخل في إطار عاطفة دينية لتوحيد الخلافة الإسلامية لإنقاذ المغرب الإسلامي من هذا الغزو ، وتلبية دعوات السكان المحليين لمساعدتهم على صد العدوان الصليبي وحماية الثغور وتحريرها، وإقامة حكم إسلامي جديد في إطار إحياء الخلافة الإسلامية.

تميزت الحياة السياسية في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر، بعدم الاستقرار و توالي عدة أنماط من الحكم على السلطة، و يرجع هذا إلى طبيعة الوجود التركي في الجزائر. فسياسة الأتراك اتجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم، كانت تتصف بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه البلدان الخاضعة، مما يجعل الحكم التركي ظاهريا أكثر منه حقيقيا، أما في المناطق النائية فكان مجال تدخل السلطة المركزية يتضاءل نسبيا[1].

كان حكام الجزائر بعيدين عن فكرة التمرد عن إرادة السلطان العثماني الذي كانوا يعتبرونه المرجع السياسي و الروحي الذي يبارك أعمالهم و يرفع من مكانتهم في نظر السكان المحليين، لكن التحول الذي حدث في طبيعة العلاقات العثمانية –الأوروبية في نهاية القرن السادس عشر، و اختلال موازين القوى لصالح الأوروبيين. كانت وراء ازدياد الضعف العثماني و لا سيما إثر

[1] محمد خير،فارس،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دمشق: مطابع ألف باء، الأديب،1969،ص 54

معاهدتي كارلوفيتز (Carlovitz) [2] في 1699م مع النمسا و البندقية و بولونيا، و معاهدة اسطامبول 1670م مع روسيا و التي بموجبها تخلى فيها العثمانيون عن بعض أقاليمهم[3].

و قد نتج عن هذا التطور أن ضعفت الروابط بين نيابة الجزائر و السلطة العثمانية، حتى أصبحت الجزائر شبه جمهورية عسكرية[4]، و حسب تعبير **نور الدين عبد القادر** فإن إيالة الجزائر "لا يربطها بالدولة العثمانية سوى رباط ديني و وازع أدبي" [5].و مما زاد في استقلالية الجزائر و حكامها عن الدولة العثمانية، أن أصبح الدايات يعتبرون أنفسهم كخلفاء للباب العالي فقط بعد أن كانوا تابعين له، و وصلت بهم الجرأة أن يقوموا بالاتصال بالدول الأوروبية، دون اعتبار لمصلحة السلطة[6].

أصبح ممثلو الدول الأوروبية لدى الجزائر و إيالات الغرب (طرابلس الغرب و تونس)، يتجاهلون السيادة العثمانية في تعاملهم مع هذه الإيالات، و لا سيما ممثل فرنسا الذي أصبح يلقب منذ بداية القرن التاسع عشر بالمكلف بالأعمال، و هذا ما جعل طبيعة العلاقات بين الجزائر و فرنسا تكتسي صبغة خاصة[7].و يتضح لنا مدى استقلال الكيان الجزائري عن الدولة العثمانية، من خلال إلغاء منصب الباشا الذي فرضه السلاطين على الدايات، سنة 1711م، "عندما منع الداي علي شاوش، إبراهيم باشا مبعوث الباب العالي من دخول الجزائر بحجة تسببه في إثارة القلاقل" [8].و قد تجسدت هذه الاستقلالية في نجاح علي شاوش الحصول على لقب الباشا من السلطان بفضل الهدايا و سياسة الأمر الواقع[9].

---

[2] يعتبر الكثير من المؤرخين أن هذه المعاهدات كانت وراء أول هزيمة عسكرية للجيش العثماني منذ ثلاثمائة سنة حين هزمهم (تيمور لانك) سنة 1402م.

[3] حول المعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية و انعكاساتها على مصير السلطة، راجع:
عبد الكريم، رافق: العرب و العثمانيون، (1516-1916)، دمشق: مطبعة ألف باء، 1974، ص 117-119.

[4] Pananti, Relation d'un séjour à Alger, contenant des observations sur l'état actuel de cette régence, Tra de l'anglais, par M.r Blanquiere, le normant, Paris,1820, P.411.

[5] نور الدين، عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورهما إلى انتهاء العهد التركي، قسنطينة: مطبعة البحث، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965، ص 86.

[6] J. Serres, La politique Turque en Afrique du Nord sous la monarchie de Juillet, Goutheser, Paris, 1925, PP.9-10.

[7] idem

[8] ibid, P.194

[9] حول موضوع استقلالية الجزائر عن حكومة الباب العالي، و تغيير المناصب، راجع الدراسة القيمة:
ERNEST, WATBLED, « Pachas-Pachas-Deys », in, R.A (N°17), 1873, PP.438-443.

و انحصرت مظاهر تبعية الجزائر للدولة العثمانية في تلقي الخلعة و تبادل الهدايا و توجيه الرسائل التي تصبغ على السلطان العثماني ألقاب: السيد و الرئيس و ولي نعمة داي الجزائر[10].

يمكن تلخيص ظروف وعوامل التوسع العثماني في المغرب الأوسط في أربعة عوامل رئيسية:

أولا: اتساع ظاهرة القرصنة البحرية corsaire :

يختلف مفهوم القرصنة باختلاف مفاهيم وتيارات الدول السياسية، فهي نوع من الحروب البحرية ما بين الدول المتعادية مقننة بتنظيم وتقاليد تميزها عن حركة السلب والنهب وقطع الطريق واللصوصية (Piraterie) فهي عبارة عن سفن مسلحة تعمل باسم حكومة دولة ما، مكلفة بمهام ضد سفن وسواحل أعداء مقصودين بالذات، فهي بمثابة حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب [11]، وكانت القرصنة والنشاط الاقتصادي مترابطين، وهي ظاهرة استيطان للبحر المتوسط خاصة، باركتها كل الدول لتحقيق الازدهار والتقدم ورد الاعتداء، ومثلت بالنسبة للمسلمين شكلا من أشكال الجهاد في البحر [12] وتطورت ظاهرة التسابق البحري [13] لحماية الموانئ والسيطرة على البحر المتوسط وأصبحت نشاطا عاما مارسته كل الموانئ[14]وتحولت القرصنة إلى أكبر وأهم مورد للموانئ في المغرب الأوسط حيث أكد المؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان :

«سلحت بجاية ومدينة الجزائر ووهران، وهنين، كل لحسابها سفنا شراعية تجوب البحر المتوسط» [15].وأرجع الحسن الوزان (ليون الإفريقي) سبب احتلال الإسبان لصخرة مدينة

---

(10) E. Kuran, « la lettre du dernier Dey d'Alger au grand-vizir de l'Empire Ottoman », in, R.A (96), 1952, PP.194-195.

(11) Braudel (Fernand), La méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II, 2 vol; Paris 1966 , pp : 191-195

(12) Belhamissi (Moulay), Marins et Marines d'Alger (1518-1830), Bibliothèque nationale d'Algérie, 1996, T3 ,p.56.

(13) يحيى ، جلال، المغرب الكبير، ج3 – العصر الحديث وهجوم الاستعمار–، دار النهضة العربية، بيروت1981، ص ص: 17-21

(14) Braudel (Fernand), Les Espagnols et l'Afrique du nord (1492-1577), in Revue Africaine, N° 69/1928

(15) شارل أندري، جوليان ، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة مزالي وآخرون، الدار التونسية، تونس 1983، ص: 322

الجزائر قائلا :«سكان مدينة الجزائر سلحوا سفنا وتحولوا إلى قراصنة وصاروا يغيرون على جزر البحر المتوسط وحتى شواطئ اسبانيا » [16]

كما أكد على أن سكان بجاية كانوا على قدر كبير من الغنى يسلحون العديد من السفن الحربية المختلفة ويرسلونها لغزو شواطئ إسبانيا . وفسر " جوليان " أسباب هذا الغنى بارتفاع قيمة فدية الأسرى.

أجمع المؤرخون على تصاعد أعمال القرصنة في المغرب العربي بسبب انقطاع مورد تجارة القوافل الصحراوية [17]. ومساهمة المورسكيين في تنشيطها خاصة ضد الإسبان أكبر أعدائهم ضراوة [18] كما ساهم الأتراك العثمانيون في تنشيط القرصنة وتنظيمها وتفعيلها .

كانت القرصنة البحرية الإسلامية محددة بأهداف من أجل استتباب الأمن، وحماية الأرواح والممتلكات والدفاع عن الإسلام والمسلمين، والكفاح ضد الغزو الاستعماري، وتحقيق حرية موانئ المغرب العربي مما يعطيها فعلا طابع (الجهاد البحري) وليس قرصنة بمعنى قطع الطريق (Piraterie) التي رسخها الأوربيون [19]، وتوصلوا منذ 1815 م إلى فكرة التحالف والإجماع على توحيد المنهج العسكري البحري لمجابهة الأساطيل المغربية لضمان أمن وسلامة الملاحة الأوربية وفرض السيطرة والهيمنة المسيحية على البحر المتوسط تزعمته بريطانيا لقوتها البحرية وقدراتها الدفاعية بدعوى وضع حد لتجارة الرقيق والقضاء على القرصنة وتجارة الرقيق عموما [20].

إن مصطلح القرصنة البحرية حركة عامة تمتد على كل القوات البحرية الإسلامية والمسيحية، حيث كانت القرصنة متوسطية مسيحية وإسلامية، وليست وليدة ظروف الكشوف الجغرافية، وطرد الأندلسيين فحسب بل هي امتداد للاحتكاك الحضاري والصراع العسكري الذي تجلت أبرز مظاهره خلال الحروب الصليبية القديمة والمتجددة، ولن يكون من الأمانة والموضوعية اعتبار سلوك بحارة الجزائر ورياسهم بمثابة لصوص وقطاع طرق بحر كما أكد على

---

[16] الحسن، الوزان، ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج2، ص: 38

[17] جون بول، وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة سعد الله أبو القاسم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص: 25

[18] Braudel (Fernand), Les Espagnols et l'Afrique du nord (1492-1577),op cit p :206

[19] حنيفي، هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة(1815-1830)، دار الهدى، الجزائر 2007، ص: 10

[20] هربرت، فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب هشام، ص: 75

ذلك العديد من الأجانب، وشهد شاهد من أهلهم حيث أكد الإسباني De Grammont قائلا:« إن موقف رياس البحر من مغامرة البحار "خوان فاسكون " في هجومه على ميناء الجزائر 1567 م الذي أسر فطالب رياس البحر بمعاملته معاملة المقاتلين الأسرى، لكن الباشا سلمه إلى الشعب الذي انتقم منه ... يدل دلالة واضحة على أنهم **رجال ثقة عسكرية و شرف و لم يكونوا لصوص بحر أو مشاغبين** ».[21]

أكد المؤرخ الألماني **(فيشر هربرت)** هذه الحقيقة التاريخية قائلا:« لم يكن ميناء الجزائر وكرا للقرصنة، بل ميناء ترسو به السفن الإنجليزية، ولنا أدلة تثبت أن هناك تمييز بين سفن وممتلكات الأمم الصديقة والعدوة، وأن حكام وديوان الجزائر كانوا يسهرون على إنصاف كل الأطراف، وتطبيق العدالة كلما رفعت إليهم شكاوي متناقضة حول الغنائم التي يتم إنزالها بالجزائر... »[22]

ثانيا : -تحرير ثغور المغرب الأوسط و جهود العثمانيين

تزامن الوجود الإسباني في سواحل المغرب الأوسط بظهور عدد كبير من البحارة المغامرين، ثم كونوا أساطيل صغيرة مستقلة تعمل لحسابهم الخاص وتظفر بالغنائم وتجاهد ضد أعداء الإسلام والمسلمين في نفس الوقت، ولهذا كان هؤلاء المغامرون في نظر المسلمين أبطالا مجاهدين وطنيين، وفي نظر خصومهم مجرد قراصنة لا يخضعون لأي قانون أو نظام[23]. وحين نذكر رجال البحر المغامرين في الصراع المسيحي الإسلامي بحوض البحر المتوسط أوائل القرن 16م ، الذين مهدوا للتوسع العثماني، يتزعمهم مباشرة الإخوة بربروس الذين ترعرعوا في أرخبيل بحر إيجة حيث توجد أهم قواعد الأسطول العثماني الذي جمع عددا كبيرا من العناصر

(21) - De Grammont (Henri Delmas) , Histoire d'Alger sous la domination Turc (1515-1830), Paris, E.Leroux, 1887. p : 112

(22) Sirgodfrey, Légende barbaresque : guerre, commerce ;et piratrie en Afrique du nord de (1415-1830 Traduction et Annoté par Hellal (F), OPU, Alger 1991, p : 179

(23) محمد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف باء، الأديب، دمشق 1969، ص: 91

التركية والبلقانية الإسلامية، سطع منهم نجمان كان لهما الفضل في عثمنة المغرب العربي وهما:[24]

أ- عروج: (1474-1518م)

ينحدرمن أسرة فقيرة بجزيرة في ساحل بحر إيجة بتركيا اشتغل مع والده في صناعة الخزف قبل أن يمارس التجارة البحرية وهي حينئذ خليط بالقرصنة ، عاش ويلات الأسر في جزيرة رودس التي كانت تمثل عاصمة فرسان القديس يوحنا كجمعية دينية مسيحية تحولت إلى هيئة عسكرية نشطت القرصنة ضد المسلمين في حوض البحر المتوسط، حيث طردوا من القدس في نهاية الحروب الصليبية، فاستقروا بجزيرة رودس حتى طردهم " سليمان القانوني" سنة 1512م، فلجأوا إلى جزيرة مالطا حتى فرقهم " نابليون بونابارت [25] تمكن عروج من الهروب فصمم على الانتقام وأصبح في خدمة العثمانيين تبناه الحفصيون وسمحوا له باتخاذ جزيرة جربة بتونس مقرا له وقاعدة لأسطوله الناشئ (حوالي 8 سفن)ومنها شرع في مهاجمة سواحل أوربا الجنوبية وصقلية وجنوب إيطاليا خاصة، اكتسب من خلالها شهرة كبيرة .[26]

كان له أول اتصال بالمغرب الأوسط 1512م حين طلب منه الحفصيون مساعدتهم لتخليص (مدينة بجاية) من الاحتلال الإسباني ورغم فشله في تحقيق ذلك بعد معركة بحرية خطيرة انتهت بقتل أخيه (إلياس) وبتر الذراع الأيسر لعروج، لكنها مثلت منعرجا كبيرا في حياة عروج الذي أصبح مرتبطا أكثر بالمغرب الأوسط وفكر في تكوين قاعدة بعيدة عن الحفصيين ومستقلة عنهم فوجد المكان المناسب في ميناء جيجل، لينتقل منها إلى مدينة شرشال ومدينة الجزائر، وميناء تنس، وليلبي في الأخير نجدة الزياني " أبو زيان الثالث" في تلمسان ضد عمه أبي حمو الذي تحالف مع إسبان وهران فنجح عروج في مهمته بتلمسان لكن الإسبان لحقوا به وتمكنوا من قتله وقطع رأسه والتشهير به وإعادة أبي حمو إلى عرش تلمسان تحت حمايتهم [27].

فهل تم ذلك بناءا على رغبة السكان ؟ أم أنهم أرغموا على التبعية لحاكم أجنبي؟

---

[24] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، القسم الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1992، ص: 17

[25] الطمار (محمد بن عمرو) تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 ص. ص: 229-231

[26] Valensi (Louis), Le Maghreb avant la prise d'Alger, Ed : Flammarion, Paris 1969, p : 62

[27] عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة، الجزائر 2005،ص: 32

يذكر المؤرخ الفرنسي " دي غرامونت " «أن أغلب المؤرخين تعودوا على اعتبار "عروج " قائدا لمجموعة من قطاع الطرق، وكانوا في ذلك يكررون ما ينقله المؤرخون بعضهم عن بعض... وهذا يعد من أكثر الأحكام بعدا عن الواقع، فقد كان عروج أول الإخوة بربروسة يتميز بكونه جنديا فذا من جنود الإسلام، قاد حربا بحرية لا هوادة فيها على أعداء عقيدته، وخصوم سلطانه العثماني، و لم تكن هذه الحرب التي قادها تختلف في طرقها ولا في وسائلها عن تلك التي كانت مستعملة من طرف النصارى الذين كان يحاربهم... وعندما سمحت له انتصاراته الأولى بتجميع قوات كافية تحت قيادته، حاول عروج القيام بعمل كبير، فاستغل حالة الفوضى التي كانت سائدة في شمال إفريقيا في سبيل تأسيس مملكة» [28]

لقد ركز المؤرخون على أن " عروج" قمع عدة ثورات محلية بقسوة كبيرة، وصك العملة باسمه، وميز الأتراك بالوظائف العليا، وقتل حاكم إمارة التعالبة بميناء الجزائر " سالم التومي" خنقا بسبب استنجاده بالإسبان وأقام حكومة عسكرية على نمط حكومة فرسان القديس يوحنا [29]لكن الأهم هو أن إقامة حكومة الأوجاق العسكرية بمدينة الجزائر سيصد عنها خطر الغزو الأجنبي ولهذا أجمع معظم المؤرخين المعاصر ين على أن مجيء عروج كان بمثابة نجدة ضرورية لإنقاذ المغرب العربي، وهذا ما تأكد حين التف حوله السكان على اختلاف أجناسهم لصد الحملة الإسبانية التي تزعمها Ximenias سنة 1516م ضد مدينة الجزائر .[30]

ب- خير الدين:

بينما كان عروج أقرب إلى مغامري البحر ، أثبت أخوه خير الدين أنه رجل دولة محنك لم يطمع يوما لتحويل المغرب العربي إلى مملكة خاصة، حيث جمع أعيان مدينة الجزائر وأخبرهم الصعوبات الداخلية والخارجية وأقنعهم بأن المخرج الوحيد هو إعلان التبعية للدولة العثمانية، ورغم ما حيك حوله من مؤامرات خاصة تمرد مملكة كوكو" بالقبائل بزعامة أحمد بن القاضي (1520-1525) فإن خير الدين أظهر جرأة فائقة في السيطرة على القرصنة البحرية ضد الأساطيل الأوربية مما زاد في شعبيته وتمكن من توسيع نفوذه في المغرب الأوسط، فاضطر

---

(28) Didier (le général), Histoire d'Oran, T4, Oran 1929, pp : 51-71

(29) De Grammont, Henri Delmas, op. cit, pp : 32-46

(30) بوعزيز (يحيى)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا(1500-1830) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، ص : 16-17

إلى طلب المعونة من السلطان سليم الأول 1518 م ، الذي مده بألفين عسكري من الانكشارية مسلحين مع قوة مدفعية ودخيرة حربية وسمح لرعاياه بالتطوع في جيش المغرب ، ومنحهم امتيازات الانكشاريين، لتكون سنة 1520م بداية وصول السلطة العثمانية رسميا إلى شمال إفريقيا، حيث عثر المؤرخ التونسي " التميمي عبد الجليل " على ترجمة لرسالة سكان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني " سليم الأول" ونشر نصها التركي وصورتها الفوتوغرافية [31]والتي تمكنت :

* احتلال قلعة " البنيون" التي أنشأها الإسبان على جزيرة صغيرة قرب ساحل الجزائر، فبني فيها" **خير الدين**" كاسرة أمواج توصل أطلال قلعة البنيون والجزيرة بساحل الجزائر عن طريق بناء رصيف طوله 20م وعرضه 25 متر وعلوه 4متر ، وبذلك أوجد ميناء الجزائر الحصين، ليبدأ استخدام الجزائر للدلالة على إقليم المغرب الأوسط. وقد تم تحريرها سنة 1529،لتصبح بعدها مدينة الجزائر هي عاصمة الأيالة.

* إفشال حملة شارل (الخامس) الكبرى على مدينة الجزائر سنة 1541م، وأسر معظم رجال الحملة ورفض جميع عروض الفدية، مما يدل على عدم تشبته بالمال وبعده عن روح القرصنة بمفهوم اللصوصية [32].

وهكذا نجح خير الدين في دعم الثقة بينه و بين السلطة العثمانية بزيارته العاصمة القسطنطينية 1533 م، كما قام بدور كبير في التقارب العثماني الفرنسي ضد إسبانيا وتوقيع معاهدة الامتيازات المشهورة1535م، وهو ما مكنه للارتقاء إلى قائد عام للأسطول العثماني حيث كلف ابنه "**حسن أغا**" للنيابة عنه والذي سيكون في مستوى هذه المسؤولية [33]ومهما اختلف الدارسون في تقييم دور خير الدين إلى درجة تشبيهه بصلاح الدين في المغرب [34]، وافتخار الجزائريين بالقائد خير الدين بربروسة لأنه خطط لإنقاذ البلاد من خطرين : أحدهما

---

[31] التميمي (عبد الجليل)، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، عدد5، جانفيي 1976، تونس، ص. ص: 116-120

[32] ألتر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت 1989، ص: 150

[33] Venture de Paradis, Alger au 18è siècle, Alger 1898 ; p 25

[34] العسلي (بسام)، خير الدين بربروس والجهاد في البحر(1470-1517)، ط1، دار النقاش، بيروت 1980، ص: 37

خارجي والآخر داخلي، وأرسى أسسا للدولة الجزائرية الحديثة في إطار اتحادي في الخلافة العثمانية.[35]

3- الجهود الرسمية للدولة العثمانية:

استغل السلطان العثماني " سليم الأول" (1515-1520) هذا الوضع العام غير المستقر في غرب البحر المتوسط لتحقيق أحلامه في التوسع، وطموحاته في استكمال الوحدة الإسلامية، خاصة بعدما تسلم مفاتيح الحرمين الشريفين ليكون الوريث الشرعي للخلافة الإسلامية، حيث حرص على دعم "**الإخوة بربروس**" ماديا ومعنويا (المساهمة بألفين عسكري من الانكشارية مسلحين مع قوة مدفعية ودخيرة حربية و16 سفينة، وسمح لرعاياه بالتطوع في جيش المغرب ، ومنحهم امتيازات الانكشاريين ...)، لتحويل الجزائر إلى قاعدة بحرية لجيوش الخلافة الإسلامية في غرب البحر المتوسط، ومنطلق جهادها الإسلامي لتحرير الثغور المغربية ومواجهة الحملات الاستعمارية المسيحية خاصة بعد ما نجح خير الدين في إرساء إستراتيجية تحالف مصلحي بين العثمانيين وشيوخ الطرق الدينية وزعماء القبائل، وبالخصوص حينما طالب أعيان الجزائر عن طواعية الارتباط بالدولة العثمانية ضد الاعتداءات الإسبانية، فساهمت الخلافة العثمانية كثيرا في دعم مكانة الجزائر في الحوض الغربي للبحر المتوسط لتصبح قوة بحرية كبرى، ستساهم بشكل كبير في تحقيق التوسع العثماني بتونس وطرابلس الغرب [36].

***رابعا :* التمزق السياسي للإمارة الزيانية في المغرب الأوسط:** [37]

أدى ضعف دولة بني زيان نتيجة الحروب التي كانت مسرحا لها واتساع ظاهرة انفصال العديد من القبائل، وتحولها إلى إمارات مستقلة ترفض الخضوع إلى إي سلطة مركزية، وتسرب الضعف داخل الأسرة الزيانية نتيجة تنافس الإخوة الزيانيون على عرش تلمسان خاصة بين:

-أبو زيان الثالث الذي سيستعين بالعثمانيين .

- أبو حمو الثالث الذي سيستعين بالإسبان.

---

(35) Kaddache(Mahfoud), L'Algérie durant la période Ottomane, OPU, Alger 1991, p :12et p : 18

(36) سبنسر (وليام)، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1980، ص:61

(37) يحي، بوعزيز، الموجز ، ج1: ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1965. ص: 48

تمكن نظام الحكم العثماني من الاستمرار في الحفاظ على إيالة الجزائر لأزيد من ثلاثة قرون (1519- 1830م) رغم قلة عدد الأتراك العثمانيين(في حدود 170000نسمة يحكمون حوالي ستة ملايين جزائري)، وعدم الاستقرار السياسي بسبب:[38]

- إقصاء العنصر المحلي من المناصب العليا في المؤسسة العسكرية ومراكز السلطة.
- اعتماد الحكام على سياسة تجنيد الجند من الولايات العثمانية المشرقية، مما فوت الفرصة على السكان المحليين للبروز على الساحة السياسية.
- استمرار الخطر الخارجي الصليبي مما وفر للعثمانيين الدعم الضروري من رجال الدين.
- عدم ظهور قيادة محلية قادرة على توحيد السكان في تنظيم سياسي وعسكري محلي.
- سياسة الترغيب والترهيب التي اتبعها الحكام العثمانيون، حيث كانوا يستعملون العنف ضد المعارضين، ويكرمون المساندين لهم: فكان أن فضلت جماعة الحضر وبعض القبائل الريفية (قبائل المخزن) التعامل مع السلطة العثمانية حفاظا على امتيازاتها المادية، و لم تحاول التحالف مع القبائل الممتنعة التي كانت تشكل الأغلبية.
- التنظيم الإداري والعسكري القائم على القبائل المحلية المندمجة والمتعاونة معهم.
- تنوع الفئات السكانية للمجتمع الجزائري واندماجها نتيجة المصاهرة بين الوافدين من الشرق وأوروبا مع العناصر المحلية ولاسيما سكان المدن الذين كانت حياهم قائمة على أساس الأهداف المادية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتضامن أفراد المجتمع مما ساعد على التخفيف من معاناة الفئات المعوزة، كما سمح الدور الإيجابي للإدارة وخاصة مداخل الأوقاف بالاعتناء بالقطاعات الاجتماعية كبناء المساجد والمدارس وتوفير رواتب المدرسين ومنح الطلبة.
- الشرعية التاريخية للحكم العثماني في الجزائر كرمز للوحدة الإسلامية وتجسيد للخلافة الإسلامية .وقد تحقق خلالها مجموعة من المكتسبات نلخصها في ثلاث أساسية وهي:

1- صد العدوان الإسباني:

أعطيت الأولوية في الإيالة الجزائرية للجهاد ضد الاحتلال الإسباني، واتخذ تحرير الثغور حالة مد وجزر، لكن الإطاحة بحصن "البنيون" سنة 1529م مهد لانتصارات جزائرية كبرى، مهدت إلى التوجه لتحرير تونس سنة 1535م، الذي اصطدم بحملة الملك الإسباني " شارل

[38] شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009، 584صفحة .

الخامس"، وبعدها تم تحرير بجاية سنة 1540م، وصد حملة شارل الخامس الكبرى الانتحارية على مدينة الجزائر سنة 1541م، والتي سمحت بتوسع عمليات التحرير لمدينة بجاية سنة 1555م، ثم استرجاع مدينة مستغانم سنة 1558م، ومنها لتحرير مدينة وهران والمرسى الكبير" المرة الأولى سنة 1708م ثم الثانية التي كانت نهاية للوجود الإسباني بالجزائر سنة 1792م .[39]

تظهر أهمية هذا الجهد التحرري أكثر بمقارنته بفشل الدولة السعدية، ومن بعدها الدولة العلوية في المغرب الأقصى حتى اليوم من استكمال تحرير كل الثغور المغربية
(مدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية)، هذا فضلا عن تمكن الجزائر من الصمود طويلا في مواجهة الحملات الأوروبية والأمريكية المتعددة، حولت الجزائر إلى مسرح حرب كقاعدة أمامية للدفاع عن الإسلام والمسلمين في مواجهة الحرب الصليبية الجديدة [40].

2- ظهور معالم الكيان السياسي للجزائر:

انفردت الجزائر بكيانها السياسي المتميز بعاصمة قارة، وحدود متميزة معترف بها دوليا، وعملة متداولة عالميا، وعلم متميز، وسيادة مكتملة لها كامل الصلاحيات في الداخل والخارج، مع التزام فروض الطاعة والولاء الروحي للخلافة العثمانية، تطور في أربعة أشكال من الأنظمة السياسية الداخلية تبلورت في مرحلتين أساسيتين من حيث طبيعة العلاقة مع الدولة العثمانية هما:

3- **مرحلة الارتباط المركزي بالخلافة العثمانية(1519-1659م)** نميز فيها بين نمطين في أنظمة الحكم السياسية وهما:

- مرحلة البايلاربايات(ميرميران= أمير الأمراء) (1519-1587م):

تمثل في شكل منصب سام في الدولة العثمانية كنائب أو والي للسلطان العثماني، تداول عليه 13 ثلاثة عشرة بايلاربايا لمدة 69 تسعة وستين عاما مع ثلاث عهدات للبايلارباي " **حسن باشا**" وعهدتين للبايلارباي

---

[39] المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م.، ص. ص:376-372

[40] نفسه، ص. ص: 358-368

" **حسين فتريانو** "، [41] كانوا مع ذلك بمثابة حكام مستقلين رغم اعترافهم بسيادة السلطان العثماني الذي يعينهم، كانوا يمارسون سلطاتهم بأنفسهم، ولهم الحق في تعيين خلفاء عنهم في حالة انشغالهم عن إيالة الجزائر، وكانوا من زعماء الجهاد البحري يسيطرون على الجيش من مشاة وبحرية، جمعوا بين وظيفة الإمارة ومنصب

" قبطان باشا " لتولي الاتصال بين الخليفة العثماني ونيابات (إيالات) المغرب العربي، عاصروا عهد القوة العثمانية وتوسعها، حاولوا إنشاء قوة بحرية إسلامية تتظافر فيها وتتلاحم كل القوى الاجتماعية الفاعلة، بحيث نجحوا في إشراك الأعيان القدماء في التسيير دون أن يؤدي ذلك إلى منحهم نفوذ سياسي ميداني كبير، فتمكنوا من إرساء الوحدة السياسية والإدارية لإيالة الجزائر العثمانية، وجندوا إلى جانب الانكشارية عناصر من الجزائريين والكراغلة، حيث حرصوا على تحقيق تلاحم جميع القوى الفاعلة في الإيالة، وظلوا يحافظون على شعار الجهاد ضد الغزاة، مما أكسبهم تأييدا شعبيا، انعكس على توفير الأمن والاستقرار وتوسع النفوذ العثماني بضم كل من طرابلس الغرب وتونس حتى جنوب الجزائر بواحات ورقلة وتوقرت[42].

- عهد الباشوات (1587-1659م):

أصدر الخليفة العثماني " مراد الثالث " –بشكل مفاجئ – فرمانا يلغي هذه التسمية، ويدخل الإيالات الثلاث في المغرب العربي إلى التنظيمات العثمانية العادية، فحول الجزائر إلى نيابة يديرها "باشا" كموظف معين لمدة ، فما هي أسباب هذا التحول سنة 1587م بالضبط ؟ [43] ثلاث سنوات اختلف الدارسون في تعليل هذا التحول، نميز فيه اختلافات حسب المؤرخ " الزبيري محمد العربي" يعود إلى تضاؤل نفوذ البايلاربايات، وتراجع القيمة الإستراتيجية للجزائر خاصة بعد هزيمة معركة " ليبانت" سنة 1571م.

بينما فسرها المؤرخان " بوعزيز يحيى" و " سليماني أحمد " بسياسة السلطان "مراد الثالث" (1574-1595م) الحريصة على فرض مركزية الباب العالي بالحد من استقلالية الإيالات، والتمكن من مراقبتها، خاصة بعد فشله في التوسع في المغرب الأقصى رغم الدعم القوي الذي قدمه للدولة السعدية في معركة وادي المخازن سنة 1578م، حيث أكد قائلا:

---

[41] فارس (محمد خير)، مرجع سابق، ص. ص: 47-53.

[42] جون بول وولف، مرجع سابق،ـــ ص. ص: 118-120

[43] الميلي (مبارك)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر 1976، ص. ص: 137-171

« وجدت أن ولاة الجزائر أصبحوا يحكمون القطر حكما مطلقا ويتصرفون في شؤونه بكل حرية رغم اعترافهم بسيادة الباب العالي، حتى طمع بعض الولاة إلى إنشاء مملكة تضم المغرب الإسلامي» .[44]

وتميز نظام حكم الباشوات بالإلحاق المباشر كولاية عادية أصبح فيها الحكام مجرد موظفين إداريين معينين لخدمة السلطة العثمانية في الجزائر، فتداول عليها خلال 72 إثنين وسبعين سنة (39)تسعة وثلاثين باشا رسميا (43) ثلاثة وأربعين باشا نتيجة تجدد تعيين بعضهم، حيث تكرر تعيين الباشا " خضر " أربع مرات، وتعرض الكثير منهم إلى العزل في نفس السنة، وتعرض البعض الآخر للسجن وضغوطات العسكريين، نتيجة مخاطر الوظيفة كالجشع والنهب والرشوة واستغلال السلطة، مما دفع قادة الجيش الانكشاري إلى الثورة عليهم والاستيلاء على الحكم.[45]

- **مرحلة الاستقلال الذاتي والارتباط الروحي مع الدولة العثمانية فيما يعرف بعهد الآغات (1659-1671م)، والدايات (1671-1830م):**

- عهد الآغات (1659-1671م):

دشنت الجزائر العثمانية نظام الحكم العسكري المباشر، حيث تسلط قادة الجيش الانكشاري على الحكم، محتجين على تلاعب الباشوات بمصالحهم المادية-خاصة بعد محاولة "الباشا إبراهيم" احتكار المنحة السنوية التي كانت الخلافة المركزية ترسلها لدعم الأسطول الجزائري. فوافقت الدولة العثمانية على شرعية هذا الحكم العسكري مع اشتراطها تحمل الآغات نفقات الجند ومراتب الضباط الانكشاريين، فكان ذلك منعرجا نحو استقلال ذاتي موسع للجزائر في إطار الخلافة العثمانية[46].

تداول على حكم الجزائر خلالها أربعة آغات كلهم تعرضوا للقتل، حيث دشنت في هذا العهد ظاهرة الاغتيالات السياسية كإجراء عادي للوصول إلى الحكم، لكن هذه التجربة أكدت استحالة نجاح الحكم العسكري المباشر في المجتمع الجزائري الحر الذي تجسد في مرحلة الدايات.

---

[44] بوعزيز (يحيى)، الموجز، ج2، مرجع سابق، ص.ص: 278-279 وأيضا : السليماني (أحمد)، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر1994، ص: 12

[45] ألتر(عزيز سامح)، مرجع سابق، ص: 392

[46] عامر (محمود علي)، تاريخ المغرب العربي المعاصر، دمشق 1997، ص. ص: 72-74

- **عهد الدايات (1671-1830م):**

مثلت مرحلة الدايات أطول فترة حكم دامت 159 مائة وتسعة وخمسين سنة بين (1671-1830م)، تولى قيادة الجزائر خلالها 29 تسعة وعشرين دايا بمعدل ست سنوات للبقاء في الحكم، بالغ الملاحظون في وصف الداي:

«... الداي رجل غني لكنه ليس سيد خزينته، أب بدون أطفال، زوج بدون امرأة، طاغية بدون حرية، ملك لعبيد، عبد لأتباعه... مستبد وليس له حرية، أرستقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة... لقد اكتست قدماه بجلد ناعم رفيع امتد للإحاطة بساقيه مع أزرار من الماس في خيوط مرصعة بالأحجار الكريمة، وحول وسطه حزام عريض يلمع بالحلي، وقد تدلى منه سيف عريض يتكون غمده من أجود نوع للقطيفة، وفي حزامه التصق خنجر ومسدسان من الذهب الخالص... »[47].

اختلف المعاصرون لهذا العهد في وصف نظام الدايات: بين من اعتبره رئيس جمهورية عسكرية كان يعين بواسطة الانتخاب في الديوان العسكري[48]،وبين من اعتبره ملكا لمملكة[38]، ورأي ثالث أكد أنها لم تكن لا جمهورية ولا مملكة، وإنما لها نظام خاص وفريد في العالم يجمع بين الصبغة العسكرية والمدنية' [49]وحسم الدارسون الأكاديميون هذا الاختلاف بالتأكيد على النظام الجمهوري العسكري لنظام الدايات[50].

يمثل الداي الصبغة المدنية والعسكرية معا، فهو من جهة خاضع في تعيينه أو عزله لسلطة الديوان ، وهو عبارة عن مجلس يتألف من كبار الموظفين والضباط (60 بولكباش= قائد كتيبة في الجيش البري والبحري)، وكتاب الدولة وقاضيين ومفتيين: واحد مالكي والثاني حنفي، والذي كان بمثابة برلمان يرأسه الداي، ويجتمع أربع مرات في الأسبوع لدراسة أمور الدولة، كلهم عثمانيين متقدمين في السن، وكان حكمهم حكما جماعيا شوريا في أعلى الهرم السياسي، رغم أنه تميز بالفردية المطلقة في القاعدة التي تبدأ من "البايات وأعوانهم[51].

---

[47] سبنسر وليام، مرجع سابق، ص. ص: 78-79

[48] Pelissier (R. D), Annales Algériennes, T1, Paris 1936, p: 16

[49] سبنسر، وليام، مرجع سابق، ص. ص: 76-77

[50] سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص. ص: 54-67

[51] جوليان (شارل أندري)، تاريخ شمال إفريقيا، ج2، مرجع سابق، ص:378

تميزت وظيفة الداي بتنفيذ القوانين المدنية والعسكرية، وتنظيم الجيوش ومراسلة القبائل المختلفة ورؤساء الدول للحفاظ على الأمن في الداخل والخارج، ويشرف على التنظيمات الإدارية الضرورية، وكان هو المسؤول عن تعيين وزرائه كمساعدين مقربين يختارهم من الانكشاريين وهم:[52]

-الخزندار: مسؤول خزينة الداي.

-الخزناجي: متصرف في خزينة الدولة العمومية.

-أغا العرب: قائد فرق الانكشارية " أوجاق "

أغا الصبايحية: له سلطة مطلقة على السكان.

-بيت المالجي: مسؤول أملاك وثروات الدولة.

-خوجة الخيل: مدير أملاك البايلك ومسؤول التموين وجمع الضرائب

-دليل الخرج: مراقب النشاط البحري والاهتمام بالشؤون الخارجية.

-الخوجة باشي : كتاب الدولة وعددهم أربعة(المكتابجي، الدفتردار، وكيل الخرج، الرقمجي)[53]

3- تشكيل قوة بحرية كبرى في مواجهة القوى البحرية العالمية:

شاع في عالم البحر المتوسط أن الجزائر أصبحت أقوى بحرية في العالم بتعداد بحارتها وقوة أسطولها وشجاعة رياسها [54]حيث أولى العثمانيون تنمية وتطوير الأسطول البحري أهمية كبيرة، اعتمدت في تشكيله على خمسة مصادر أساسية وهي: [55]

* مصادر محلية خاصة غابات شرشال وجيجل وبجاية والقل تحت رعاية مصلحة خاصة تعرف باسم " الكراسنة " لتوفير الألواح والقطع الخشبية.

* مواد مستوردة مثل المسامير والأشرعة والحبال البحرية وبعض أنواع الخشب.

* الغنائم التي مثلت موردا هاما للبحرية الجزائرية.

---

(52) هلايلي (حنيفي)، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر2008، ص. ص: 139-143

(53) خوجة، حمدان بن عثمان، المرآة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.ص 129

(54) Garrot (Henri), Histoire générale de l'Algérie, Ed Crescenzo, Alger 1910, pp: 654-655

(55) Belhamissi(Moulay), Marins et Marines d'Alger (1518-1830), Bibliothèque nationale d'Algérie ; 1996,T3,p.124.

* الإتاوات العينية التي كانت تدفعها بلدان أوروبية والولايات المتحدة الأمريكية مقابل السلم، حيث كانت السويد والدانمارك تقدم خشب أشجار التايغا، بينما هولندة تقدم الأشرعة، وبقية الدول تقدم المدفعية والبارود والحديد والصلب والكبريت والزفت...

* هبات الدولة العثمانية وحرص حكام الجزائر على إعطاء صفات متميزة للأسطول البحري الجزائري نميز فيه أساسا:[56]

* التخلي عن السفن الضخمة التي لا تصلح للمناورة والكر والفر.

* اعتماد أولوية سرعة السفن وصغر حجمها وانخفاض ارتفاعها(في شكل قليوطة وهي عبارة عن مركب صغير وكون من 25 مصطبة يمكنها حمل 20 مدفع و30 بحار).

* الاهتمام بالكفاءة الهجومية البشرية والمادية، وقبول إشراك الأهالي والأجانب، واعتماد سفن خاصة.

عرف الأسطول البحري الجزائري تطورا ملحوظا، فرغم تناقض الإحصائيات نتيجة حركتها السريعة المرتبطة بتعدد مصادرها بدأت النواة الأولى بسفينتين أتى بهما الإخوة بربروس أصبحت ثمانية سفن سنة 1512م، أصبحت 16 سفينة سنة 1516م لتصل مع بناء ميناء الجزائر إلى 60 سفينة، تلقت ضربة قوية أثناء حملة شاركان على ميناء الجزائر سنة 1541م، ثم جهزت 40 سفينة سنة 1553م، ليقود "علج علي" 60 سفينة إلى معركة ليبانتي سنة 1571م، ليصل الأسطول الجزائري إلى أعلى رقم موجود في المصادر خلال ثلاثة قرون وهو 70 سفينة سنة 1644م. [57]

قدم أحد المعاصرين جردا تاريخيا لتطور الأسطول البحري الجزائري خلال القرن 18م وبداية القرن 19م جاء كالتالي: [58]

جدول قوات السفن :

السنوات	1737م	1741م	1750م	1762م	1770م	1800م	1827م
عدد السفن	17	18	12	18	13	16	11

[56] شويتام (أرزقي)، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي – الفترة العثمانية- مرجع سابق، ص. ص: 41-49

[57] Belhamissi(Moulay), Marins et Marines d'Alger (1518-1830), OP cit, T1, p:65

[58] Devoulx (Albert), La marine de la régence d'Alger, in R A, N° 13,1869, pp: 384-420 ; et N° 16,1872, pp: 35-45

عدد المدافع المحمولة	100	177	272	58	196	335	268
عدد قادفات الحجارة المحمولة	127	251	50	لاشيء	لاشيء	لاشيء	لاشيء

يلاحظ من خلال هذا الجدول الإحصائي تذبذبا وتقهقرا، مع تخلي السفن عن قاذفات الأحجار، وضعف تطور المدفعية خاصة في حال مقارنتها مع مثيلاتها الأوروبية، فما هي عوامل هذا الضعف؟

* تراجع صناعة السفن في الجزائر نتيجة القرار الذي أصدره الباي مصطفى سنة 1799م الذي منح حق استغلال الغابات الممتدة من بجاية إلى مدينة القل لليهوديين " بكري وبوشناق"، مما جعل السكان يعزفون عن هذا النشاط.[59]

* الخسائر المتزايدة أمام مواجهة الغارات والحملات المتعددة منها الإسبانية خاصة سنوات 1775-1783-1784م والتي ألحقت أضرارا بالغة الخطورة، إلى جانب حملة الأسطول الأمريكي سنة 1815م، و الهجوم الإنجليزي الهولندي على مدينة الجزائر سنة 1816م والذي خرب بالكامل تقريبا الأسطول الجزائري. [60]

* دعم الأسطول الجزائري لنظيره العثماني في معاركه البحرية الكبرى ضد روسيا والحلف الأوروبي خاصة في معركة ليبانتي سنة 1571م، ومعركة نافارين سنة 1827م.[61]

* معاهدات السلم مع الدول الأوروبية حد من عمليات تموين الأسطول الجزائري.

* تطور الأساطيل الأوروبية خاصة بعد ظهور السفينة البخارية سنة 1807م وانعكاس الثورة الصناعية السلبي على اختلال التوازن لغير صالح الأسطول الجزائري، الذي لم يخضع لتنظيم محكم، و لم يكن موحدا ومنسجما.[62] .

---

(59) Garrot (Henri), Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910.p,654.

(60) بوعزيز (يحيى)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا(1500-1830) ،مرجع سابق، ص : 16-17

(61) Devoulx (Albert), Recherches sur la coopération de la régence d'Alger à la guerre de l'indépendance Grecque, in R A, N°: 7,1856,p.57

(62) شويتام (أرزقي)، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي – الفترة العثمانية- مرجع سابق، ص. ص: 59-62

* العزوف عن ركوب البحر، حيث بدأ تفضيل الخدمة في الجيش الانكشاري، خاصة بعد تفشي وباء الطاعون سنة 1786م بين البحارة.

ساهم الأسطول البحري بأدوار إيجابية في مختلف المجالات:

1- عسكريا:

-تحرير سواحل المغرب الإسلامي من الاستعمار الإسباني.

- والتصدي للغارات والتحرشات طيلة ثلاثة قرون.

-مشاركة الدولة العثمانية في حروبها ضد الأوروبيين.

-حماية سفن الدول الصديقة.

-فرض نظام المرور في الطرق البحرية بالبحر المتوسط.

2- سياسيا:

-تأمين استمرار النظام السياسي العثماني بالجزائر.

-رسم حدود قارة للكيان السياسي للجزائر والدفاع عنها.

-منح الجزائر مكانة دولية في واقع العلاقات الدولية .

3- اقتصاديا:

- مورد أساسي للدخل من حيث:

- غنائم العمليات الحربية.

- عائدات الفدية على أسرى الأوروبيين.

- الإتاوات المفروضة على الدول وهي ثلاثة أنواع:

أ/ اللزمة:

التزام تعاقدي مقابل السلم، أو التزام رياس البحر بعدم التعرض للسفن التجارية للبلد المعين، ومن أشهر الدول التي حافظت على تقديم اللزمة مقابل السلم كل سنتين: الولايات المتحدة الأمريكية حتى سنة 1815م، وهولندة والبرتغال والسويد والدانمرك حتى سنة 1791م قدرت قيمتها في المتوسط بحوالي 125ألف فرنك فرنسي قديم.

ب/ التزامات تجارية خاصة فرنسا مقابل امتيازاتها في مدينة " القالة" من طرف شركة إفريقيا الملكية الفرنسية.

ج/ العوائد:

وهي أعطيات وهدايا وهي نوعان: هدايا بمناسبة تعيين قنصل جديد .كما حاول النظام العثماني تنظيمها لمدة سنتين، وهدايا المناسبات كرأس السنة الميلادي والأعياد أو مجيء الوفود للتفاوض على أمر معين.[63]

تميزت موارد المداخل البحرية بعدم الاستقرار حسب حالة الأسطول الجزائري، ووضع العلاقات الدولية، و لم تكن خزينة الدولة تستفيد إلا بنسبة قليلة نظرا لتعدد المستفيدين منها، مثل الرياس ومجهزي المراكب والداي وموظفي الموانئ، يقول "**حمدان خوجة**":

«عندما تجلب الغنائم إلى مدينة الجزائر تباع للسكان وتوزع قيمتها حينا على ذوي الحقوق، وتأخذ الخزينة العامة الخمس كنصيب لها ووفقا لما تنص عليه الشرعة الإسلامية، على أن هذا الخمس لم يكن تاما أبدا، لأن الأشياء الثمينة كانت تؤخذ قبل الإطلاع على الغنائم ».[64]

4- دبلوماسيا:

تنوع علاقات الجزائر الخارجية ببعديها التكاملي التعاوني في إطار الخلافة الإسلامية والتوازن الدفاعي إزاء الدول البحرية الكبرى في العالم، يهمنا منها تطور العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال العهد العثماني.

---

[63] سبنسر (وليام)، مرجع سابق، ص:195-196

[64] خوجة ، حمدان ، مصدر سابق، ص:118

الفصل الأول

انطباعات و ملاحظات الأوروبيين حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني

أولا: الدوافع السياسية :

- الجوسسة

ثانيا : الدوافع الانسانية والدينية

ثالثا: الدوافع العلمية

رابعا : الدوافع السياحية والثقافية

خامسا : مؤلفات الرحالة و المغامرين و الجواسيس و رجال الدين

1- مارمول كارفجال
2- فراي دياقو دي هايدو
3- الأب بيير دان
4- لوجيي دوطاسي
5- فونتوردي بارادي

سادسا : طبيعة الكتابات الأوروبية و القيمة الإخبارية لها

الفصل الأول

انطباعات و ملاحظات الأوروبيين حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني

تعددت الدوافع التي جعلت الأوروبيين من قناصل وتجار وجواسيس ورحالة أن يشدوا الرحال نحو الجزائر أثناء العهد العثماني، والاهتمام بتاريخها وألقوا بذلك أهم المصادر الأوّلية التي غطت تقريبا مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الجزائر أثناء تلك الفترة ،ولعل أهمّ هذه الدوافع :

أولا: الدوافع السياسية :

بالرغم من جهل الفرنسيين في أول الأمر بواقع الجزائر وتاريخها، ورغم انشغالهم بعمليات الحملة والاحتلال وافتقارهم في البداية الى الذوق الثقافي، فإنهم اتجهوا في نفس الوقت في البحث في ثلاثة مجالات وهي نشر الآثار القديمة عن الجزائر ، إنشاء اللجان العلمية ومنح الرخص للأفراد للقيام بعلميات البحث والجمع والتعريف بالآثار التاريخية في البلاد ، تكوين الجمعيات المختصة، والصحف والدوريات التي تحفظ المكتشفات التاريخية وتعتني وتعرف بها المهتمين .

وفي نطاق المجال الأول نشروا منذ عام **1830** كتب الرحالات والانطباعات التي كتبها الأوروبيون عن الجزائر خلال العهد العثماني، مثل بانانتي ودراندا وهايدو وفانتوردي دو برادي، كما نشروا غزوات عروج وخير الدين مترجمة عن النسخة العربية وإهتموا (بالزهرة لنيرة (وبالوثائق العربية التركية) من جهة أخرى نشرا مراسلات دايات الجزائر مع حكام فرنسا، ومذكرات وتقارير القناصل والجواسيس الفرنسيين أمثال دوبوا تانفيل، وبوتان وكيرسي .واهتموا بأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا وبتقارير الشركات الفرنسية التي توالت على ما كان يسمى (بحصن فرنسا). و تتمثل دوافع و أسباب الكتابات الأوروبية عامة و الفرنسية الإسبانية خاصة في العوامل التالية:

- **الجوسسة :**

لقد كانت أوضاع الجزائر الداخلية غير خفية على الأوروبيين لكثرة ما كان لهم من مخبرين رسميين كالقناصل و التجار وغير الرسميين كالجواسيس و السواح([1]) فالقناصل المعتمدون في الجزائر يمثلون بلدانهم لدى الجزائر ويقدمون التقارير المفصلة حول أوضاع الايالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ،وقد استعملت بعض الدول الأوروبية ،جواسيسا من الرحالين والأسرى الموجودين في السجون الجزائر ،أو العاملين في القصور الديات ،بالإضافة الى المقيمين في الجزائر و المد الساحلية تحت غطاء التجارة أو دراسة الآثار و النباتات و الحيوانات أو في إطار البحوث الطبية([2]) .

فالرحالة الاسكتلندي "وليام لايتغو" « **William Lightgow** »الذي زار الجزائر سنة 1615 ،وصف مدينة الجزائر قائلا "تقع مدينة الجزائر على سفح ربوة شديدة الانحدار ، وتبدو مثلثة الشكل وهي محصنة جدا من ناحية البحر بالأسوار والتلال والمعاقل التي تحدق بها على شكل هلال من ناحية البر ليست متينة ولا تجدي نفعا اذا ما تعرضت المدينة للهجوم المفاجئ "([3])، من خلال هذا القول يتضح أن الرحالة بين نقطة الضعف الدفاعية للمدينة ،أي المكان المناسب لدخول القوات المعادية ، كما وصل به الأمر أن يحدد الوقت الفترة المناسبة للهجوم من خلال قوله : "وكثيرا ما يخرج أغلب سكان المدينة الى المرتفعات المجاورة هروبا من الجو الحار الذي لا يطاق في السهول الساحلية ،وتلك هي العادة في الجميع المدن خالية من تلك الشهور من نصف أهاليها المدافعين عنها ،فتلك أحسن فترة وأنسب وقت للمسحيين اذا أرادوا الدخول إليها أو اقتحامها"([4]).

أما الأب الترنيتاري([5])، "فرنثيسكو خيمنيث" الذي جاء الى الجزائر تحت غطاء تحرير الأسرى و بناء مستشفى لهم بوهران ،فقد ألف ثلاثة مجلدات تخص رحلته الى وهران و

([1])عبد الله، العروي ،مجمل تاريخ المغرب ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،1999 ،ج 3 ،ص79

([2])أحمد، السليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر 1994 ،ص 71

([3])حنفي ،بن عيسى "ميشل، آبار"الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي "،مجلة الثقافة ، العدد ، 3 الجزائر 1971 ،ص 48

([4]) نفسه.

([5]) الترينيتاريين **TRINITAIRES** هي طائفة أسسها سان جان دي ماتا (**SAINT JEAN DE MATHA**) هدفها المداواة وافتداء الأسرى ،ووجدت تشجيعا ومساندة من طرف الباباوات والملوك المسيحيين ، ولقد تمكنت من افتداء أكثر من خمسمائة ألف أسير ،أنظر: الهادي الوسلاتي،" المستشفى الترينيناري الاسباني" المجلة التاريخية المغربية ، بتونس العدد ،22/21، جوان، تونس 1981 ص 167

الجزائر من 1717 الى 1720 ،ونلاحظ انّ توقيت زيارته كان في فترة حرجة ما لبثت وهران أن تم احتلالها للمرة الثانية سنة 1732 ، بعد مغادرته للجزائر باثنتي عشرة سنة ، مما يرجع أن تكون الجوسسة من ضمن مهامه التي جاء من أجلها الى الجزائر .

وقد اعترف خيمنيث نفسه بقوله "إن الباي قد دخلته الريب في أمرنا و ظن أننا قد نكون من الجواسيس الذي جاءوا لمعاينة المكان ، و أمام ما يتهددنا من خطر طلبنا من القنصل الإنجليزي التدخل لنا عنده مرة ثانية كي يسمح لنا بالبقاء مدّة أخرى([6])" وفي مذكراته يبتهج خيمينس باحتلال وهران و يتمنى احتلال تونس فيقول :"إن الإرادة الإلهية التي تركت هذه القاعدة للكفار أعواما قليلة ، لأن ملكنا الكاثوليكي استردّها سنة 1732 ، هذه العناية الإلهية لم تسمح ببناء المستشفى في وهران كي تسهل بناءه في تونس حيث الحاجة إليه لا تقل أهمية عما في وهران ، فهذه بعد الأسرى في حاجة الى مستشفى لأنه لم يعد هنالك أسرى ،عكس ما هو في تونس حيث هم بكثرة ، وهذا لا يعني أن الله يريد ذلك ، ولكن الله يريد أن يحفز الأمر المسيحيين على فتح هذه المدينة حتى لا يعود الترينيتاريون في حاجة للبقاء فيها([7]) ".

أما الروسي "كوكوفتسوف" الذي زار مدينة عنابة سنة 1777 كان هدفه الرئيسي من هذه الزيارة : الاستعلام عن قوات البحرية الجزائرية التي ستنضم الى الأسطول العثماني ، في حالة نشوب نزاع بين روسيا و الدولة العثمانية فالحكومة كانت متلهفة للحصول على المعلومات الخاصة بدول المتوسط ، بعد أن قررت كاترين الثانية ([8])أن الوقت قد حان للقضاء على الإمبراطورية العثمانية والروسية والدول البربرية ،لتحييدها في حالة الحرب بين الإمبراطوريتين العثمانية والروسية ، فان فشل في ذلك فعلية جمع المعلومات اللازمة حول

([6]) ميكال،دي ايبليزا و الهادي ، الوسلاتي ،" ملاحظات أب اسباني بزور وهران في عهد مصطفى بوشلاغم "، المجلة التاريخية المغاربية،العدد 12، جويلية، تونس: 1978 ص 199

([7]) ميكال ،دي ايبليزا والهادي ، الوسلاتي ،المرجع السابق ، ص 196

([8]) هي امبراطورية روسيا (قيصرة) : 1729- 1796 حكمت مدة 34سنة ، وتوسعت روسيا في عهدها على حساب الامبراطورية العثمانية.

القراصنة والسبل الكفيلة لوضع حد لعملياتهم ،وعند الضرورة تنظيم عمليات لمقاومة القرصنة [9]

أما "فونتير دي بارادي" الذي أوفدته فرنسا الى الجزائر من أجل تسوية الخلافات التي نشبت بين الدولتين فيبدو أن مهمته كانت أشمل من ذلك ، ولم يقع الاختيار عليه عشوائيا أو اعتباطا وهو الذي يحسن اللغات العربية التركية و اللاتينية و أيضا اليونانية ، وانضم الى مدرسة اللغات الشرقية ،وعمره لا يتجاوز أربع عشرة سنة ، وهذه المدرسة هي مؤسسة ملكية متخصصة في تكوين دبلوماسي المستقبل (الجواسيس) .[10]

و بخصوص الضابط "بوتان" فقد أقام في الجزائر سنة 1808 م على أساس أنه من هواة الآثار واستقبل من قبل القنصل دوفال في مدينة الجزائر ،وفحص المدينة ،من رأس تامنفوست الى سيدي فرج وحصل على معلومات هامة خارج الحدود المسموح للأجانب بزيارتها ،واستطاع أن يخدع يقظة الشرطة ،وقدم لبلاده عملا كان من المصدر الرئيسية الى عول عليها منظمو حملة عام 1830 [11]

بينما "بانانتي" الذب مدّد إقامته بالجزائر بعد أن أطلق سراحه سنة 1814 ،كان من أجل التجسس انتقما من الجزائر التي أسرته ،و خدمة لإطماع الدولة الاستعمارية الأوروبية ،خاصة وأنه نادى صراحة باحتلال شمال افريقيا بأكمله وأظهر أهمية ذلك للأوروبيين وقد ساق الحجج الكثيرة التي حاول تبرير موقفه بها فيقول : أين تستطيع أوروبا أن تجد كسبا أكثر أهمية من سواحل شمال إفريقيا ؟فليس هناك مستعمر واحدة التي أقيمت حتى اليوم في أي بقعة من العالم تستطيع أن تقارن مع هذا الساحل ،سواء في مناخه أو غلاله الطبيعية وهي بقعة جميلة تنمو فيها أغلب المحاصيل.[12]

ثانيا : الدوافع الانسانية والدينية

---

[9] **Marcel Emerit « Description de l'Algérie en 1787 » In ,RHM N°4 , Tunis , 1975, PP. 209-210**

[10] **VENTURE DE PARADISN. Tunis et Alger .Au XVIII Siècle Sindbad paris 1983, P.7**

[11] أحمد، سليماني، تاريخ مدينة الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. (د س ط)ص 71-72

[12] **FILIPPO,PANATI,Relation d'un séjour à Alger le normant, Paris 1820, pp.576**

نظرا للحروب البحرية بين الجزائر وأوروبا ،تم أسر عدد كبير من البحارة الأوروبيين ،مما استدعى تدخل الدول الأوروبية لتحريرهم عن طريق البعثات و الوفود السياسية ،التي كانت تفاوض من أجل إطلاق سراح رعاياها ،أو عن طريق رجال الدّين انتقلوا الى الجزائر لمساعدة العبيد المسحيين روحيا و السعي الى تحصيل المبالغ اللازمة لافتدائهم في حدود الأموال المتاحة لهم. فقد وجد في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي أوروبيون ممثلون قنصليون، ورجال الدين.[13]

قام هؤلاء الأوروبيين ببناء المستشفيات و الكنائس لهم ، فقد قام الأسبان بإنشاء مؤسسة كاثوليكية ، وقد وصفها "كاثكارت" بأنها ،"أكبر المؤسسات الخيرية في العالم كله ،حيث تقدم رعايتها لجميع المسيحيين الأسرى دون أن يأخذ في الاعتبار عقائدهم و طوائفهم الدينية و قومياتهم" .[14]

لقد جاء العديد من الرحالة الأوروبيين الى الجزائر للكتابة عن الأسرى و الاشارة الى أحوالهم المادية والمعنوية "فوليام ليثقو" الذي وصف الحالة التعيسة التي كان عليها عدد كبير من الأسرى ،و أغلبهم من الإسبان الذين يشتغلون في حقول وبساتين أسيادهم الجزائريين ،تأسف من كون السفن الإنجليزية الضعيفة تغامر بنفسها في البحر الأبيض المتوسط وتنهزم أمام الأسطول الجزائري وساق أفرادها أسرى ،ثم يستنجد هؤلاء بالمواطنين الإنجليز لدفع الفدية وتخليصهم من الأسر. أما الأب "دان" فقد كللت رحلة الفداء التي قام بها الى الجزائر ،بتحريره لاثنين و أربعين أسيرا فرنسيا عاد بهم الى فرنسا في شعر مارس من سنة 1635[15]

في حين تعتبر رحلة الأب : فرنثيسكو خيمينس نموذجا للرحلة التي جمعت بين الدافع الاسباني و الدافع الديني ،حيث استطاع أن يمر من قرطاجنة الى وهران بعدما تغلب على بعض الصعوبات هو ورفيقة ،و أخيرا سمح لهما الباي بوشلاغم بالدخول الى وهران يوم 04 ماي 1718م وكانت إقامتهما في منزل القنصل الإنجليزية ،ويقول عنه الأب خيمينس

---

[13] سالفاتوري ،بونو " وضع الجاليات الأوروبية في المغرب "مجلة الأصالة العدد،25 ، ماي- جوان ،الجزائر 1975، ص ص 138-152.

[14] جيمس ليندر،كاثكارت: مذكرات أسير الداي ،ترجمة إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،1982ص 103

[15] ميشيل آبار: المرجع السابق ، ص48

:"بالرغم من كونه من المرتدين الأشداء فقد ألهمه الله لإكرامنا وقد سمح لنا رغم ردته أن نقيم القداس في منزله و أن نشرف على الشؤون الروحية و نبشر بكلام الله بين الأسرى" [16].

لقد حاول خيمينس إحياء موضوع بناء المستشفى إلا أنه فشل ،وبذلك تحول هذا المشروع التى تونس ،كما قام بتعليم الشبان الذين أسروا صغارا كل ما يتعلق بالدين المسيحي حتى يحافظوا على دينهم ولا يتنكروا له.[17]

ثالثا: الدوافع العلمية :

توافد على الجزائر عددا معتبرا من الرحالة الأوروبيين بهدف البحث و الاستكشاف وتنمية قدراتهم العلمية وقد اهتموا بدراسة الطبيعية و الجغرافية و مجموعة الحيوانات و العصافير الموجودة بالإيالة ،وحتى الآثار الرومانية كما اهتموا بالأمراض التي كانت متفشية في تلك الفترة في الجزائر وفي العديد من مناطق العالم . وكانت هذه الرحلات و البعثات العلمية تنضم و تمول من طرف الجمعيات العلمية ،التي تقوم بطباعة أعمالهم ونشرها ضمن نشاطهم العلمي فتوماس شو الذي كان يشتغل مع الوكالة التجارية الإنجليزية قضى اثنتي (عشرة 12) سنة في البحث و الدراسة ،مما يسمح له أن يؤلف كتابا حول رحلته في ايالة الجزائر.[18]

أما" دارندا" الذي تعرض للأسر، فإن المدة التي قضاها في السجن بين 1640-1642نقلها ووصفها بصدق في كتاب الذي أصبح من المصادر الهامة حول الأسر في الجزائر[19]

بينما كانت زيارة الطبيب الفرنسي بايصونال لسواحل بابربارياي في سنتي 1724 و 1725 من أجل مواصلة أبحاثه خاصة حول الطبيعية الحقيقية للمرجان ،إذ ساد الاعتقاد أنه معدني ثم

---

[16] **DENISE, BRAHIMI : Opinions et regards des européens sur le Maghreb aux XVII et XVIII siècles société nationale d'édition et de diffusion Alger 1978. P13**

[17] ميكال دي ايبليزا و الهادي الوسلاتي : المرجع السابق ص 197

[18] نفسه، ص 196-198

[19] **Shaw (Dr), Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc., et de cet état, Trad. de l'Anglais avec des nombreuses augmentations par J.Mac Carthy, Paris, Malin, 1830, 2 vol.**

نباتي ،وتوقع هو بصدق أنه حيواني. واستغل باصيونال تواجده في شمال إفريقيا[20] أيضا لمواصلة دراسته حول وباء الطاعون ،الذي توفي به والده الطبيب في مرسيليا سنة 1720، [21]كما أوفد الطبيب الألماني جون أرنست "هبنشترايت" "**J.E HEBENSTREIT**" الى شمال إفريقيا على رأس بعثة علمية سنة 1732،مهمتها الرئيسية تتمثل في جلب حيوانات و طيور و أعشاب و أزهار وصخور وأشياء أخرى ،وقد كللت مهمة هبشترايت بالنجاح بفضل المساعدة التي تلقاها من طرف عبدي داي ،كما يتعرف بذلك هبشترايت نفسه حيث يقول :"وبعد أن تأكد الداي من أبحاثنا تشرف بلاده ،وبعد أن أوضح له القنصل بأنه لم يكن في نيتنا أي تصرف عدواني ضد كل ما يمس بسلطته ،أخبرنا بواسطة مترجمة بأن بلده مفتوحة لنا و أننا نستطيع أن نعتمد على حمايته".[22]

وقد وفى الداي بوعده نحو هبنشترايت وبعثتة و منحهم كل التسهيلات لأداء مهمتهم ،وأذن لهم بالانضمام إلى إحدى الفرق العسكرية التي كان من المقرر لها أن تجوب منطقة المدية ،حيث زاروا كل من المدية مليانة والبليدة وتحصلوا على كمية معتبر من النباتات والحيوانات ونوادر أخرى[23]كما زودهم بالتوصية اللازمة حتى يجدوا المساعدة والنجدة لدى باى قسنطينة [24]والذي أحسن استقبالهم بدوره وخصص لهم خيمة نظيفة وحرسا كافيا لمرافقتهم الى الأماكن التي تحوي الآثار الرومانية[25].

وفي أواخر القرن 18 م وصل الى شمال إفريقيا كل من عالم الطبيعيات الفرنسي "دي فونتين « **D.R Desfontains** » والقس الفرنسي"بواري"«**POIRET ABBE**» حيث اهتم الأول بالنباتات و الأزهار و الزراعة ،و أخد معه بعد المدة التي قضاها بالجزائر و تونس من

---

[20] **Peyssonel et Desfontaines, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Pub. par. M.Dlureaud de la malle, Paris, Gide, 1838, 2 vol.**

[21] **DENISE ,.BRAHIMI ,op.cit, , P.31**

[22] **MOUNIR, FRENDI « Trois Voyageurs allemands en Tunisie au XVIII siècle in RHM, N°35-36 Tunis,Juin,,1984, p.85**

[23] **Ibid, PP. 88-91**

[24] هو الباي حسين قليان المدعو بوكمية حكم بين 1713-1736 وامتياز فترة حكمه بالاستقرار

[25] **EUGENE, VAYSSETTES : Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517-1837 BOUCHENE, Paris 2002. P.99**

1783 الى 1786 مجموعة هامة من الأعشاب حفظت بمتحف العلوم الطبيعية بباريس ،استعملها في إصدار كتابه حول نباتات الأطلس أما الثني فقد جاء الى الجزائر سنة 1785. اهتم في أبحاثه بتاريخ شمال إفريقيا ، وبالتاريخ الطبيعي للمنطقة ،وتوقع أن يجد رجل الطبيعة الذي يعيش على فطرته طيب و شريف ، لكن معرفته ببعض قبائل البدو العربية في جوار القالة ،قريبا من بونة وفي الإقليم القسنطيني، بدا له بخلاف ذلك رجل "بربارية" « **BARBARIE** » منتعشا بالمشاعر الأكثر غدرا ومكرا وفسادا .[26]

وهكذا وجد بواري نفسه مجبرا على الإقرار سريعا بأن العرب البدو لا علاقة لهم على الإطلاق برجل الطبيعة الأسطوري الذي وصفته فلسفة "روسو" ،وحتى إذا افترضنا أنهم كانوا قديما شرفاء وذوي شهامة ، فقد انحلت أخلاقهم و انحطت منذ الحين.[27]

رابعا: **الدوافع السياحية والثقافية**

رغبة في دراسة أحوال الشعوب ومعرفتها وحبا للسفر الذي يمكنهم من تغيير الأجواء ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة و البشر واكتساب الخبرة بالمسالك و الطبائع ،زار الجزائر مجموعة من الرحالة الأوروبيين، أقاموا الجزائر خلال الفترة العثماني. [28] ومن بين هؤلاء الإسباني "مارمول" « **Marmol**» الذي أبحر مع شارل الخامس[29] أثناء حملته على تونس في جوان 1535 ولم يتعد عمره الخامسة عشر، وقبض عليه بنواحي وهران سنة 1545 حيث اقتيد الى تلمسان وفاس ومراكش ،ودام أسره بالأراضي الإسلامية سبع سنين و ثمانية أشهر، مما سمح له بمعرفة البلاد و العباد ، ومكنته هذه المدة من جمع قسم هام من

---

(26) **Jean –louis marie ,Poiret, Voyage en Barbarie, ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785 et 1786, sur la religion, les coutumes et les mœurs des Maures et des Arabes–Bédouins ; avec un essai sur l'histoire naturelle de ce pays.Lyon,1789.**

(27) **Denise, Brahimi,:op.cit, P .:165**

(28) فؤاد، قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي الدار العربية للكتاب ، ط2 ،2002 ،ص 20

(29) ولد سنة 1500م وتوج ملكا لإسبانيا سنة 1516 ثم امبراطورية على ألمانياكوريث شرعي للأسرة آل هابسبورغ بعد وفاة جدة ماكسيمليان وكان والده قد توفي سنة 1515 م وترك له أمريكا ، قشتالة ، أراغون،نافارا ، نابولي هولندا ، وغدت فرنسا محاصرة بين أملاك الواسعة ،ازاء ذلك نشبت الحرب بينه وبين فرنسا ، انهزم سنة 1541 أمام الجزائر ، ونتج عن ذلك ترك الحكم لابنه سنة 1556(فليب الثاني) ، و توفي سنة 1558

المعلومات الضرورية لتأليف كتابه وصف عام لإفريقيا وبعد تحريره من طرف رجال الدين المسيحيين سنة 1557م اختار "مارمول" البقاء في شمال إفريقيا ليواصل بكل حرية رحلاته في المناطق التي لازالت مجهولة بالنسبة إليه ،وقد أضاف الى المدة التي قضاها بالأسر أكثر من أربعة عشر سنة أخرى ، فصار مجموعة إقامته بشمال أفريقيا اثنتين وعشرون سنة ، تمكن من خلالها من تعلم اللغة العربية و العثمانية ومعرفة جغرافية المنطقة و سكانها وحكامها و الأحداث التي وقعت فيها، وبالتالي كان مطلعا على تاريخ المنطقة وحضارتها . كما زار وليام ليثغو الجزائر في الربع من القرن 17م ، مدفوعا برغبته جامحة لزيارة هذه البلاد المجهولة التي كان الشغل الشاغل في أوروبا آنذاك هو الحديث عن بطولات أبناء الجزائر وأعمالهم الباهرة أو المنكرة.[30]

وقد صادفت زيارة هذا المغامر ظروف غير مناسبة للسياحة والترحال[31]تمرّ بها الجزائر في مطلع القرن 17م لكم هذه الظروف الصعبة لم تمنع ليثغو أن يصف تلك الأحداث و يدوّنها في كتاب .

خامسا : مؤلفات الرحالة و المغامرين و الجواسيس و رجال الدين

1- مارمول كارفجال MARMOL CARVAJAL:

سائح ومؤرخ اسباني ، ولد في غرناطة وعاش في القرن السادس عشر ، اشتغل ضابطا في جيش الإمبراطور شارل الخامس وشارك في الحملة التي شنّها الأخيرة على تونس في سنة 1536م ،وقد وقع أسيرا في يد العثمانيين و بقى في شمال إفريقيا قرابة ثمان سنوات ،وفي غضون هذه المدّة أتيحت له فرصة للسياحة و النزهة مع أسياده في مختلف أطراف البلاد ،وكذلك استغل وقته لتعلم اللغة العربية التي تمكن بواسطتها من جمع معلومات تاريخية وجغرافية عن هذه البلاد ، وبعد حصوله على حريته قام بتآلف كتابه "وصف عام لإفريقي"ا **DESCRIPTION DE AFRICA** باللغة الإسبانية اعتمد فيه على الملاحظات

---

[30] ميشيل ،آبار، الرجع السابق ، ص 46

[31] تتمثل هذه الظروف في الحملة الاسبانية الفاشلة على الجزائر هجوم التوكسانين على الجزائر ، هجوم فرسان القديس يوحنا على الجزائر ، انتشار وباء الطاعون ، وسيادة الجفاف ،أنظر ميشيل، آبار ،المرجع السابق ص 42-43

الحسن الوزان وفد صدر في غرناطة عام 1573م ، وقام بترجمته الى الفرنسية ونشره في ثلاثة أجزاء "دابلونكورت" « **D'ABLANCOURT** » في باريس سنة 1667 و المعلومات التي قدّمها المؤلف في هذا الكتاب تشمل جميع مناطق إفريقيا الشمالية حتى النيجر ،بما في ذلك الصحراء الكبرى وإثيوبيا ومصر ، كما يحتوي على معظم المعارك التي وقعت حتى سنة 1574.[31]

كما وضع "مارمول" كتابا آخر يصف الثورة التي قام بها المسلمين في غرناطة في عصر فيليب الثاني وللفضائح التي ارتكبها هذا الملك المسيحي.[32]

2- فراي دياقو دي هايدو FARY DE DE HAËDO

راهب اسباني تعرض للأسر و الاختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين في شهر أفريل عام 1578 بينما كان يستقل سفينة تابعة لقراصنة مالطا رفقة مائتين وتسعة وثمانية شخصا كلهم واقعو في قبضة الأسر ،وفي سنة 1581 تم إطلاق سراحه ، وقام بنشر أعماله تحت عنوان" طبوغرافية تاريخ الجزائر العام[33]."

يعتبر هذا الكتاب من الوثائق النادرة والهامة التي ترتبط بالجزائر التي كانت محطة للأسرى المسحيين ومراكز هاما من مراكز القرار العثماني التركي ،وموقعا متميزا للقرصنة والإنكشارية .

وللكتاب أهمية لأسباب عديدة يأتي في مقدمتها أن صاحب هذا الأليف هو الذين عاشوا ويلات الأسر في الجزائر ،كما يعتبر من المستنيرين القلائل .التي حظيت باستضافتهم سجون

---

[31] إسماعيل العربي: " بجاية من خلال النصوص الغربية" في مجلة الاصالة ، العدد 13 عدد خاص ، جوان، 1972 ، ص 74

[32] **Luis del Mármol, Carvajal, Historia del rebelión y castigo de los moriscos del Reino de Granada,Madrid,1600.**

[33] هذا الكتاب حسب رأي المحققين نسب خطأ للراهب دياقو دي هايدو و الذي قام بنشر لأول مرة سنة 1612م في المطابع دياقو فيرناديت دي كردوبا بنفقة أنطونيو كويو أحد تجار الكتب وفي الاهداء يشير الناشر الى نسبه هذا الكتاب الى أسقف باليومو وحاكم مملكة الصقلية**don deigo de haedo** الاان كلا من الدكتور **emilio zola** و**georges camicas** فإنهما يؤكدان عدم صحة انتساب هذا الكتاب لدياقودي هايدو في حين يظل كل من الكتاب الفرنسيين **henri de grammant ferdinand denis** يلحان على وجود أسير بسجون الجزائر يعرف بهذا الاسم مابين عامي 1578-1581 استنادا الى الاب بيير دان في محفوظة "مشاهير الأسرى" الموجود في مكتبة مزارين.

الجزائر شأنه في ذلك غيره من مشاهير الكتاب الإسبان من أمثال "دي سرفانتس ميكال".[34] لذا فشهادة هؤلاء تعد وثائق تاريخية لأنها صادرة من شخص واع و عن شاهد عيان .

ينقسم الكتاب الى بابين كبيرين باب خصصه لتاريخ حكام الجزائر العثمانيين الأتراك و باب خصص لوصف مدينة الجزائر العاصمة ،فالجزء الأول منه تعرض فيه المؤلف الى حياة الأسرى المسحيين ، كما تعرض بالذكر في الجزء الثاني لشهداء العقيدة منهم الذين ماتوا في غياهب سجون الذين من بينهم على وجه الخصوص المسيحيون الإسبان ،أنا الجزء الثالث لقد خصص للمرابطين الجزائريين أو رجال الزوايا .

لقد اعتمد "هايدو" في كتابه على الشهادات حية سجلها من أفواه بعض الأسرى ،كما اعتمد على المصادر التاريخية المعروفة وصف إفريقيا لليون الإفريقي وجغرافية "استربون **Estrabon**" في تحديد المواقع الجغرافية الطبيعية و الساحلية من عهد الرومان وقد خصص الراهب "هايدو" واحد وأربعين 41 فصلا للحديث عن كل أنواع الحياة الاجتماعية و عادات الجزائريين فقام كل من **BERBRUGGER** و **MONNEROU** بترجمة أجزاء ظهرت تباعا في المجلة الإفريقية العددين 14 و 15 كما ظهر جزء خاص بملوك الجزائر قام بترجمة **DE GRAMMONT**.[35]

3 - الأب بيير دان Père Pierre Dan

هو فرنسي الأصل و النشأة ولكن المرجع أن يكون مولده في السنوات الأخيرة من القرن 16م أو في مطلع القرن 17م ،حائز على شهادة البكالوريا في علم اللاهوت **Théologie** من جامعة باريس ، وقد انخرط في سلك رهبان منطقة الثالوث الأقدس و افتداء

---

[34] كاتب اسباني ، ولد سنة 1547، انخرط في الجيش الاسباني ، توفي سنة 1616 م

[35] عبد الله، حمادي ،"الجزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الاسبان "مجلة المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 ن العدد 06 مارس 2002 ص ص15-14. وينظر:

Haëdo, **Diego de**, **fray**, **Histoire des rois d'Alger**, **traduction**, **Grammont**, **Henri Delmas de**, **A**. **Jourdan** (**Alger**),**1881**.

الأسرى [36]و أهله علمه و تجربته ليشغل مرتبة مدير ورئيس لدير المنظمة ببلدة "شيل" **Schell** الفرنسية على عهد الملك لويس الثالث عشر ،وبهذه الصفة شارك ضمن بعثة منظمة الثالوث الأقدس في رحلة الافتكاك بشمال إفريقيا من أجل افتداء الأسرى الفرنسيين الجزائر وتونس ،ثم تقلد مهام إدارة ورئاسة دير المنظمة التي تأسست بالقصر الملكي"فونطين بلو" **Fontaine-bleau** ليصبح في النهاية الراهب المقرب من الملك لويس الثالث عشر ،وبتلك الصفة ظل على رأس الدير الذكور في عهد الملك الجديد لويس الرابع عشر ،حيث سيكون موقع متميز أهله لمتابعة مختلف رحلات زملائه رهبان منظمة "الماتوران" الى شمال أفريقيا ،لافتداء الأسرى و خاصة رحلات 1641، 1648. [37]

بينما كانت رحلة الى الجزائر يوم 12 جويلية 1634 ،بعد عوائق مختلفة أخرت موعد سفره ،وقد مكنته رحلة من تحرير اثنين و أربعين أسيراً عاد بهم الى فرنسا في مارس 1635،كما سمحت له تلك الزيارة أن يجمع المادة الأولية لكتبه تاريخ بربارياوقراصنتها[38]الذي نشر بباريس سنة 1637

وفي السنة الاولى التي توفي فيها سنة 1649 ظهرت طبعة جديدة للكتاب بها إضافة كثيرة ،وهي تضم حوالي 550صفحة من الحجم الكبير **21.5x30** سم ،ويضم المتن ستة أجزاء موزعة على أربعة وسبعين 74 فصلا في المجموعة .ففي الجزء الأول تحدث الكاتب على تاريخ القرصنة وشيوعها في شمال إفريقيا ، خصص له ثمانية فصول ،وتناول فيها تفسير مصطلحي "باربارياو "بارباري" مع وصف للبلاد وحكامها عبر التاريخ.وفي الجزء الثاني أشار

---

[36] تمثلت مهمة المنظمة في تحرير افتداء الأسى الاوروبيين ،حيث كان تخصص ثلث مداخيلها لذلك ، وقد قامت بحوالي ستين 60 عملية افتداء انطلاق من الارضي الفرنسية من القرن الخامس عشر الى القرن الثامن عشر، تم خلالها تحرير حوالي ستة آلاف أسير ، ينظر: **Denis.brahimi.op.cit.p13**

[37] حسن ،أميلي" النظام العسكري في الولايات المغاربية العثمانية من خلال المؤرخين الفرنسيين نيكولاي و الراهب بييردان"،منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 123، 2005،ص179

[38] **Dan (Père), histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes d'Alger, de Tunis, de Sali et Tripoli, 2ème édition, Paris, P.Rocdet, 1637.**

الأب بييردان الى المدن القرصانية في شمال أفريقيا، أوضاعها و جزأه الى 24 فصلا في خمس إخباريات :

– الخبر الأول: حول أوضاع مملكة الجزائر ومدينتها ودورها القرصاني ،الخبر الثاني: حول مملكة تونسو مدينتها وقراصنتها ،الخبر الثالث تحدث على ممالك المغرب ، ومدينة سلا ودورها القرصاني ،الخبر الرابع خصص للمدن الإسلامية القرصاني ونتائجه ،خصص له المؤلف ثمانية 08 فصول للاهتمام بالحياة العلمية لقراصنة شمال أفريقيا مشيرا الى أسباب نجاح المسلمين في هذا المجال ، وكيفية استعدادهم وتجهيزاتهم المعتمدة ، ثم يتطرق الى أهمية المغانم وكيفية توزيعها .

وفي الجزء الرابع يشير المؤلف إلى أهمية العلوج ،ووضعيتهم وأدوارهم القرصانية و العسكرية، وخصص لهم 10 فصول كاملة، متطرقا الى دوافع المسحيين في التحول الى علوج، ومساعي المسلمين في إجبارهم على ذلك، ومع وصف للطقوس الاحتفالية ،مقدما أعداد العلوج حسب المدن القرصانية، ثم يتحدث عن العقوبات التي يتعرض لها من ارتد منه الإسلام، أو حاول الفرار الى الأراضي المسيحية. [39]

أما الجزء الخامس تحث المؤلف حول معاناة المستعبدين المسيحيين ، وكيفية افتدائهم ،حيث وضعه في 16 فصلا تطرق فيه للظروف السلبية التي يعانون منها مند سقوطهم في الأسر برا أو بحرا ،وطرق استنطاقهم وبيعهم ،والتعسفات وأنواع السخرة التي يتعرضون لها خصوصا في طواقم التجديف مع وصف أماكن الاعتقال وأساليب المعاقبة .

وفي الجزء السادس والأخير تطرق المؤلف الى أدورا منظمة الثالوث الأقدس، يتضمن 08 فصول للتحدث عن ظروف نشأتها وانتشارها في العالم المسيحي واهتمامها مند البداية بافتكاك الأسرى ،كما أشار أدوارها التاريخية في إسعاف وتحفيز الحملات الصليبية السابقة. [40]

---

[39] حسن أميلي:"تاريخ بربارية وقرصنتها للراهب دان" ،في مؤسسة التميمي للبحث و المعلومات، زغوان ن تونس،العدد 106، فيفري 2002 نص 176-177

[40] نفسه ، 178-179

لقد صاغ بيير دان كتابه بأسلوب اللغة الفرنسية القديمة نتأثرا بعمق الروح الدينية الكاثوليكية نظرا لتكوينه المؤسس في علم اللاهوت ،إذ لا تخلو صفحة من الصفحات الكتاب من الإشارات المسيحية الممجدة للكنيسة الكاثوليكية والمتعصبة ضد العقيدة الإسلامية .

لقد اعتمد دان في تأليفه هذا على سعة اطلاع التي يشهد عليها تنوع و غزارة المصادر التي اعتمد عليها ،بدءا بالمصادر الدينية البارزة، ويتضح بجلاء في تعدد الإستشهادات المأخوذة من الكتب السماوية الإنجيل ، التوراة الى جانب الكتب اللاهوتية المعتمدة لدى الكنيسة والمؤلفة من طرف علمائها في مختلف العصور أمثال : القديس جيروم ،القديس أمبرواز، القديس أغسطين ،أوزيب ،يوحنا وغيرهم ، كما نجد حضورا قويا للفكر القديم في ثقافة المؤلف ومرجعياته، إذ أن أزيد من نصف مصادره تعود لفترة ما قبل القرن الثالث الميلادي ، كما نجده عند تناوله لتاريخ شمال إفريقيا وأوضاعها يعتمد بصفة أساسية على معايناته الميدانية نظرا لضآلة الكتب المهتمة بالمنطقة تاريخيا (ليون الإفريقي،مارمول كاربخال). [41]

للكتب أهمية كبيرة بالنسبة للباحث المهتم بتاريخ شمال إفريقيا و تاريخ الجزائر بشكل خاص ،بفضل ما تتضمنه من معلومات جديرة بالاهتمام،لاسيما الجزء الثالث من الكتاب ،يتميز بغزارة المعطيات التي حاز بها المؤلف من موقعه كباحث من خلال المصادر المتنوعة التي استغلتها بفطنة، أو من موقعه رحالة عاين عن كتب بعضها من الوقائع المعاصرة أو كمؤرخ فضولي يستقصي الروايات و الشهادات ،والتي أتت في معظمها غير متعارضة مع سيرورة الأحداث ، وتغطي الفراغ الذي خلفه التراث التاريخي المحلي خلال حقبة تميزت باضطراب الأوضاع و التي يقابلها سكوت المصادر.[42]

---

[41] حسين ،اميلي المرجع السابق ص 179-180

[42] أنظر ترجمته و خصوصيته في مؤلف في : بييرادان : تاريخ باراريا وقرصنتها " تعريب حسن أميلي – المجلة التاريخية المغربية –: الاعداد 106-107-108، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس، سنة 2002

4- لوجيي دوطاسي : Laugier de Tassy

هذا الرجل غير معروف جيدا فألبير دوفو الذي وضع كشافا لأهم الفرنسيين الذين أقاموا بالجزائر من سنة 1686 حتى سنة 1830، خصص له نبذة صغيرة عن حياته اسمه : « **Laugier Jacques Philippe** »موظف لدى القنصلية الفرنسية بالجزائر كموثق للعقود بقرار يوم 27 جويلية 1717، و تم تسجيله بالجزائر يوم 16 جانفي 1718 وبعد إقامة دامت نصف سنة تقريبا ،يغادر بسرعة وبلا رجعة يوم 02 جويلية 1718 تاركا للقنصل الفرنسي" بوم **Baume**" عبء ديوان القنصلية .

لقد شكل رحيله نفس موضوع ملاحظة في سجل ديوان القنصلية: طلب لوجي الرحيل وقد ذهب على متن سفينة المعلم "موليني دوكاسيس" **cassis Moulinier** هذا اليوم الثاني من جويلية سنة 1718م وفي سنة 1725 يشغل منصب مفوض البحرية لملك فرنسا بأمستردام أين نشر كتابه تاريخ مملكة الجزائر ولقد كان على اتصال مباشر مع واقع مدينة الجزائر[43]

وفي سنة 1727، يطبع بباريس بالعنوان الكامل : تاريخ مملكة الجزائر حكومتها و قوتها البرية و البحرية و مداخليها ، الشرطة القضاء ،السياسية والتجارة .وهذا المصدر عبارة عن دراسة دقيقة و مفصلة حول تاريخ الإيالة ، نظامها الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي.[44]

ولقد تم إعادة طبع الكتاب عدة مرات سنة 1732 ، في أمستردام ، سنة 1750 بلاهاي ،كما ترجمته الى عدة لغات الى اللغة الانجليزية ،الألمانية سنة 1753، الايطالية سنة 1754 والفرنسية و موقف "لوجيي دوتاسي" من خلال هذا الكتاب هو وضع حدّ لكل الأحكام المسبقة السائدة في أذهان رجال الدين في أوروبا ،وتصحيح الأخطاء الشائعة و النظرة الحاقدة الى الدول الأخرى و شعوبها خاصة في شمال إفريقيا و بالتحديد الجزائر ،رغم أن هناك سلبيات في نظام الحكم التركي ، إلا أن هناك ايجابيات لا يمكن إنكارها ، وبذلك يمثل

---

[43] Denis.Brahimi ,Op cit, P. 121

[44] De Tassy (Laugier), Histoire du royaume d'Alger, Paris, éd Loysel, 1992.

دوتاسي تيارا فكريا جديدا في أوروبا الذي بدأ يبرز في منتصف القرن **18**م.كما تطرف في مذكراته الى الحالة الاجتماعية ،بالرغم ، أنه لم يختلط بالشعب الجزائري ،لأنه عبد لا يسمح له بالخروج إلا في مواسم الأعياد .[45]9

5- فونتور دي بارادي Venture de Paradis:

ولد "جون ميشال فونتور دي بارادي" يوم 08 ماي 1739 بمرسيليا من ام يونانية ،وأب فرنسي كان يعمل كمترجم في العديد من قنصليات فرنسا بالمشرق وعمد بلوغه سن الثالثة عشر ، استفاد من منحه دراسية لتعلم التركية والعربية في معهد اللغات الشرقية بباريس ،وقد زاول وظائف عديدة في السفارة فرنسا باستانبول ،وفي قنصلياتها الموزعة على مختلف المدن العثمانية ،وبصفة خاصة في تونس بين 1780-1786 ،ثم في الجزائر بين 1788-1790[46] وتواجده بالجزائر في تلك الفترة ليس اعتباطيا بل أوفد من طرف الدولة الفرنسية لتسوية خلافات نشبت بين الجزائر و فرنسا ،فأقام سنتين بالعاصمة الجزائرية درس خلال نظمها وتراتيبها ، وكتب عنها المذكرات القيمة ،كما درس اللغة البربرية دراسة واسعة وألف قاموسا يترجم الفرنسية إلى العربية والبربرية. [47]

شارك "فونتور دي بارادي" في حملة نابليون بونابرت (**Napoleon Bonaparte**) على مصر 1798-1799 وجعله مستشاره لعلاقاته مع سكان البلد ،وكان له الفضل في ضم الكثير من القبائل العربية حول بونابرت ،وبقي مساعدا له حتى أصيب بمرض خطير أثناء انسحاب فرق الجيش التي كانت تحاول الانضمام لحامياتها في القاهرة،وكان ذلك قبل 15ماي1799 وقد علق بونابرت على موته قائلا لقد مات "فونتور" إنها لخسارة كبيرة لنا يعتبر"فونتوردي بارادي" أحد أكبر مستشرقي في القرن الثامن عشر ،نادي بضرورة تشجيع دراسة اللغات الشرقية في فرنسا[48] .

---

[45] **De Tassy (Laugier), Histoire du royaume d'Alger, Paris, éd Loysel, 1992.**

[46] **Venture de paradis ,Tunis et Alger au XVIII e Siècle ,sindbad, paris ,1983 pp. 9-10**

[47] أحمد توفيق ،المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 ، الؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائرن 1986، ص 161

[48] **Venture de Paradis, op.cit, Pp. 13-14**

لقد ذكره الجبرتي[49] في تاريخه وأثنى عليه و امتدح ومواهبه . لقد ترك "فونتور"عدة مؤلفات بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطا بالمكتبة الوطنية بباريس ومن بين مؤلفاته ترجمة كثير من الكتب العربية النادرة ومن أهم ما ترجمه:تاريخ الخلفاء و المماليك بمصر شيخ يوسف المقدسي،و الموجز الجغرافي والتاريخي لدولة المماليك لأبن شاهين الزيري.[50]

وأهم ما ألفه "فونتور دي بارادي" ،كتاب تحت عنوان تونس والجزائر في القرن 18م وهو عبارة عن تقارير عديدة ،تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية والاجتماعية في الأيالتين :تونس والجزائر ،وقد جمع تلك التقارير الفرنسي "جوزيف كوك" **Joseph** « **Cuoq** وحققها و نشرها تحت العنوان المشار إليه في باريس عام 1983.والكتاب يعتبر بحق مصدرا تاريخيا متميزا من حيث معلوماته والحقائق التي جاء بها ،وفرايدا من نوعه من حيث التفاصيل التاريخية التي يحتوي عليها بخصوص سيرة الإدارة الجزائرية بمختلف أجزائها العسكرية و المالية و الأمنية وضمنه معلومات حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الإيالتين .

---

[49] عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي ولد في القاهرة عام – **1756** وتوفي في القاهرة عام .(**1825** و هو مؤرخ مصري عاصر الحملة الفرنسية على مصر ووصف تلك الفترة بالتفصيل في كتابه» عجائب الآثار في التراجم والأخبار «والمعروف اختصارلًـبـ«تاريخ الجبرتي «والذي يعد مرجعاً أساسياً لتلك الفترة الهامة من الحملة الفرنسية .قدم أبو جده من قرية جبرت – والّتي تقع الآن في أرتيريا – إلى القاهرة للدراسة في الأزهر، واستقر بها. يعدُّ المؤرخون كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن الجبرتي، واحداً من المصادر الأساسية لدراسة التاريخ الإسلامي في سيرته الطويلة وهو ثالث ثلاثة كتب في التاريخ الإسلامي وقفت كالقمم الراسخة العالية في سلسلة كتابات تاريخية كثيرة تخللتها عبر العصور. ويستمد كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار أهميته في أنه أرَّخ لفترة شهدت أحداثاً ضخمة في قطر كبير من أقطار العالم الإسلامي .فقد شهدت هذه الفترة انحلال النظام العثماني المملوكي الذي قام في مصر منذ فتحها السلطان سليم الأول عام 1517م. ثم شهدت حكم الفرنسيين لها نحو ثلاث سنوات (1798-1801م)، ثم شهدت محاولة النظام العثماني العودة إلى مصر من جديد، ثم الإجهاز عليه تماماً على يد محمد علي. للمزيد يراجع:

عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث، بإشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب 1976م، ص 20.

[2] عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وآخرين، لجنة البيان العربي، الطبعة الأولى، 1958م، الجزء الأول، ص 4.

[50] أحمد توفيق، المدني الرجع السابق ص 162

لقد ساعدت المؤلف معرفته الجيدة باللغة العثمانية والعربية على فهم أغلب المسائل المتعلقة بتلك الموضوعات .وقد تميز هذا الكتاب بالدقة في التسجيل الأحداث ووصفها ،وعي الميزة التي تكاد لا توجد في المؤلفات الأوروبية الأخرى في تلك الفترة.

جدول لأهم المؤلفين: تاريخ و مكان و مدة تواجدهم بالجزائر

المؤلف	تاريخ الزيارة	المزارات	مدة الاقامة
كاربخال	1536	مختلف أطراف البلاد	8 سنوات
هايدو	1578	الجزائر	3 سنوات
دان	1634	الجزائر	سنة واحدة
دارندا[51]	1640	الجزائر	سنتان
خميمنث[52]	1717	الجزائر ، وهران	3 سنوات
دوطاسي	1718	الجزائر	5 أشهر و نصف

[51] امانويل دارندا : **Emanuel D'aranda**: بلجيكي من مواليد مدينة بروج ،وهو من أسرة كبيرة ،وأثناء سفره الى اسبانيا ،من أجل مواصلة دراساته وتعلم اللغة الاسبانية،تعرض الى الأسر من طرف قراصنة الجزائر، يوم 22 أوت 1640، بسواحل بريطانيا **BRETAGNE** وهي منطقة ادارية تابعة لفرنسا بأقصى الغرب تطل على المحيط الأطلسي ولقد دامت مدة أسره سنتين تقريبا ،حتى يوم 24 مارس 1642 ،ورغم قصر المدة الا أنه ألف كتابا عند عودته تحت عنوان "علاقة الأسر و الحرية" وقد تم طبعه سنة 1656 ، باللغة اللاتينية ،و الانجليزية و الاسبانية و يتم طبعه أخرى باللغة الفرنسية سنة 1665 بإدخال تعديلات ومعلومات جديدة .

ويعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا يصف لنا أوضاع الأسرى ،كما يبرز لنا طبيعة النظام السياسي للأيالة أنظر:

Denise.Brahimi ,op.cit ,pp. 35.36

[52] فرانسيسكو خمينيس: "**francisco jimenez**" اسباني وهو من رجال الدين المتخصصين يجمع المعلومات و تسجيلها ولد في إقليم طليطلة سنة 1685 ،حاول بناء مستشفى بوهران لكن مشروعه فشل أمام رفض الباي فتحول إلى تونس حيث لم يجد الصعوبة التي وجدها في الجزائر . ويسجل يومياته التي طبعت في سبعة مجلدات ،وهي محفوظة بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد ، وثلاث من هذه المجلدات تخص رحلته إلى الجزائر ووهران من 1717 الى 1720 أنظر:

ميكال،دي ايبلزا و الهادي ،الوسلاتي ، ابمرجع السابق، ص 191-192

باصيونال [53]	1724	قسنطينة ،عنابة ، الجزائر	سنة واحدة
ديس فونتين [54]	1783	مختلف مناطق البلاد	سنتان
بواري[55]	1785	الجزائر و الشرق الجزائري	سنة واحدة
دي بارادي	1788	الجزائر	سنتان

[53] جون أندري باسيونال : **Jean André Peyssonel** فرنسي ،ولد بمرسيليا وجاء الى شمال افريقيا سنة 1724 في اطار مهمة علمية اخرى لدراسة طبيعية المرجان ، وكللت زيارته القصيرة بتأليف كتاب حول سماه "قصة رحلة سواحل بربيريا" : **relation d'un voyage sur les cotes de barbarie** و يتضمن العديد من الملاحظات العلمية بالإضافة إلى ملاحظات أخرى حول النظام السياسي بالجزائر أنظر: **Denise, Brahimi.op.cit,,p.131**

[54] لويش،رينه ديفونيتين :**LOUICHE RENE DESFONTAINES** هو عالم فرنسي متخصص في علوم الطبيعية ،تمثلت مهمته الأساسية أثناء زيارته للجزائر و تونس مابين 1783-1786 في جمع الاعشاب و النباتات لأغراض علمية ،ألف كتابا عنوانه : "نبدة رحلة في ولايات تونس والجزائر **FRAGMENTS D UN VOYAGE DANS LES REGENCES DE TUNIS ET D'ALGER** أنظر **Denise ,.Brahimi :op.cit,p.153**

[55] لابي بواري **L'ABBE POIRET**: قام بزيادة الى الجزائر سنة 1785 ،وأنجز عدة أبحاث حول التاريخ الطبيعي لنوميديا، وكان بأمل أن يجد بشمال إفريقيا رجل الطبيعية الطيب و الامين ، حسب فكر "روسو" الذي تأثر به، ولكن تعرفه على بعض قبائل البدو بنواحي القالة و قسنطينة جعله وبأحكام مسبقة يصفهم بذوي الاحاسيس الفاسدة والطبائع المتخلفة. ولقد سجل انطباعته عن الجزائر في كتابة "رحلة في بربارية " **VOYAGE EN BARBARIE** أنظر :**Denise, brahimi ,op.cit.p.165**

بانانتي[56]	1814	الجزائر	فترة قصيرة

سادسا :طبيعة الكتابات الأوروبية و قيمتها الإخبارية :

يتميز تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية ،بتنوع المصادر الغربية وغزارتها وهي ذات لغات وجنسيات مختلفة منها الفرنسية ، الاسبانية والايطالية ، الانجليزية و الأمريكية . وهي إلى جانب ذلك عبارة عن رحالات أو تقارير أو مذكرات ألفت من طرف قناصل أو رحالة أو جواسيس أو الرهبان أو أسرى تعرفوا على المنطقة.[57] وغطوا تقريبا مختلف جوانب الحياة السياسية الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية في الجزائر ، بل تجاوز ذلك البعض منهم الى دراسة الجغرافيا والحيوان و النبات والمعادن ، وكلما زاد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية ، أو في دائرة البحر الأبيض المتوسط كلما تحول اهتمام الأوروبيين الى تخوف أو إلى سخط كانا أقوى دافع الى تتبع كل ما يحدث في بلادنا ليصبح موضوع دراسة وتحليل .

كان لظهور التيار الديني المتعصب بأوروبا أثر جلي على صراع بين المسيحية و الإسلام فتجسد ذلك في ظهور المخططات العديدة و المتنوعة لتفكيك الإمبراطورية العثمانية وتحطيمها و القضاء على الخلافة الإسلامية وفي تبني الأحكام المسبقة ضد المسلمين فنعتوا

---

[56] فيليو بانانتي : **FILIPPO PANANTI**: كاتب ايطالي ،من مواليد 1766 عاش عن قرب الاحداث السياسية التي عرفتها أوربا في أواخر القرن 18م ،وبداية القرن 19م كالثورة الفرنسية ، الذي تأثر بأفكارها مما جعله يغادر توسكانيا ويلجأ الى فرنسا سنة 1799، ثم الى انجلترا سنة 1802 ،وفي سنة 1814 عند عودته الى ايطاليا، تم القبض عليه في البحر الابيض المتوسط من طرف الرايس حميدو، الا أن اسره لم يدم الا ليلة واحدة في الجزائر بعد تدخل القنصل البريطاني ، مما جعل بانانتي يتحصل على حريته ويمدد اقامته بالجزائر ،ليعود بانطباعات و ملاحظات التي طبعت في ايطاليا سنة 1817 ويتم ترجمته الى اللغة الفرنسية سنة 1820تحت عنوان " **relation d'un séjour a Alger**" يتضمن ملاحظات حول الوضع الحالي لإيالة الجزائر ،وأيضا تقارير دول بربارية او شمال افريقيا مع القوى المسيحية ، أنظر:**Denise,.Brahimi .Op. cit, 175.176**

[57] مولاي ، بالحميسي، "المؤرخون الفرنسيون و الجزائر في العصر العثماني " مجلة الاصالة ،العدد ، 14-1973،15،16 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،تلمسان 2011 ، ص ص 71-79.

بشتى الألقاب وصوروا في أبشع الصور ويعتبر قراماي في ذلك ، صورة صادقة لعصره وقد كان أسره بمدينة الجزائر ،القرصنة السائحة لان يعلن حرب ضد المسلمين ولاسيما الجزائريين فجاءت كتاباته عبارة عن نداءات صريحة للقضاء على مسلمي المغرب ، فالجزائر في نظره مصدر بلاء أوروبا ومغارة اللصوص ،ومهد القساوة والفظاظة بشتى صورها وبنفس المنظور راح يقيم بحارتها ومدى عدم وفائهم بالعهد .[58]

إن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات لإحدى الدول المرتبطة بمعاهد صداقة معهم أما الراهب دان فقد برع فائقة ، وتفنن تفننا لا نظير له في تشويه صورة الجزائر وكان كتابه السلاح الذي تسلحت به الدعاية الفرنسية الصليبية ضد بلاد المغرب و هو أمر يجب أن لا نندهش منه .

والغاية من تأليف كتابه كانت إثارة الحماس الديني وكسب عطف أوروبا المسيحية من أجل تخليص الأسرى المسيحيين من جحيم الجزائر ،وهو ما دفعه الى تحريض أوروبا المسيحية على القضاء على الجزائريين ، حيث قال الذين ليسوا سوى قراصنة لا عهد لهم ولا صدق ولا يتورعون لنقض المعاهدات المصادق عليها لأول فرصة حينما يتعلق الأمر بمصالحهم ،بل أنهم يفتعلون الأسباب لنكثها.[59]

وفي مطلع القرن الثامن عشر ظهور تيار فكري نادي برفض الذهنية الموروثة وبإعادة النظر في تقييم الغير تاركين جانبا الأحكام المسبقة ، ومن الذين نادوا بهذه الأفكار "بيصونال " و "لوجي دي تاسي" "ولي روا" « **Leroy** »

لقد انطلق "لوي دي تاسي "من كبدا وهو أن الإنسان واحد في مختلف الأمم تقريبا ، ولذا يجب القضاء على الأحكام المسبقة[60]وحذا حذوه « **Leroy** » إذ يذكر في مقدمة كتابه أن هدفه الأساسي من تأليف كتابه هو إعطاء نظرية جديدة عن الجزائر ،أي تصحيح

---

(58) **A.E.H.Ben mansour « le regard du captif ou le bestiaire algérien de J.B,Gramaye » in Revue Historique, N°1985, P.11**

(59) **Dan,pierre ,op.cit , p.145.**

(60) **. Denise ,Brahimi ,op.Cit, p.121**

النظرة القديمة وهو ما عبر عنه بما يلي : "ستغمرني سعادة كبرى إذا استطاع كتبي أن يقدم نفعا للدولة الأوروبية المتعاملة مع الجزائر ،إذا نجح في القضاء على الادعاء غير العادل الناتج عن تعص بمبالغ فيه ضد كل من هو تركي" .[61]

يعتبر" لي روا " من الذين حاولوا إنصاف حكومة الجزائر في هذه الفترة فهو يميز تمييزا دقيقا بين مسؤولية الحكومة و مسؤولية بعض البحارة الخواص في أعمال القرصنة وهو ما عبر عنه بما يلي:" إن أعمال القرصنة لا تمارس إلا ضد الأعداء ، وإذا تضررت أحيانا ،بعض الدول الأوروبية الصديقة منها فهذا راجع الى تصرفات بعض البحارة الخواص ، ولا مسؤولية للحكومة في ذلك"[62] .

بينما "فونتوردي بارادي" ، فيري بأن الالتزام بالمعاهدات من قبل الجزائريين ضرب من الخيال فالجزائريون في نظره لا يعرفون معنى احترام نصوص الاتفاقيات[63] . بل أنه يذهب إلى أبعد من هذا ،حيث يقترح أن تتخلص نصوص الاتفاقيات في بندين لا غير أولهما السلام وثانيهما التأكد على المعاملة المتبادلة ولا داعي للاتفاق حول قضايا مختلفة. فما يزعج الجزائريين لا يكتب له الدوم[64] . وواكب "وليام شالر" تلك الرحلة حيث أشاد بحقد و سخرية بقوة الجزائر ،واندهش لسماح الدولة الأوروبية لهذا الحفنة من القراصنة بالتمتع بأجمل جزء من العالم[65]. أما الأسير باننتي الذي كان معاصرا "لشالر" يؤكد على أنه الوضع الطبيعي لهذه الأمم يقصد الأتراك – أن تكون في حرب دائمة مع الأمراء المسيحيين ، إن كرهها لأية صناعة و لأي عمل نزيه وجشعها الطبيعي تدفعها الى ممارسة القرصنة ، و الجزائر في نظره عقبة في وجه ازدهار التجارة الأوروبية يجب القضاء عليها.[66]

---

(61) **Le Roy**, **État général et particulier du royaume et de la ville d'Alger**, **de son gouvernement**, **de ses terres et de mer**, **revenus**, **justice**, **police**, **commerce**, **politique et auquel on a joint quelques pièces aussi authentiques que rares et intéressantes**, **La Haye**, **Antoine Van Dole**, **1750**, **p. 122**.

(62) **Ibid**.

(63) **Venture**, **De Paradis**, **Alger .Au XVIII Grand Alger , p. 156**.

(64) **Ibid**.

(65) مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، (ترجمة: اسماعيل العربي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982م.ص 53.

(66) **Filippo**,**Panati** : **Relation d'un Séjour à Alger le nomant** ,**paris** ,**1820 p. 480**

كما ركز المؤلفون الأوروبيين جل اهتماماتهم على القرصنة و استعباد النصارى و ظروف إقامة الأسرى وما يعانون من بؤس و شقاء و أوجاع و الألم ،ووصفوا الحكم ،قبل الأهالي بأبشع الصفات وحقدوا عليهم ،ومعظم هؤلاء المؤلفين من رجال الدين الذين تستروا وراء أهداف معلنة كافتداء الأسرى لتحقيق مأربهم الخفية التي كشفها أبنا جلدتهم أنفسهم ، وصارت الجزائر الشغل الشاغل الكامل أوربا كما أتاحت الحروب و التجارة و التجسس و الدبلوماسية و افتداء الأسرى وحب المغامرات لسكان الضفة الأخرى من البحر المتوسط فرصا عديدة للتعرف على المغرب الأوسط أو التأليف في تاريخه وتفصيل الكلام عن حادثة أو أخرى من الحوادث التي وقعت فيه.[67]

لكن الملفت للانتباه أن الكتاب الأوروبيين لم يتحدثوا كثيرا عن الجانب الثقافي في الجزائر في حين أسهبوا في الجوانب الأخرى ، فهل يعود ذلك الى إهمال منهم لهذا الجانب الهام الضروري لنهضة أي مجتمع ؟ أم إن الثقافة كانت مغيبة حقا بحيث لم يكن مبالغين حين أنكروا وجود أي مظهر من مظاهر العلم و التعلم في كامل إيالة الجزائر ، وماعدا حفظ و تعلم القرآن الكريم و الذي يكون في الغالب داخل المساجد "فوليام شالر" ينفي وجود العلم و التعليم في الجزائر ويدعي إن سكان يحتقرون العلوم ويكتفون بتعلم القرآن.[68]

يكاد يتفق كل الأوروبيين على رأي واحد حول نوعية التعليم الذي كان سائدا آنذاك، فهم إما يمرون على هذا الموضوع مرمر الكرام فلا يلقون له بالا لاعتقادهم بعدم وجود حياة ثقافية تستحق الذكر ،ماعدا تعلم القرآن . ولقد ايد أبو القاسم سعد الله "اراء الاوروبيين الذين قالوا باقتصار التعليم في الجزائر على تعلم القرآن والقراءة وكتابة ومبادئ الحساب فيقول التعليم نوع واحد وهو طابع ديني وقد كان شائعا في الجزائر، وباقي العالم الإسلامي لإيمان المسلمين على العموم بخدمة الدين وعلومه وهو الشائع ،والقليل من تواجهوا إلى الطب وصناعة الاسلحة

[67] مولاي ، بالحميسي ، المقال السابق ، ص 81

[68] وليام ، شالر ، المصدر السابق ، ص 53

"ف.دو نيكولاي" : « **Nicolas de Nicolay** » الذي اكتفى حين وصف معالم مدينة الجزائر بذكر مسجد واحد وصفه بأنه المسجد الأعظم والرئيسي بمدينة الجزائر والذي يمتاز بزخارفه الفريدة وأسلوب بناءه الرائع دون أن يتحدث عن دوره الثقافي 2. وكذلك" دي بارادي" الذي أشار إلى عدد المساجد بمدينة الجزائر الذي بلغ الإثني عشر بالإضافة الى عدد كبير من المساجد الصغيرة ، وختم حديثة عن المساجد والمدارس بقول :" إذ توجد ثلاث مدارس جامعات ،حيث يدرس مذهب مالك بن أنس دون أن يدخل في أي تفصيلات عن طريق التدريس و نوعية الدراسة".

أجمع كل من "الأب دان" ،"دوتاسي" و "باننتي" على أن التعليم اقتصر في الغالب على تعلم القراءة و الكتابة و قواعد الحساب العامة وحفظ القرآن الكريم ويتم عادة في المساجد 4 حيث يتولى الأئمة مهمة التدريس أما دراسة الطب فمنعدمة لوجود عدد قليل جدا من الأشخاص الذي يطلق عليهم لقب أطباء مجازا، نظرا لمعلوماتهم البسيطة التي لا تتعدى العلاج الخارجي لبعض الأمراض ، ولاعتقاد الناس الخاطئ بأنهم يعترضون على قضاء الله وقدره إذا حاولوا لتداوي من الأمراض التي تسلط أما عقابا أو امتحانا.

بينما سار" باناتي" على خطاه وتكلم هو أيضا عن الموسيقى و الغناء وقال : إن التشريع الإسلامي قد حرمها إلا أن القسم الأعظم من المسلمين شغوف بتذوق الموسيقى والاستماع إليها ، ومن الأرجح أن يكون "باناتي" قد أقتبس عن "شو" الكثير ، ويتضح ذلك حين نقارن الفقرات التي تحدث فيها "شو" عن تعليم الأطفال وعن الأطباء والآلات الموسيقية مع نظيراتها عند "باناتي" فنجد التشابه الواضح الذي لا يخفي على أحد .

أما "هايدو" كان سباقا في وصف طريق التدريس في النصف الثاني من القرن السادس عشر ،فقد أوكل أورد مهمة التدريس للمرابطين الذين يعلمون الأطفال قراءة وكتابة اللغة العربية و التركية – لوجود مدارس مخصصة لكل لغة – ويعلمونهم كذلك الحساب جدول" فيثاغورس" (**Pythagore**) ، وشهور السنة القمرية ليتمكنوا من تحديد أيام الأعياد والاحتفالات ولكن كل هذا بطريقة معينة، والكتاب الذي يستعملونه لتدريس الأطفال عندما يتعلمون الحروف و كيفية جمعها هو القرآن.

إن جل ما كتب حول الفترة العثمانية ، كان الاهتمام و التركيز منصبا فيه أساسا على مدينة الجزائر وعلى ما يهم الأوروبيين من نشاطها مثل الاحتكار التجارية، ومشاكل القرصنة المتعلقة بفداء الأسرى ودفع الإتاوات و الهدايا من طرف الدولة الأوروبية ،وما أنجز عن هذا النشاط من أعمال عدائية و غارات وهجومات انتقامية شنها الأوروبيين على السواحل الجزائرية ،وحتى إذا تجاوزت هذه الكتابات الأوروبية مدينة الجزائر ،فإنها لا تبرز ،أوضاع البلاد إلا من خلال الحملات الانتقامية للحكام الأتراك والاعتداءات المتكررة لرجال البايليك و الفوضى والاضطرابات التي كانت تعيشها المجموعات العشائرية ،حتى يكاد المتبع لمثل هذه الدراسات أن يسلم بأن مثل هذه الحالة لا يمكن وضع حد لها إلا بالتدخل الأوروبي.

أما حكومة الايالة الجزائرية وجهازها الحكومي وضعية أسطولها وتنظيمات جيشها وعلاقتها الخارجية ،وما كانت تمتاز به أوضاعها الاجتماعية وأنظمتها الاقتصادية ،فقد ظلت في مثل هذه الدراسات مهملة ومشوهة ،وقد يعود ذلك الى طبيعة هذه الدراسات التي لم تكن تعكس بصدق وضعية البلاد وحالة السكان فهي موضوعة عن طرف هؤلاء الكتاب الأوروبيين ،لم يكونوا يعيشون الأحداث أو يتفاعلون معها بل كانوا يتفرجون عليها ويسجلون منها ما كان يتماشى مع طباعهم الأوروبية ونظرتهم الخاصة الى الحياة ، هذه النظرة التي تتجلى لنا بكل وضوح في بعض عناوين هذه المصادر مثل كتاب "مشاهير الأسرى" أو "تاريخ بلاد وقراصنتها للأب دان".

كانت أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بالجزائر العثمانية ،والتي تمت على يد كتاب أوروبيين ، تعتبر دارسات مغرضة ،فهي تهدف الى خدمة الاستعمار الأوروبي بحيث أخضعت منهجية التاريخ و متطلبات البحث الى واقع الاحتلال ومرامي السياسة الاستعمارية ،مما يحط بالقيمة العلمية لمثل هذه الدراسات وينزل بها في بعض الأحيان الى مستوى الدعاية المغرضة.

فالوجود العثماني بالجزائر في نظر المساهمة الاوروبية كان بمثابة العامل الذي حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة الوطنية وعرقل تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية ،فالحكم التركي كان يقوم في نظرهم على الاستبداد ويتصف بالظلم والعدوان.

وقد أدت هذه النظرة المغرضة بالكتب الأوروبيين الى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري ، واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر الى وجود شعب متماسك وأمة متكاملة ، فبهذه النظرة لم تكن الجزائر تعدو عن كونها منطقة جغرافية يتعاقب عليها الحكم وتنتقل عبرها القبائل والعشائر المتنافرة والجماعات المتطاحنة التي لا تخضع إلا للقوة .فالجزائر بهذا المفهوم كان ينظر إليها على أنها جزء من المغرب اغتصب من طرف الشرق في مناسبتين – الأولى عند الفتح الإسلامي في القرن 7م،والثانية مع ظهور الأتراك وتأسيس إيالة الجزائر في القرن 16م.

ما يؤخذ على المساهمة الأوروبية كذلك ظلت تتصف بمحدودية وضآلة الإنتاج ، رغم الجهود التي بذلت في الميدان وما يلاحظ على المساهمة الأوروبية أيضا ،وهوان الدراسة التاريخي حول الجزائر العثمانية ظلت في أغلبها عملا يتصف بقلة العمق وسرعة الأحكام وسطحية التفسير وهي من هذا الجانب نجدها غالبا ما تتناول العديد من الموضوعات ولكن بصفة عامة ، بحيث ظلت هذه الموضوعات تفتقر الى العمق المطلوب في الدراسة التاريخية الجادة 3 غير أن أبدينا من انتقادات وملاحظات وتحفظات ليس معناه رمي هذا الإنتاج الضخم في سلة المهملات فهناك قسم لا نستغني عنه أبدا ، ففي كتب الأوروبيين شهادات و أوصاف دقيقة وتواريخ مضبوطة و إحصاءات و قوائم الحكام وتحليلات خطيرة وتقارير وتفاصيل لا نجدها في غير هذه الكتب

الفصل الثاني

صورة الجزائر العسكرية في الكتابات الفرنسية و الإسبانية

أولا : البنية العسكرية من خلال الكتابات الفرنسية و الإسبانية

أ. الثكنات:

ب. الرتب العسكرية:

ثانيا : رياس البحر

أ. المجندون في الأسطول الجزائري:

ب. **وكيل الحرج:**

ج. **القبودان:**

د. **واردیان باشي:**

ثالثا : الأسطول

1. **الأسرى المسيحيون:**
2. الأتاوات و الهدايا الإلزامية:
3. الرواتب:

الفصل الثاني

صورة الجزائر العسكرية في الكتابات الفرنسية و الإسبانية

لقد تم تصوير مدينة الجزائر في العهد العثماني على أساس أنها حصن متين للإسلام لا يمكن اختراقه. و قد زاد من قوتها المظهر الطبيعي و الميناء الذي تم تشييده منذ عهد **خير الدين** الذي جعلها قاعدة بحرية فعالة في حوض البحر الأبيض المتوسط، و قد انبهر الكثير من الرحالة بجمال المدينة و عمرانها ذو الطابع العثماني و خاصة الاستحكامات القوية المتمثلة في المواقع العسكرية و القلاع و الأبراج و الأرصفة المسلحة. لقد بنيت مدينة الجزائر العثمانية على شكل مثلث، قمته القصبة و من وراء المواقع الدفاعية الميناء أو الاستحكامات الدفاعية. و استحقت المدينة اسم الجزائر المحروسة طوال الفترة العثمانية بسبب قوة تحصيناتها الجيدة التي بناها العثمانيون و تطوير هياكلها العسكرية بدرجة عالية و مهارة معمارية فائقة.

و نظرا لعلاقة الجيش باستمرار نظام الحكم العثماني في الجزائر، فإن ولاتها كانوا يحرصون على تجديد عناصره بتجنيد المتطوعين في أقاليم الدولة العثمانية الواقعة في آسيا و أوروبا و إفريقيا و جزر البحر الأبيض المتوسط' و جلبهم إلى مدينة الجزائر و ضمهم إلى وحدات الجيش. و على الرغم من الهزات العنيفة التي تعرض لها نظام الحكم في الإيالة و ما ترتب عليه من آثار خطيرة على علاقاتها بالباب العالي، فإن التجنيد ظل يعتبر طوال ثلاثة قرون إحدى الدعائم الأساسية التي تربط الجزائر بالدولة العثمانية. و من أجل هذا ظل الجانبان يرعيانه و يعطيانه اهتماما كبيرا.

أولا : البنية العسكرية من خلال الكتابات الفرنسية و الإسبانية

أ. الثكنات:

لأخذ فكرة تقريبية عن المعسكرات التي كانت تجمع جنود الانكشارية، لابد من الرجوع إلى المصادر، فقد ذكر **هايدو** في تاريخ الجزائر خلال القرن السابع عشر أن مدينة الجزائر كانت تحتوي على خمس ثكنات كبيرة تضم الواحدة منها ما بين أربعمائة و خمسمائة رجل موزعين على عدد من الأوضات (غرف) إلى جانب ثكنتين صغيرتين يسكنها ما بين مائتين و ثلاثمائة رجل[1].

(1) Haedo, « Topographie et histoire général d'Alger », Traduction (Monnereau et A.Berbrugger), in **R.A** (N°14), 1871,p.394.

يعيش المجندون في أوضات (بيوت) و أطلق على كل واحد منها اسم "قشلة" [2]. و الواضح أن الجندي كان ملزم بالعيش داخل الثكنة طوال مدة الخدمة العسكرية، و هو الأمر الذي جعل الجنود يعيشون غالبية أوقاتهم في عزلة شبه تامة عن بقية عناصر المجتمع. و كان ممنوعا عليهم من الناحية المبدئية الزواج، و في حال وقوعه يفقدون العديد من الامتيازات خاصة الإعفاء من الضرائب. و التسهيلات المتعلقة بالتخفيضات في أثمان المواد الغذائية، و يصبحون مضطرين لتحمل نفقات عائلاتهم اعتمادا على رواتبهم الضعيفة.

و الغالب على الثكنات بالجزائر النمط الهندسي المعماري ذي الطابع العثماني، المكون من طابقين أرضي و علوي، و تتوسط الثكنة العديد من الأسبلة المائية يستعملها الجنود للنظافة و الوضوء[3]. و قد ذكر **كاثكارت** أن كل ثكنة بمدينة الجزائر كانت تحتوي على مسجد و إمام للصلاة [4]. و امتهن المسيحيون داخل الثكنات مهمة الغسيل و التنظيف و الكنس، و لاحظ **فانتوردي بارادي**، أن حياة العبيد داخل الثكنات كانت في حالة حسنة [5]. و تجدر الإشارة هنا إلى العلاقة الحميمة التي كانت تجمع الجنود بالعبيد، و هذا ما جاء في رواية **دارندا** (Daranda) الذي عمل كأسير في إحدى الثكنات بالجزائر خلال القرن السابع عشر[6].

كانت كل أوضة مكان اليولداش[7]، و لعل من المفيد أن نشير إلى أن الجنود المقيمين في الثكنات تفرض عليهم قوانين صارمة و قاعدة هذه القوانين يمكننا رصدها من خلال المصادر المعاصرة للأحداث مثل التحاق الجندي بالثكنة قبل الغروب، بسبب الاضطرابات التي كانت تحدث غالبا في الليل . و الجدير بالذكر أن معظم المؤامرات و الدسائس ضد الحكام و ثورات الجند كانت تحاك داخل الثكنات و تعتبر ثكنة باب عزون التي كان أغلب جنودها من فئة العزاب الأكثر اضطرابا و إثارة للقلاقل و الفوضى[8].

---

(2) قشلة معناها باللغة التركية المعسكر الشتوي أو الثكنة بشكل عام. أنظر: نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 78.

(3) V.de Tassy, op.cit, P.126

(4) كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب (ترجم و تعليق: إسماعيل العربي) ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982، ص 100.

(5) Venture. de Paradis, op.cit, P.185.

(6) Denise, Brahimi, opinions…,op.cit, , P.149.

(7) كان الجندي الانكشاري في الجزائر يعرف في السجلات باسم "يولداش" و يستعمل هذا اللفظ من طرف الجنود عند مناداة بعضهم البعض، و ذلك بمعنى "رفيق" أو "زميل".

(8) Boyer (Pierre), la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Paris, Hachette, 1963.p.134.

تضاربت المصادر التاريخية بخصوص أعداد ثكنات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية. ففي عهد **هايدو** كانت بمدينة الجزائر خمس ثكنات كبيرة و ثكنتان صغيرتان[9]، في حين يحددها **بارادي** عام 1788م ما بين 7 و 8 ثكنات[10]. و من خلال هذه الإحصائيات حول مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية يمكننا رصدها على النحو التالي:

1. **ثكنة المكررين:**

لقد وقع خلط في أصل تسميتها بين جمهور المؤرخين، فهي عند **باربروجر** تعني ماكرون و حسب هذا المصطلح فإن الثكنة كانت مملوءة بجنود أتراك كبار في السن، اعتادوا على أكل الماكرون (نوع من الفطائر) [12]. لكن المؤرخ الفرنسي **دوني فيرى** بأن هذه التسمية خاطئة و أن الصواب في ذلك هو المقرئين أو المكررين[13]. و الظاهر أن التسمية الثانية هي الأصح، لأن كل المعلومات تفيد بوجود مسجد قرب الثكنة بناه الداي **عبدي باشا** (1724-1732م)، و كان الجنود يرتلون القرآن الكريم في المواسم الدينية و خاصة في شهر رمضان، و منها جاء اسم المكررين (تكرار القرآن).

يشير الباحث الجزائري **نور الدين عبد القادر** إلى أن تسمية المقرئين، يرجع إلى وقوع الثكنة بحي يسكنه أهل القرآن من الطلبة، و حرف اسمها ليعرف بـــ ما قرون[14].أما بخصوص بناء هذه الثكنة فيرجعها **دوفال** إلى عهد البيلرباي **علج علي** (1568-1569 م)، و هذا من واقع وثيقة تعود إلى شهر شوال 1011هـــ /23 مارس 1603م[15].و كان يوجد بهذه الثكنة سبعة و عشرون غرفة يسكنها 899 رجلا يشكلون 48 أوجاقا[16].

2. **ثكنة باب عزون:**

---

(9) Haedo, Topographie …,op.cit,, P. 394.

(10) V.de Paradis, op.cit, P.185.

(12) Berbrugger (A.) et Devoulx (A.), « Les casernes de janissaires à Alger », *Rev. af.*, In,RA,n°3,, P.135.

(13) Deny (Jean), « Les registres de soldes des janissaires conservés à la B.N.A », in **R.A,** (N°61), 1920,p219.

(14) نور الدين، عبد القادر، المرج السابق، ص 78.

(15) Berbrugger, Devoulx, op.cit, P.139.

(16) J.Deny, op.cit, P.219.

تعتبر من أهم الثكنات بمدينة الجزائر نظرا لكبر مساحتها. فهي حسب **بابروجر**، قد تعرضت منذ بداية الاحتلال الفرنسي إلى عدة تغيرات، حيث تحولت إلى مستشفى عسكري ثم مدرسة مع مكتبة و متحف المدينة إلى أن أصبحت ثانوية[17].

و يعود تاريخ بناء الثكنة إلى عهد البيلرباي **حسن باشا** (سنة 955 هـ/1548م) [18]. و أطلق عليها أسماء عديدة منها "الكبيرة" و "اللبانجية" (شاربو الحليب). و حسب بابروجر فإن الجنود كان من عادتهم شرب الحليب خلال موسم الجفاف، حيث يتوجهون إلى منطقة عين الربط لشرائه من بني ميزاب[19].

تكمن أهمية هذه الثكنة في أن كثيرا من الجنود الذين سكنوها أصبحوا فيما بعد من كبار موظفي الإيالة، و الدليل على ذلك الترميمات المتكررة لها، حيث رممها **حسن باشا** (1791-1798) و ترميم **إبراهيم آغا** العرب صهر الداي **حسين** عام 1821م، و كان ممن أقاموا بالثكنة سابقا[20]. و كانت هذه الثكنة تتكون من 28 غرفة يسكنها 1661 رجلا يشكلون 63 أبواقا[21].

3 و 4 ثكنة صالح باشا و علي باشا:

يطلق على الثكنتين كل من **دوفو** و **بابروجر** اسم "ثكنة الخراطين" لوجودهما في حي تكثر فيه دكاكين الخراطة[22]. أما سكان مدينة الجزائر فكانوا يطلقون على الثكنتين اسم "باب السخرية" لالتصاق البنايتين بعضها لبعض.و حسب الوثائق التي عثر عليها، فإن تاريخ بناء الثكنة يعود إلى عام 1008 هـ/ 1599-1600م و الشائع عند هذا المؤرخ أنها أقدم ثكنات المدينة إذ يرجع تاريخها إلى عهد خير الدين بربروسة[23].

بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830م، تحولت الثكنة إلى مستشفى ثم إلى خزينة عمومية ثم مركز بريدي، و يميز **دوني** بين الثكنتين:

- ثكنة صالح باشا: بها 26 غرفة يسكنها 1266 رجلا يشكلون 60 أوجاقا.

---

(17) Berbrugger, Devoulx, op.cit, P.132.

(18) حكم حسن باشا ابن خير الدين الإيالة ثلاث مرات الأولى ما بين (1544-1552م) الثانية (1557-1562م) و الثالثة (1562-1567م).

(19) Berbrugger, Devoulx, op.cit, PP.133-134.

(20) Idem

(21) J.Deny, op.cit, P.219

(22) Berbrugger, Devoulx, op.cit, PP.133-142.

(23) ibid, P.135.

- ثكنة علي باشا: بها 24 غرفة يسكنها 1516 رجلا يشكلون 55 أجواقا[24].

5. ثكنة أوسطى موسى:

سميت بهذه التسمية نسبة إلى المهندس المعماري **موسى الأندلسي** الذي كلف بإنجاز شبكة مياه الحامة، و كان مقيما في هذه الثكنة[25]. كما سميت "باب الجزيرة" لقربها من باب البحر.يعود تاريخ بنائها عام 1085هـ/1674-1675م و كان بها 31 غرفة يقيم بها 1433 رجلا موزعين على 72 أوجاقا[26].

6. ثكنة بالي:

وردت عدة تسميات لهذه الثكنة منها "ثكنة القناصل لأنها كانت مواجهة لشارع القناصل، و أطلق عليها الأهالي اسم ثكنة الدروج لأن الوصول إليها كان يتم بواسطة صعود الدروج[27]. أما الوثائق العثمانية فتطلق عليها اسم دار الانجشارية المعروفة بالدروج قرب باب الجزيرة" [28].

تعتبر من أصغر ثكنات مدينة الجزائر، إذ تحتوي على 15 غرفة، يقيم بها 602 رجلا موزعين على 27 أوجاقا[29].

7. و 8. ثكنة "إسكي" (القديمة) و ثكنة "بني" (الجديدة):

المعروف أن هاتين الثكنتين كانتا ملتصقتين بعضهما ببعض:

- الثكنة القديمة: تقع في الأعلى و يطلق عليها "الفوقانية".
- الثكنة الجديدة: تقع في أسفل الثكنة القديمة، و يطلق عليها "السفلانية" [30].

و أطلق على جنود اسم: رماة الرصاص الفضي، لأنهم كانوا يتدربون يوميا على الرمي[31].و قد رصد لنا المؤرخ الفرنسي **جورج مارسيه** (G.Marçais)، تاريخ بناء الثكنة القديمة

---

(24) J.Deny, op.cit, P.220.

(25) Berbrugger, Devoulx, op.cit, P.136.

(26) J.Deny, op.cit, P.221.

(27) berbrugger, Devoulx, idem.

(28) ibid, P.147.

(29) J.Deny, idem.

(30) Weissman (Nahoum), Les janissaires, études de l'organisation militaire des Ottomans, imp orient, Paris, 1964,p.66.

(31) Berbrugger, Devoulx, op.cit, PP.135-136.

إلى عام 1627م، و تم إنجازها بفضل المهندسان المعماريان موسى الأندلسي و ابنه علي. و كانت ثكنة "إسكي" تحتوي على 31 غرفة يقيم بها 1089 رجلا يشكلون 60 أوجاقا، أما ثكنة "يني" فكان بها 19 غرفة يسكنها 856 رجلا موزعين على 38 أوجاقا[32].

و تشير الوثائق بأن العدد الإجمالي لهؤلاء الجنود بمدينة الجزائر عام 1158هـ/1745م، هو بالتحديد 11897 جنديا موزعين على 424 وجاقا، منهم 2.575 جنديا في حالة لا تسمح لهم بأداء مهامهم العسكرية بسبب تقدمهم في السن أو إصابتهم بعاهات جسمية أو أمراض مزمنة، أو كانوا منصرفين إلى ممارسة التجارة و العمل في سفن الرياس، أو كانوا محالين على التقاعد[33].

و لعل من المفيد أن نلخص أعداد الجنود بالثكنات و عدد الأوجاق في الجدول التالي[34]:

جدول عام لثكنات وأجاق مدينة الجزائر.

اسم الثكنة	عدد الغرف	الجند الحقيقي	الجند الخارج عن الخدمة	عدد الأوجاق
ثكنة المكررين	27	899	269	48
ثكنة باب عزون	28	1661	438	63
ثكنة صالح باشا	26	1266	349	60
ثكنة علي باشا	24	1516	391	55
ثكنة أوسطى موسى	31	1433	401	72
ثكنة بالي	15	602	174	27
ثكنة أسكي	31	1089	322	60
ثكنة يني	19	856	231	38
المجموع	201	9322	2575	423
مجموع الجند		**11897**		

(32) J.Deny, op.cit, P.221.

(33) ..ibid, PP.36-40

(34) J. Deny, op.cit, PP.217-221

لا يمكن إغفال دور الفرق العسكرية الأخرى التي كان لها دور كبير في تعزيز القوة العسكرية للجزائر. و تأتي في مقدمة تلك الفرق فرقة الطوبجية (رجال المدفعية) التي كان لها دور بارز في حسم كثير من المعارك التي خاضها الجيش الجزائري في البر و البحر. و قد اعتمدت الإيالة على هذه الفرقة في الدفاع عن سواحلها التي كانت معرضة باستمرار لهجمات الأساطيل الأوروبية. و كان جنود المدفعية موزعين على القلاع التي تعرف باسم "طوبخانة" [35].

و بغض النظر على أن الانكشارية و الطوبجية كانوا يمثلون "المشاة" في أوجاق الجزائر فإن السبايحية كانوا يمثلون "الفرسان" و ذلك على غرار السباهية في الدولة العثمانية. و كانت فرق السبايحية مقتصرا على حراسة البايات في عواصم المقاطعات كوهران وقسنطينة و التيطري[36].

كان الجندي الانكشاري المميز يختار ليكون سبايحيا أما قائد هذه الفرقة في الإيالة فكان "آغا السبايحية" المقيم في مدينة الجزائر، و الذي يعد من كبار الشخصيات في الديوان، كما كان الباشا يوكل إليه قيادة الجيش بقسميه النظامي و الاحتياطي في المعارك[37].

و يضاف إلى جانب الفرق الثلاث: الانكشارية و الطوبجية و السبايحية، كانت هناك فرقة صغيرة من أوجاق الجزائر تركزت مهامها على مجالي الأمن و الخدمة داخل قصر الإمارة، أطلق عليها اسم "صولاق" و كان جنودها يختارون من بين أقدم الجنود في وحدات الإنكشارية[38].و كان جنود هذه الفرقة يشكلون الحرس الخاص للداي، و يرافقونه أثناء زياراته الميدانية على هيئة فرسان مسلحين بالبنادق و بلباس مميز[39]. و كان أربعة منهم يقفون إلى جانبه داخل دار الإمارة لتوفير الحماية له إذا اقتضى الأمر[40].

و تأتي بعد فرقة "صولاق" فرقة "بيكلر" و يختار أفرادها من بين أقدم الجنود الانكشارية أيضا. و كانت مهمتهم مراقبة الأحياء الصغيرة في مدينة الجزائر[41]. أما الفرقة الثالثة و المتمثلة في الجاوشية. فيختار جنودها من بين ٱنكشارية الذين يمتازون بالبنية المتينة و العضلات القوية، و كانت مهامهم تتركز أساسا على مراقبة الجنود و القبض على المتهمين منهم، و كان يرأس هذه

(35) V. de Paradis, op.cit, P.200.
(36) ibid, P.176.
(37) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 188.
(38) Shaw, op.cit, P.162.
(39) idem.
(40) V.de Paradis, op.cit, P.213.
(41) Shaw, op.cit, P.162.

الفرقة، ضابط يعرف باسم جاوش باشي و كان يقف إلى جانب الداي باستمرار لتلقي أوامره وتعليماته[42].

و الجدير بالملاحظة أنه كان لأوجاق الجزائر فرقة إزباندود[43] و هم الجنود المغضوب عليهم ثم صدر العفو في حقهم. وتجب الإشارة هنا أن وحدات إزباندود في الجزائر كانت توضع في مقدمة الجيش الذي يرسل إلى المعارك. و كانت المهمة الأساسية لهذه الفرقة مباغتة العدو و مداهمته قبل المعركة لكسر حاجز الرعب أمام الجنود، و بالمقابل كانت تقدم مكافآت لأعضاء هذه الفرقة بالاعتماد على حصص الغنائم المكتسبة في المعارك[44].

ب. الرتب العسكرية:

خضع نظام الترقية في الجيش الانكشاري بالجزائر إلى درجات تصاعدية بحيث كانت الترقية تتم بطريقة آلية، فبوصول الجندي المتطوع إلى الجزائر يعين فورا في إحدى الوحدات الانكشارية ليقضي بها لمدة ثلاث سنوات يتعود خلالها على القيادة العسكرية حاملا لقب "يكي يولداش" أي (جندي جديد) ليصبح بعدها "اسكي يولداش" (أي جندي قديم) و تفتح أمامه أبواب التدرج في الرتب بمختلف مستوياتها[45]، و ذلك وفقا لقانون السلطان **مراد الأول** الخاص بالنظام الداخلي للجيش الانكشاري و الذي جعل من الأقدمية في الخدمة المقياس الوحيد الذي يقوم به الجندي و يمنح بمقتضاه رتبته العسكرية[46]. و كان المعيار الذي يستند عليه في الترقية يعتمد أساسا على مبدأ الأقدمية، و هو ما أشار إليه **حمدان خوجة** في كتابه المرأة: "و لكي يصبح الجندي قائدا يجب أن يقضي على الأقل عامين أو ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية، و يجب أن يمر بجميع الدرجات" [47].

---

(42) V. de Paradis, op.cit, P.192.

(43) إزباندود: كلمة عثمانية من أصل فارسيـــ تعني قاطع طريق أو لص. أنظر: خليفة، حماش، المرجع السابق، ص 135.

(44) Walsin, Esterhazy, de la domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, C.Gosselin, 1840, PP.247-248.

(45) Ibid, PP.232-233.

(46) تم القضاء على النظام الانكشاري في عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839م) عام 1826.

(47) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص121.

و بالرغم من هذه التقاليد، فإن هناك أمثلة و نماذج كثيرة عن عدم التقيد مبدأ الأقدمية، حيث يشير إليها دفتر أجور الانكشارية، إذ نجد محمد بن محمد الملحق بالوجاق رقم 28، و الذي أصبح في فترة قصيرة وكيل وجاق رقم 115. و المدعو **محمد بن سليمان** التابع للوجاق رقم 21، أصبح أوداباشي بالوجاق رقم 347[48].

كانت السيرة الحسنة و الشجاعة و السلامة من العيوب، شروطا يجب توفرها للمتر شح في المناصب السامية لقيادة المؤسسة العسكرية. و في هذا السياق تشير بعض المصادر إلى مثل هذه الحالات، إذ انتخب الانكشارية عام 1579 الخامس في قائمة المرشحين لمنصب الآغا، لأن الأربعة الأوائل لا تتوفر فيهم المؤهلات اللازمة، و كانت حياتهم الزوجية مطعون فيها[49].

و قد تقتضي المصلحة أحيانا أن يتفق الجنود على تعيين من يريدون في المناصب السامية للجيش، مراعين من يدفع الأكثر. و كانت عملية الترشيح لا تخلوا من المؤامرات و الدسائس و المساومات، و يذكر **غاراماي** في القرن السابع عشر، أنه تم استبدال اثنين من الأغوات في يوم واحد، و أربع أغوات في خمسة عشر يوما[50].

الحقيقة أن النظام الحربي للجزائر قد أصيب بالخلل منذ أن أصبحت المناصب العسكرية تعطي لغير مستحقيها من ذوي الكفاءات، بحيث عين **الداي بابا علي** (1754-1766م) سكيرا في منصب آغا النوبة خلفا للآغا الذي قتل من طرف ثوار قبيلة فليسة. و قد ذكر بارادي أنه جيء به ثملا من إحدى الحانات لدرجة أنه لم يستطع الوقوف على رجليه. و مكث هذا الرجل في منصبه مدة عامين و نصف حتى أمر الداي **محمد بن عثمان** بخنقه بمنطقة دلس حيث دفن من دون إقامة المراسيم الجنائزية عليه. كما عثر في بيته على مبالغ مالية قدرت بـــ 35 ألف سكة[51].

و تجدر الإشارة هنا أن الأوداباشيات (رؤساء الفرق) يتقاعدون بمجرد وصولهم إلى رتبة ضابط –بلوكباشي- و المثال على ذلك ما رصدته لنا دفاتر أجور الانكشارية أن الأوداباشي **إبراهيم بن يوسف** من الوجاق رقم 18 ثم ترقيته إلى رتبة ضابط مع إرفاق ذلك بعبارة متقاعد، و الأوداشي عثمان بن خليل من الوجاق رقم 81 و **مصطفى بن مصطفى** من الوجاق رقم 368

---

(48) حنيفي،هلايلي ، النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس ، 2004، ص ص 216-225.

(49) Haedo, Topographie, P.505.

(50) وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص53.

(51) V.de Paradis, op.cit, P.211.

و **محمد بن قاسم** من الوجاق رقم 164 تم ترقيتهم أيضا. و المعروف أن فئة الطباخين يمكنهم الصعود إلى مرتبة بلوكباشي، كما جرى **لأحمد بن مصطفى** من الوجاق رقم 203 و **محمد بن إبراهيم** من الوجاق رقم 199[52].

و كان الجندي في الجزائر خلال الفترة العثمانية يتدرج في الرتب مبتدئا برتبة (وكيل حرج) مارا برتبة (أوداباشي) و بعدها (ياباشي) و (باش بلوكباشي) منتهيا برتبة آغا الانكشارية. و كانت الترقية تتم بتعيين أقدم الجنود في رتبة (وكيل حرج) و الذي كان عددهم كبير في الإيالة، و تتمثل مهمتهم في الوحدة بتوفير الموارد الغذائية للجنود بمساعدة وكيل حرج آلتي[53].

ثانيا : رياس البحر

لقد أدى استقرار الأتراك –العثمانيين في مدينة الجزائر إلى تحويل نشاطات الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة. و قد تحكمت طائفة الرياس ابتداء من تواجدها في دار السلطان بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف و التنظيم و التمويل و العمليات الحربية، و قد أصبحت الطريقة الجزائرية بدورها مثالا لا يحتذى به بالنسبة لرجال الطائفة في تونس و طرابلس و كذلك جمهورية أبي رقراق[54].

لم يكن اهتمام الجزائر بالجيش البري أكثر من اهتمامها بالأسطول الذي كان يشكل محورا أساسيا في قوتها العسكرية و جعل منها قوة بحرية من الطراز الأول. و لقد كان أمرا طبيعيا لصد هجمات الأساطيل الأوروبية المتكررة من جهة[55]، و خدمة الاستراتيجية العثمانية في البحر

---

[52] J.Deny, op.cit, PP.44-45.

[53] Shaw, (Dr), op.cit, PP.158-160.

[54] شكل قسم من المهاجرين الأندلسيين المطرودين من إسبانيا، جمهورية عند مصب نهر أبي رقراق، و كانوا حركة الجهاد البحري، و في سنة 1627 استقلوا عن الحكم السعدي بفاس و كونوا جمهوريات صغيرة في كل من القصبة و الرباط وسلا.

للمزيد من التفاصيل يرجى العودة إلى:

محمد، رزوق، الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17م، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991، ص112-117.

[55] من أهم الحملات البحرية الأوروبية على الجزائر:

- حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541.
- حملة البابا بيوس الرابع على مدينة الجزائر 1560.
- حملة صليبية بقيادة جان دوريا على مدينة الجزائر 1601.
- حملة فرنسية بقيادة دوبوفور على مدينة الجزائر 1621.
- حملة فرسان مالطة على مدينة الجزائر 1647.
- حملة دنماركية على مدينة الجزائر 1770.
- الحملة الإسبانية بقيادة أوريي على مدينة الجزائر 1775.
- الحملة الإنجليزية –الهولندية بقيادة اللورد أكسموت على مدينة الجزائر 1816.

الأبيض المتوسط من جهة أخرى.و تعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب منها:

- الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر و طبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا و المتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم. و هو الأمر الذي جعلها طيلة الفترة العثمانية محطة أنظار و صراع بين دول ضفتي شمال و جنوب البحر الأبيض المتوسط، حتى أطلق على مدينة الجزائر اسم "المحروسة و المنصورة و دار الجهاد" [56].
- الظروف الدولية و المتمثلة في التنافس بين الدول الأوروبية و ما أنجز عن ذلك من صراع و توترات،مثل العداوة بين **فرانسوا الأول** ملك فرنسا و الإمبراطور **شارل الخامس**(1516-1556م) عاهل إسبانيا و جرمانيا، و كذلك التنافس الهولندي –الفرنسي- الإنجليزي، فيما بعد على اكتساب المستعمرات و السيطرة على التجارة العالمية أثناء القرنين السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين.
- تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية و المعروفون بالأعلاج (Rénégats) و هذا ما سمح لكثير منهم بتبوء منزلة مرموقة و مكانة عالية بعد اعتناقهم الإسلام و ارتباطهم بالجزائر رغم أصولهم المختلفة (إغريق، إسبان، مايورقيون، نابوليتانيون، كرسيكيون، سردانيون، فرنسيون، إنكليز، هولنديون). و قد ذكر **هايدو** أن الأعلاج كانوا يشكلون حوالي ثلثي الشخصيات القيادية في الأسطول الجزائري. فضمن ستة و ثلاثين رايسا يقودون السفن بأكثر من خمسة عشر مجدافا، كان اثنان و عشرون منهم من الأعلاج[57].
- الإيمان بحق الدفاع عن دار الإسلام بعد انهيار الأندلس و حلول الإسبان بالسواحل، و قد كان في طليعة من تطوع لركوب البحر لمواجهة سفن النصارى أهالي المدن الساحلية و على رأسهم جماعة الأندلسيين، و ممن التحق بهم من الأعلاج الذين اعتنقوا الإسلام و كانوا قبل ذلك يعانون الجور في بلدانهم من جراء النظام الإقطاعي و الاستبداد الملكي السائد آنذاك بالبلاد الأوروبية.

- الحملة الانجليزية بقيادة الأميرال هاري نيال على مدينة الجزائر 1824.
- الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية بقيادة كولي (1827-1830م).

للتوسع يمكن العودة إلى:

يحي، بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا (1500-1830م)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985م، ص 206

[56] Moulay, Behamissi, Marine et marins d'Alger à l'époque ottomane (1518-1830), Thèse de Doctorat d'état, Université de Bourdeaux III, Mars, 1986, T2, P.270.

[57] جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 183.

و تنوه المصادر التاريخية إلى الدور التاريخي الذي لعبه المهاجرين الأندلسيين في المرحلة الأولى من تأسيس إيالة الجزائر (1516 – 1541م)، حيث ساهموا في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الغارات الإسبانية المتكررة.و قد اشتهر الأندلسيون في أعمال القرصنة و النخاسة و مبادلة الأسرى و المشاركة الفعالة في تمويل مشاريع الجهاد البحري. [58] كما عمل الموريسكيون على تنشيط حركة الجهاد البحري و الهجوم المتواصل على السواحل الإسبانية بواسطة الأسطول الجزائري، و بفضل معرفتهم الجيدة للغة الإسبانية و للأماكن الجغرافية و الطرق البحرية. و ترجع المساهمة الحقيقية لعناصر الجالية الأندلسية في ميدان الجهاد البحري إلى مجالات تجهيز السفن بالمعدات[59].

- استخدام البحارة الجزائريون الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتحاق إلى الغارات المفاجئة و استعمال بنادق البارود السريعة الطلقات و المدافع الخفيفة في هجوماتهم، و كذلك امتلاكهم السفن المتطورة عصرئذ و القادرة على الإبحار في أعالي البحار، و هي سفن شراعية حربية، مثل السفن المعروفة بالكرفات و الشالوب و القليوطة و الفرقاطة و الشباك و البلاكر و البريك[60].
- مهارة البحارة الجزائريين و كفاءتهم الحربية و مقدرتهم القتالية العالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة، و من هؤلاء نذكر على سبيل المثال، الأخوين بربروسة (عروج و خير الدين)، و **درغوث رايس** و **صالح رايس**، و **إيدين رايس** و **آرناؤوط مامي**، و **علج علي** و **علي بتشين** و **حسن فيتريانو** و **ميزوموتو**، و **علي البوزريعي** و **الرايس حميدو** و **بكير باشا** و **الرايس عمر**، و **الرايس مصطفى** و **الحاج موسى** و **الحاج مبارك** و غيرهم. و بفضل هؤلاء الرياس أضحت البحرية الجزائرية مدرسة رائدة للبحرية الإسلامية في العهد العثماني[61].

لقد تميزت الظروف الدولية التي عرفت فيها البحرية الجزائرية نشاطا ملحوظا بتزايد قوة الدول الأوروبية، و ساعد الجهاد البحري الذي تزعمته الجزائر منذ القرن السادس عشر على توطيد صفوف المسلمين بالسواحل، فأصبحوا بمثابة كتلة حضارية واحدة تحت راية الدولة العثمانية. كما سمح هذا الجهاد البحري بمحاصرة و تصفية الجيوب الإسبانية، و بالتالي وضع حدا

---

[58] Langier, de Tassy, op.cit, P.69.

[59] حنيفي، هلايلي، المرجع السابق، ص 155-156.

[60] حول أنواع السفن و أسمائها و عدد مدافعها و أسماء رياسها.

[61] حول نشاط رياس البحر و أهميتهم في الجزائر خلال الفترة العثمانية أنظر:
M. Belhamissi, op.cit, T1, PP.195-216.

للتوسع المسيحي بشمال إفريقيا. و قد نجحت الجزائر بفضل دور البحرية في رد العدوان، و اكتسبت مكانة خاصة جعلتها بمثابة القلعة الأمامية في مواجهة المد الصليبي الذي يهدد سواحل المغرب فاستحقت كما قلنا سابقا تسمية "دار الجهاد" و "قلعة الإسلام".

أ. المجندون في الأسطول الجزائري:

كانت البحرية الجزائرية في العهد العثماني تتغذى عناصرها من ثلاثة مصادر أساسية و هي: المرتزقة المسيحيون وهم الأعلاج، و المسلمون من مناطق الإمبراطورية العثمانية ثم الأقلية و هم الجزائريون من سكان الإيالة. و معظم أمراء البحر ينحدرون من المصدر الأول، فمن أشهر رياس القرن السادس عشر، **عروج** و **خير الدين بربروسة**، **درغوث رايس**، و **علج علي**، هؤلاء الرجال هم الذين أنشئوا إيالات الجزائر و تونس و طرابلس الغرب، و أعطوها أشكالها السياسية و العسكرية [62].

و لا بد أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت بالمسيحيين إلى اختيار مدينة الجزائر ملاذا للعيش، و اعتناق الإسلام، و من ثم ممارسة الجهاد البحري و الانخراط في صفوف البحرية الجزائرية.هل كان هذا بدافع تأثيرات العقيدة الإسلامية؟ أم لأزمة العقيدة عند هؤلاء؟ أم لمصلحة و منفعة ذاتية؟

و الواضح أن الكثير من هؤلاء الأعلاج كانوا فقراء و محرومون في بلدانهم الارتقاء من القهر و التعسف، مما جعلتهم يستفيدون من مداخيل حركة الجهاد البحري، و أيضا الطمع في الارتفاع إلى أعلى مراتب السلم الاجتماعي، إذا علمنا بأن المؤسسة العسكرية في الجزائر كانت تضمن لهؤلاء تحقيق أحلامهم.

لقد كان هؤلاء يشكلون في مدينة الجزائر مجتمعا خليطا كزوموبوليتي، و لكنهم متعاونين من أجل هدف و مصلحة واحدة، فنجد منهم عناصر تركية الأصل، فهم أكثر رعايا الدولة العثمانية، بالإضافة إلى الكراغلة و الأندلسيين و بعض أهالي الجزائر و الأعلاج الذين اعتنقوا الإسلام. و قد تضاربت الإحصائيات حول أعداد الرياس في مدينة الجزائر، ففي تقرير لجاسوس إسباني يؤكد أنه في سنة 1564م كان بالمدينة حوالي ستة آلاف قرصانا، إلا أن الأب **دان**

[62] جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 200.

(DAN) فيجزم بوجود ثمانية آلاف سنة 1632م[63]. و في عهد الداي **مصطفى باشا** (1798 – 1805م)، لوحظ تجنيد الأعلاج في البحرية و دخولهم بالمئات[64].

و من أشهر الرياس بدون شك، **علي بتشين**، و هو من أصل **إيطالي**، اسمه الحقيقي بتشينو (Piccinio). و ما بين سنوات 1641 و 1641 أصبح زعيما للطائفة بدون منازع، و الرجل القوي في مدينة الجزائر، حيث استطاع من التغلب على الباشا المرسل من طرف الباب العالي بفضل ثروته الضخمة و المتمثلة في الباشا المرسل من طرف الباب العالي بفضل ثروته الضخمة و المتمثلة في ملكيته لقصرين فاخرين بمدينة الجزائر و عدة آلاف من الأرقاء، و الجواهر، و عشرات السفن، و أضحت سلطة الرياس و الإنكشارية و الكراغلة بيده. كما كان له حرسه الخاص و هو مؤلفا من المشاة و الخيالة. و خلال الثلاثينات من القرن السابع عشر كان القساوسة العاملون على فديه الأسري يتعاملون معه، باعتباره الحاكم الحقيقي للمدينة. "و لعل موته المبكرة في جويلية 1645" تدل على أنه مات مسموما بأمر من حاكم الجزائر[65].

كان الإجراء العادي للبحار أن يختاره مالكو السفن التي يستعملونها في معاركهم، و لكن قبل أن يعينه كقبطان كان عليه أن يجتاز بنجاح امتحانا يجريه عليه ديوان الرياس[66].ومن الضروري بمكان أنه من عليه أن يصبح معرفة بعض القواعد النظرية لفن الملاحة. كمعرفة حركة النجوم، و قراءة البوصلة و اتجاهات الرياح و فهم الخرائط الملاحية، أو الاهتداء بالجبال عند الحاجة. و يذكر القنصل الفرنسي **روني لومير** (René Lemaire)، في رسالة وجهها إلى السلطات الفرنسية، بأن مسؤول البحرية الجزائرية طلب منه خرائط بحرية للعالم و أربعة أخرى خاصة بمواقع البحر الأبيض المتوسط، و كل ما يتعلق بالأمور الملاحية في رأس الرجاء الصالح و بحر المانش و سواحل انجلترا[67].

---

(63) Père, DAN, Histoires de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli, 2ème édition, Paris, P.Rocdet, 1637, PP.313-314.

(64) Mouloud,Gaïd, l'Algérie sous les Turcs,Alger éd Mimouni, 2ed, Alger, 1991, PP.167-170.

(65) جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 202.

(66) كان يترأسه أميرال الذي يعد من أقدم العناصر في طائفة الرياس.

و الملاحظ أن القبطانات و البحارة كانوا يعيشون في الحي الغربي من مدينة الجزائر على امتداد الميناء و منطقة المستودعات تحت القصبة، و هناك كانوا يستطيعون حماية أنفسهم ضد المذابح المفاجئة من طرف مناهضيهم من رجال الأوجاق.

(67) M.Belhamissi, op.cit, T1, P.163.

لقد كان للطائفة كأي مؤسسة بحرية أخرى زمنئذ رتب و طريقة للترقية تندرج إلى رتب داخل السفينة و مسؤوليات في القيادة البحرية العامة. كان هناك طاقم كبير من الموظفين تحت قيادة الرايس على ظهر السفينة. فهناك باش رايس و هو مساعده الأول، و تنحصر مهامها في توزيع المهام على البحارة و السهر على الانضباط داخل السفينة، خوجة و هو كاتب السفينة و يعمل كمحاسب و موثق إذ يسجل مداخيل و مصاريف السفينة في دفتر خاص و بجرد الغنائم، و باش جراح و هو طبيب يكفل بعلاج المرضى، و رايس الطريق و هو قبطان الغنائم بحيث أن كل سفينة تضم عنصرين من هؤلاء، و تنحصر مهامها في السير الحسن لوصول الغنائم إلى مدينة الجزائر، و الإمام المكلف بتطبيق شعائر الإسلام و ترتيل القرآن على البحارة، و رئيس الإنارة البحرية التي ينظم الإشارات البحرية عند دخول السفينة الميناء، و رئيس المدفعيين و مساعديه و هم المكلفين بالإشراف على المدافع، و الممون الذي يقوم بتوزيع حصص الغذاء و يشرف على حسن تنظيم الذخيرة. أما البحارة فهم العمود الفقري لطاقم السفينة. و يتقسم البحارة إلى فوجين، الفوج البحري و يتمركز في مقدمة السفينة، و الفوج الثاني في المؤخرة. و يتراوح عدد البحارة من سفينة لأخرى، إذ تضم بعض الفرقاطات حولي خمسمائة بحار، في حين عملت الإيالة عند الضرورة تزويد ثكنات الميناء باحتياطي إضافي من البحارة يصل عددهم في حالة الطوارئ إلى ثلاثة آلاف رجل[68].

و فيما يتعلق بإدارة البحرية الجزائرية فقد كان على رأسها طاقم يتكون أساساً من:

ب. وكيل الحرج:

كان يشغل منصب وزير البحرية، و قد تحول هذا المنصب منذ القرن السادس عشر من وظيفة المحتسب للمستودعات و مخازن الترسانة البحرية إلى أهم شخصية في البحرية الجزائرية. و كانت مهامه موزعة على مجالين رئيسيين، أولهما شؤون البحرية و ثانيهما العلاقات الخارجية، فهي المجال الأول أصبحت الصناعة البحرية، و التسلح و الغنائم، و صيانة الميناء. و الصراعات بين الرياس و المتطوعين. و كل ما يتعلق بالتجارة الخارجية و النقل البحري كانت من اختصاصاته.

(68) V.de Paradis, op.cit, P.150

و يعمل تحت جهاز إدارته اثني عشرة بلوكباشيا يسهرون على حراسة المخازن و تموينات الأسطول[69]. و يتولى قيادة الأميرال و قبطانات الميناء و قبطانات الحملات و الرياس. و يقدم لهم التعليمات كما أنه يقوم بدور المحامي لمصالحهم لدى الداي بخصوص المسائل البحرية. و بفضل البلكوباشيين الذين ينفذون أوامره، تمكن وكيل الحرج من تشديد قبضته على أقوى مؤسسة بحرية في الجزائر خلال العهد العثماني و هي "طائفة الرياس".

تشير تقارير القناصل الأوروبيين إلى قوة و مكانة وكيل الحرج في حكومة الجزائر، من خلال حادثة اغتيال الداي **محمد بكير** في 15 ديسمبر 1754م حيث وجهت أصابع الاتهام إلى كل المسؤولين باستثناء وكيل الحرج[70].

في سنة 1756م، شاركت جمعية المفاوضين الفرنسيين المقيمين بمدينة الجزائر في اجتماع تعيين **عمر رايس** لمنصب وكيل الحرج، و قد عبر القنصل الفرنسي عن أهمية هذا المنصب لضمان مصالح السفن الفرنسية بالجزائر. و لهذا كان لزاما عليهم تقديم الهدايا المعتبرة لوكيل الحرج[71]. و بما أن مقاليد البحرية و شؤون القرصنة كانت تحت تصرفات هذه الشخصية، فإن الأوروبيين القاطنين بالجزائر كانوا دائما يحاولون كسب هذه الشخصية لحسابهم.

و مما تجب الإشارة إليه أن وكيل الحرج الذي كان إبان الفترة الأولى من الحكم العثماني مجرد محتسب للغنائم و سجلات الشؤون البحرية، أخذ يكتسب بالتدريج صلاحيات المساعد الرئيسي للدايات، و لعل هذا التدرج في الوصول إلى مركز النفوذ و هرم السلطة يعود إلى طبيعة نظام الحكم بالإيالة الذي يعتمد أساسا على جمع الأمور و إرضاء الأوجاق بالهدايا و رفع المرتبات التي توفرها مداخيل القرصنة. و هكذا أصبح وكيل الحرج بمرور الزمن الشخصية الثانية المؤهلة في الإيالة لتشغل منصب الداي حال شغور المنصب .و الملاحظ أن صلاحيات وكيل الحرج عرفت نموا متزايدا منذ أواخر القرن الثامن عشر.

ج. القبودان:

تراجعت مهام الأميرال في البحرية الجزائرية بسبب قوة وكيل الحرج. و تشير ملاحظات **فالبير** (Valliere) أن الداي إبراهيم كوتشوك (1745-1748م) حاول في سنة 1746م أحياء

---

[69] Venture de Paradis, « Alger au XVIII^e siècle », in, R.A, (N°40), 1896, P.277.

[70] Venture de Paradis, « Alger au XVIII^e siècle » in, R.A (N°41), 1897, PP.73-76.

[71] Devoulx (A), les Archives du consulat de France à Alger, Alger 1865, PP.72-73.

رتبة القبودان التي كانت شاغرة منذ أمد بعيد، فقلدها لأحد كبار الرياس المحبوب من طرف زملائه و أهالي المدينة. و منذ 1753م ظلت مكانة الأميرال شاغرة إلا أن الداي محمد بكير للمرة الثانية قلدها لأحد كبار الرياس **الحاج نورلة**. و حسب فالبير فإن هذه المحاولة من طرف الدايات كانت في حقيقة الأمر خلال إحياء هذا المنصب الهام في البحرية الجزائرية يرجع بالدرجة الأولى إلى المشاكل و النزاعات التي كان يتخبط فيها الداي، فحاول التخلص منها بسبب مشاكل الحملات البحرية وحدوث الصراع مع بعض الدول الأوروبية من جهة و مع طائفة الرياس من جهة أخرى[72].

يعد القبودان من أبرز ضباط البحرية الجزائرية، فهو القائد العام للأسطول عند خروجه إلى عرض البحر. و بقطع النظر عن المكانة التي كان يحتلها القبودان في سلك البحرية إلا أنه كثيرا ما كان يتعرض للمشاكل، ففي سنة 1690م سقط الأميرال **قارة مصطفى** ضحية المؤامرات التي كانت تحاك في قصر الداي زمنئذ و نستشف معلومات هذا الحدث من خلال رواية القنصل الفرنسي **لومير**[73]: "...سمع الداي[74] بأن القبودان **قارة مصطفى** يفكر في تدبير مؤامرة لعزله من السلطة، فأرسل إليه بزورق يضم ثمانية رجال ألقوا القبض عليه و ذهبوا به في الناحية الشرقية للميناء، و تردد الشائعات بأنه مات غرقا، و أخبار تقول بأنه أسر بسجون بجاية، لكن لا أحد يعلم صحة الخبر، و الحقيقة أن الداي عمل على مصادرة أملاكه و سفنه. و كم كانت فرحتي بهذه المحاكمة، لأنه كان عدوا لدودا لمصالح فرنسا، و بالرغم

د. واردیان باشي:

كان من أبرز الموظفين في البحرية الجزائرية، و هو يشرف على تنظيم الأعمال التي يقوم بها الخدم (أغلبهم أسرى أوروبيون) في ميناء، و يعين لكل رئيس سفينة العدد الذي هو في حاجة إليه للعمل على متن سفينته[75].

---

(72) Moulay, Belhamissi, op.cit, T1, P.225-226.

في عهد الداي إبراهيم كتشوك و محمد بن بكير، حدثت ثورات الكراغلة و القبائل 1747-1748م، و ثورات الأوجاق.

(73) روني لومير قنصل فرنسا بالجزائر ما بين 1690-1697م و الرسالة التي صقل فيها أحداث المؤامرة مؤرخة في 11 ديسمبر 1690م.

(74) الداي الحاج شعبان (1688-1695م).

(75) Venture de Paradis, Tunis…, op.cit, P.153.

كانت أبواب البحرية في الجزائر على غرار ما كان معمولا به في اسطامبول، مفتوحة أمام الراغبين من أبناء الرعية، حتى أنه من بين ألف و خمسمائة بحار كانوا يمارسون عملهم في ميناء الجزائر عام 1235هـ/1820م،كان ثلثهم من الرعية و الباقي من الأوجاق.

ثالثا : الأسطول:

عرف الأسطول البحري تطورا ملحوظا منذ القرن السادس عشر و أوائل القرن السابع عشر، ثم بدأ يضعف مع نهاية القرن السابع عشر قبل أن يتلاشى نتيجة حملة **أكسموت** (1816م)، و يعاد ت كوينه بصفة جزئية في السنوات التي سبقت الاحتلال الفرنسي.يشير صاحب كتاب الغزوات إلى نوع الفرقاطات و العشاريات و الغلياطات و الجنان (السفن) التي يتكون منها الأسطول البحري الجزائري في القرن السادس عشر[76].

بينما يذكر **هايدو** الغلياطات و الفرقاطات و البركنتي[77] و هو يشبه القلعة مدفوعة بالمجاديف التي استمر استعمالها في البحرية حتى نهاية القرن الثامن عشر، أما نهاية القرن السابع عشر فكانت سفن البرتون و السفن المستديرة و المدفوعة بالشراع، و التي تم تطويرها بأوروبا منذ 1600. و قد عرفت الجزائر هذا النوع من السفن بفضل المهاجرين الأندلسيين الذين تم طردهم في عهد الملك الإسباني فليب الثالث سنة 1609م. [78]

احتجز الداي **محمد بن حسن** (1718–1724 م) سفينة هولندية و أطلق عليها اسم الديليكية لتصبح فيما بعد تابعة للدولة[79].يصف **بارادي** السفن الجزائرية بقوله: "إن البحارة الجزائريين لهم أشرعة عريضة، (يقصد الشباك و الشطية) فهم يفضلون السفن الخفيفة و السريعة ذات الأشرعة الجيّدة" [80].

لقد ساهمت الغنائم البحرية في التصاعد المستمر لعدد قطع الأسطول البحري الجزائري، و الذي أصبح يقدر في سنة 1724 من السفن التالية [81]:

---

[76] مجهول كتاب غزوات عروج و خير الدين (تصحيح و تعليق: نور الدين عبد القادر)، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1934، ص 48 و82.

[77] Haedo, Topographie…, op.cit, P.51.

[78] جون، (ب) وولف، المرجع السابق، ص 185.

[79] Langier de Tassy, op.cit, P.261.

[80] V. de Paradis, Tunis et Alger…, op.cit, P.144.

[81] Laugier de Tassy, op.cit, PP.264-265.

العناصر	عدد السفن	عدد مدافعها
السفن المصنوعة في الجزائر	1	52 مدفعا
	1	50 مدفعا
	3	44 مدفعا
	1	40 مدفعا
	2	38 مدفعا
	4	32 مدفعا
السفن المصنوعة في هولندا	1	26 مدفعا
	1	26 مدفعا
	1	22 مدفعا
	1	16 مدفعا
	1	14 مدفعا
السفن المصنوعة في انجلترا	1	22 مدفعا
	1	16 مدفعا
	1	12 مدفعا
السفن المصنوعة في إيطاليا	1	26 مدفعا
	1	10 مدفعا
	1	14 مدفعا
السفن المصنوعة في إسبانيا	1	14 مدفعا
السفن المصنوعة في البرتغال	1	10 مدافع

إن مظاهر قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني كانت تضمن للدولة مداخيل معتبرة كانت تأتي من ثلاث مصادر أساسية: حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر، و مبالغ افتداء الأسرى، و الآتاوات التي تدفعها الدول الأوروبية تحت تدابير اتفاقيات شكلية لحماية سفنها من استيلاء القراصنة، و هناك مصدر رابع كان يحصل عليه من المؤسسة البحرية بذاتها و ذلك من خلال الإذن بالإرساء.

1. الأسرى المسيحيون:

لقد كان بيع و توزيع الأسرى يشكل القسم الأكبر من مدخول الجزائر، فالمصادر الأوروبية تشير إليهم بأنهم كانوا عبيدا أو أرقاء في كامل الأراضي العثمانية، بينما تعتبرهم الجزائر أسرى حرب.

إن الأسرى الذين لا يختارهم الداي للعمل كحراس أو خدم و لا يشتريهم الباعة يصبحون ملكا للدولة، فيستعملون للخدمة في الحجارة عبر طرق الإيالة، و في ضيعات الدولة، أو في دار الصناعة بالجزائر و ورشة بناء السفن. و قد كان فترة القمة في الحصول على الأسرى في بداية القرن السادس عشر[82].

لقد كان الواجب الأساسي للقناصل الأوروبيين هو الافتداء المباشر للأسرى أو التدخل لدى السلطات الجزائرية نيابة عن المقبوض عليهم من أبناء وطنهم. و يتم اعتماد وسطاء أوروبيين من الدبلوماسيين، غالبا ما يكونون من الفرنسيين أو من رجال الدين الإسبان المسموح لهم بالقيام بأعباء المستشفى التابع لبلادهم بمدينة الجزائر، و هي المؤسسة الوحيدة ذات الطابع الاجتماعي و الإسباني المهتمة بشؤون الأسرى الإسبان. و قد كان القنصل الفرنسي بالجزائر، هو الحامي "غير الرسمي" لهؤلاء القساوسة المختصين في عمليات الفداء[83].

و كانت هناك ثلاثة مجموعات مسيحية متخصصة في عمليات الافتداء و هي: جماعة الثالوث المقدس (Les trinitaires) [84]، التي كانت تشرف على أهم عمليات الفداء بالجزائر، ففي سنة 1789م كان لها حوالي مائتين و خمسين فرعا منتشرة في البرتغال و إسبانيا و إيطاليا، و مجموعة المرسدير (Mercedairs) و جماعة آباء الرحمة (الفرنسيسكان) [85].

لقد أدت العلاقات السيئة في عدة مناسبات بين القناصل الأوروبيين و الدايات إلى اشتداد الوطأة على الأسرى، ففي عهد **الداي إبراهيم** (1732-1745م) أمر بوضع السلاسل على جميع المقبوض عليهم و يبعث بهم إلى العمل الشاق حتى حصول الموافقة على مبلغ أعلى للافتداء[86].

- **2. الأتاوات و الهدايا الإلزامية:**

---

[82] وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 131.

[83] جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 217.

[84] جماعة التنظيم التثليثي تأسست عام 1148م، و تنظيم الرحمة تأسس عام 1232م، الأول تنظيما فرنسيا، و الثاني إيطاليا.

[85] جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 215-216.

[86] وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 132.

فرضت الدولة الجزائرية على الأمم الأوروبية المتعاملة معها تجاريا آتاوات، مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، و إعطاء تجار تلك الدول امتيازات خاصة، منها تخفيضات على الرسوم الجمركية، و هذا ما ينفي صفة اللصوصية القرصنية أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية، و التي حاول الكتاب الأوروبيون إلصاقها بالبحارة الجزائريين، لتبرير تحرشاتهم و التمهيد لاعتداءاتهم.

تزخر مراسلات القناصل[87] و كتب الرحالة الأوروبيين[88] و سجلات الدولة الجزائرية[89] بقوائم طويلة للأتاوات و الهدايا القنصلية و مما يلاحظ أن هذه الآتاوات و الهدايا لن تعد في الفترة الأخيرة من حياة الإيالة الجزائرية التزامات مالية تساهم بدخل محترم للخزينة، بل أصبحت مجرد هدايا ديبلوماسية و ترضيات مالية تقدم مقابل حرية الملاحة و لنيل الاحتكارات و الامتيازات التجارية[90].

و مما يلاحظ أن هذه الإتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر، كما كان للظروف السائدة في تلك الفترة، تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات.و الأرقام التالية توضح لنا مبالغ تلك الإتاوات و أنواعها:

1. **إسبانيا:** كانت تساهم بما قيمته 96.800 فرنك كاتاوة سنويا و من أجل حماية مصالحها بالجزائر و إقرار السلم معها، لجأت إلى إرسال 2000 قنطارا من البارود و ذلك بتاريخ 7 شعبان 1999 هـ/1785م[91]. و في سنة 1804م ألزمت بإرسال 9 مدافع من عيار 24 و 18 مدفعا من عيار 18 و في سنة 1826م أكدت مع معاهدة السلم المبرمة مع الجزائر فألزمت بدفع 150000 فرنكا[92].

2. **فرنسا:** كانت تدفع قبل سنة 1790 ما قيمته 37000 جنيه. و في سنة 1816م ألزمت بدفع ما قيمته 200000 فرنك. و في شهر جوان 1790م كانت فرنسا تدفع اللزمة التي

---

(87) E.Plantet (Eugene), Les consuls de France à Alger avant la conquête, 1579-1830, Paris, Hachette, 1930.p.

(88) مثال شاو-فانتور دو بارادي-دي بواتانفيل – شالير..

(89) مجموعة الوثائق العثمانية.

(90) Emerit (Marcel), « Le voyage de la condamine à Alger (1731)», in **R.A**,(N°98), 1954, P.378.

P.378.

(91) مج 3190، الملف الأول، ورقة 436.

(92) MGR, Pavy, « La piraterie Barbaresque », in, R.A (N°2), 1857, 1858, P.351.

حددت بستة و خمسين ألف و سبعمائة فرنك، تدفع على ستة أقساط[93]. و في سنة 1791م قدم القنصل الفرنسي **فاليير** هدايا للداي و الخزناجي و الآغا بمناسبة تعينهم في وظائفهم الجديدة، و قدرت بمبلغ 2000 ريال بوجو[94]، كما قدم القنصل **تانفيل** إثر وصوله مدينة الجزائر يوم 27 أبريل 1821م، هدايا معتبرة وزعت على حوالي مائة و ستين شخصا، و التي كلفت الخزينة الفرنسية ما يزيد عن مائتي ألف فرنك[95].

و من الأمثلة الكثيرة حول المبالغ التي كان يدفعها قناصل فرنسا للحكومة الجزائرية خلا مراسيم تنصيبهم في مهامهم الجديدة. ما يوضحه الجدول التالي[96]:

1742	6400 جنيه
1763	13200 جنيه
1774	16600 جنيه
1791	48000 جنيه
1805	8000 جنيه
1811	160000 جنيه

كان الجندي الانكشاري المرافق للرياس يشارك في محصول الغنائم فيشمل نصيبه جزء من الأموال، و الحلي، و العبيد. و كان التقسيم يتم بعد توزيع الحصص على مستحقيها، فيأخذ البايليك نصيبه، و يقسم الباقي إلى نصفين نصف يخصص لترميم السفينة و تجهيزها و تسليحها من جديد، بينما يوزع النصف الآخر

[93] جمال، قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 173.

[94] جمال، قنان، العلاقات ...، ص34، هامش 50.

[95] نفسه، ص 213.

[96] Blanvin, la condition et la vie des Français dans la régence d'Alger, Alger, 1899, P.79

على أفراد طاقم السفينة، فيحصل "آغا اليولداش" على ثلاثة أسهم من الغنائم، و ينال الجندي سهما ونصف[96].

مما سبق يتبين أن مجال الغزو البحري لم يكن حكرا على الأعلاج و لا على الأتراك بل نرى أن الثروة فسحت المجال للجزائريين لإقحام هذا المجال الهام، و هذه الحالات التي صادفتنا تبين أن الأثرياء من الأهالي عملوا أيضا على استثمار أموالهم في مجال مربح و هو الغزو البحري. و كان تاريخ الجيش بالجزائر حافلا بأعمال الشغب و الثورة التي تحدث بسبب التأخر في دفع رواتب الجند، لذلك قررت الحكومة أن تدفع رواتب رجال البحر في الميناء. و يسهر الأميرال على عملية توزيع الجزايات. و يساعده في ذلك بلوكباشي البحرية الذي كان مكلفا بتوزيع الرواتب على الرياس. و المعروف أن عملية توزيع الرواتب في الميناء كانت فكرة الداي **بابا علي شاوش**[97].

و الظاهر أن المؤونة التي يحملها الجندي معه لم تكن كافية نظرا لطول المدة التي تقضيها السفينة في البحر، و لهذا كان رياس البحر مضطرين إلى تزويد السفن بمزيد من المواد الغذائية كالبسكويت، الأرز، البرغل، الزيت، الزبدة، الزيتون و الزبيب بالإضافة إلى كميات من الماء الصالح للشرب. كانت حالة الجنود و المحدفون و العبيد في حالة أسوأ مقارنة برياس البحر[98].

3. الرواتب:

خلت المصادر التاريخية المحلية من الإشارة إلى كيفية تحضير الجندي للدخول في الحياة، أما المصادر الغربية فإن الإشارة اليتيمة إلى الوسائل التي كان الجندي مجبرا على حملها أثناء وجوده على ظهر السفينة ما أورده **فانتوردي بارادي**، منها بندقية، مسدسين ويطقانا (أي سيفا)، إلى جانب ذلك كله في كيس صغير[99]. و تقدر المكافأة للجندي الواحد بـــ صائمة واحدة (خمس موزونات) وارتفعت إلى سبع صائمات خلال الحملة الإسبانية لعام 1775م[100].

يتضح لنا مما سبق أن المصاريف التي تحملتها الخزينة أغلبها مخصص لتسديد مرتبات الجند، مما نتج عنه انعدام ضبط المصاريف و تحديد النفقات ظهور عجز مالي في احتياطي الخزينة، و خاصة بعد تراجع غنائم الجهاد البحري و تزايد مطالب الجنود، ففي إشارة لفتور دب بارادي بخصوص مقدار جرايات الجند في عهد قدرت بـــ150 ألف سكة جزائرية[101] أي مليون و نصف مليون جنيه[102].

---

(96) V. de Paradis, Tunis…, op.cit, P.152.

(97) Ibid, P.147.

(98) Haedo, Topographie…, op.cit, PP.43-44.

(99) V.de Paradis, Tunis…, op.cit, P.145.

(100) Ibid, P.161.

(101) السكة الجزائرية السلطاني نقد جزائري من قيمة ذهبية.

(102) V.de Paradis, Tunis…, op.cit, P.162.

كانت المبالغ التي تنفق على الجند تؤلف جانبا هاما من الأموال التي تطلبها نفقات الدولة، وهي إما أجور شهرية أو منح ومكافآت طارئة. فالأجور الشهرية تنفق على الجند كل شهرين قمريين، و هذه تعرف بالجرايات الصغرى لأنها تحض قسما من الجند فقط أي أولئك المتواجدين في مدينة الجزائر.

بينما بقية الجيش الموزع على الحاميات في أنحاء الإيالة يعين له موعد سنوي يقبض فيه جرايته وهذه المناسبة السنوية تعرف بالجرايات الكبرى و في عهد **فانتوردي بارادي**[103] كان الجندي يتقاضى كل شهرين 8 أسبر شيك أما البلوكباشي فأخذ 10 أسبر، وكانت مصاريف الجيش سنويا تقدر بـــ : 15000 صائمة، و عدد الجنود بالإيالة 12000، فبقا في كل جندي صائمتين بمعدل 1.5 مليون جنيه[104].

و تصرف أجور الجند طيلة أشهر: محرم، جمادى الأولى، رجب، رمضان، ذو القعدة و خلال أيام الأسبوع ما عدا الجمعة[105].و الظاهر أن آغا الهلالين كان يترأس حفل توزيع الجرايات و يتبوأ بهذه المناسبة مقام الداي.

وتصرف الجرايات بعد المناداة على الفرق العسكرية حسب نظام دقيق، فإن كان أصحابالأجور ضباطا تدفع لهم المرتبات في قاعة الديوان، و إن كانوا جنودا توزع عليهم الجرايات في ساحة القصر.

و الجدير بالملاحظة أن الجرايات الكبرى كانت تتم في فصل الربيع وتدوم العملية أربعين يوما، وكان هذا الحفل يقام خارج مدينة الجزائر، إذ تنصب خيمة كبيرة تسمى "أوطاق" و يشرف على عملية توزيع المرتبات و الدفع الخزناجي و كبار موظفي الإيالة [106].

رصدت لنا وثيقة رسمية هي عبارة عن رسالة بعث بها **محمد شاكر** باي قسنطينة إلى الداي **عمر باشا** يخبره فيها: "...أنه قام بإرسال كل أصحاب الرواتب من الجنود و الموظفين بغرض الحصول على علوفتهم (الأجرة) و توجيههم نحو وظائفهم الجديدة" [107]. لكن الأجور لم تكن محددة دائما بمدة الخدمة، فكثيرا ما رفعت أجور الجند بغية ولدوافع سياسيةقصد كسب التأييد و العطف مثل مضاعفة الأجور من طرف **أحمد باشا** الذي ضاعف الجرايات إلى خمس وعشرين بطاقة شيك سنويا[108]. أو تعيين سلطان جديد في اسطامبول أو لرفع محتويات الجند عند تعرض البلاد للغارات البحرية أو الثورات الداخلية، أو ازدياد مولود لدى السلطان العثماني. و في هذا السياق نقرأ في وثيقة أن الداي **حسين** وجه برسالة إلى آغا نوبة وهران بتاريخ شعبان

---

(103) Venture de Paradis, « Alger au XVIII^e siècle », in, R.A(N°40), 1896, PP.40-42.

(104) الجنيه الفرنسي كان الوحدة الأساسية للعملة الفرنسية حتى استبدل بالفرنك عند قيام الثورة الفرنسية عام 1789م. وهو يعادل 5 فرنكات.

(105) L.de Tassy, op.cit, P.152.

(106) V.de Paradis, Tunis..., op.cit, P.167.

(107) مج، 1642، ورقة 9.

(108) قيمة هذا النقد الفضي يقدر بـــ 0.45 ف. وظلت حتى سنة 1822م وتعتبر عملة حسابية فقط، للمزيد راجع:

Boutin, op.cit, P.142.

و قارن عند: ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...، ص 209.

1239هـ/ مارس 1824م يطلب فيها زيادة الأجور بصائمة[109] واحدة بمناسبة ميلاد ابن لدى السلطان[110].

(109) نقد جزائري فضي، هو عبارة عن عملة تستعمل لإجراء المعاملات الحسابية وتسديد أجور موظفي الدولة، تختلف قيمتها من وقت لآخر.

(110) مجموعة 3190، الملف الأول، ورقة 93.

الفصل الثالث

صورة الجزائر العثمانية في ضوء ملاحظات فالبير و مايفريد

أولا: الصورة السياسية للجزائر في كتابات فالبير

1- الوزراء وضباط الإيالة:

2- الديوان

3- الباشا الحاكم الأكبر

4- تقسيمات الأيالة

5- الأمن والشرطة

ثانيا: ملامح الاجتماعية: عادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر

1. شارل فيليب فالبير ومدينة الجزائر:

2. اللّغة:

3. مستشفى الجزائر العاصمة

4 . التربية والتعليم

ثالثا: الملامح الاقتصادية.

1. التجارة:

2. الزراعة:

رابعا: الملامح الدبلوماسية : الجزائر والسلام الأوربي

1. الأوربيون والحرب مع الجزائر:

2. علاقات الجزائر بفرنسا من خلال نظرة القنصل فالبير:

خامسا: إنطباعات مايفريد في الجزائر 1762-1781

الفصل الثالث

صورة الجزائر العثمانية في ضوء ملاحظات فالبير و مايفريد

تم اختيار المصدرين في توضيح صورة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال انطباعات الدبلوماسيين الفرنسيين شارل فليب فالبير(1756-1830)(Valliére Charles Philippe) و بيار جوزيف مايفريد(1723-1814) (Meifrund Joseph-Pierre) لأنهما سجل معظم الأحداث و الانطباعات عن فترة تواجدهما بالجزائر خلال الفترة العثمانية.[1]

انطلاقا من مذكرات شارل فيليب فالبير "الجزائر في 1781م" « L'Algérie en 1781 »، والذي حققه لوسيان شايو Lucien Chaillou [2]،الذي جمع وثائق خاصة حول القنصل الفرنسي شارل فيليب فالبير، يتمكن الباحث من معرفة صورة واضحة عن الجزائر خلال الفترة العثمانية بدون خلفيات،مثله مثل سابقيه من الأوروبيين إلا أنه قدم إنطباعات جد قاسية عن الجزائر و الجزائريين خلال هذه المرحلة ، فكتب عن تمرد الإنكشارية ضد الداي علي خوجة(1817) ، وثورة الكراغلة ضد الأتراك ومجزرة الإنكشارية. وتضمنت جل انطباعاته و ملاحظاته عن مدينة الجزائر حول: قصر الداي، حكومة الجزائر، انتخابات الديوان، وزراء الجزائر،الباشا، السكان، العادات و التقاليد،الدين الإسلامي و الشعائر الدينية، البايليكات و تقسيماتها، اللغة والزواج، أوضاع المرأة، المستشفيات و الأمراض، القوات العسكرية.[3]

---

[1] لقد تم إنجاز مذكرة ماجستير في التاريخ حول هذه الشخصية تحت إشراف الأستاذ الدكتور حنيفي هلايلي ، و الموسومة بـــ: العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال كتب الرحلات شارل فليب فالبير نموذجا، مذكرة ماجستير من إعداد الطالب: بن حادة مصطفى، جامعة سيدي بلعباس 2011-2012،179 ص. تقلد فالبير منصب نائب قنصل فرنسا بالجزائر مابين 1779-1781، وكرس حياته في خدمة الدولة الفرنسية في عديد مدن البحر الأبيض المتوسط. أما مايفريد مثل فرنسا ككاتب عام للقنصلية الفرنسية بالجزائر التي دخلها في 13 جويلية سنة 1763.و استمر في ربط علاقاته مع دايات الجزائر إلى غاية سنة 1782. وقد خلف فالبير في مهمات عديدة بسبب مرض هذا الأخير، للمزيد ينظر:

Valette, Jacques, « Vallière (C.-Ph.) : *L'Algérie en 1781, mémoire du consul C.-Ph. Vallière » Toullon 1974, 74Pp.,* publ. par Lucien Chaillou ,In Revue française d'histoire d'outre-mer Année 1976 , Volume 63 Numéro 230 , p. 151.

Pierre Boyer , « Chaillou (Lucien), L'Algérie en 1781, mémoire du Consul C Ph. Vallière »,In ,Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Année 1974 Volume 18 Numéro 1 , pp. 193-194.

A,Jacques Parés,Un Toulonnais à Alger au XVIII –siécle :Meifrund Pierre-Joseph(1723-1814).Les éditions Rieder,paris,1931.

[3] *Vallière (C.-Ph.) : L'Algérie en 1781,74p.*

لقد تحصل الكاتب على هذه المعلومات والتي ليست موجودة في أرشيف الجزائر، حيث اندهش بالأسلوب الرائع الذي خلفه القنصل وبثراء معلوماته الذي وصف بها الجزائر، في فترة حكمه وفي قبل ذلك والذي كان يحتاج الى بعض معاونيه في القنصلية، هذه المذكرات الخاصة بالجزائر والتي تعود إلى 1781م والتي أهداها القنصل الفرنسي إلى السيد كاستري Castries، وزير الحرب آنذاك[4] ، لقد حقق الكاتب Lucien هذه المذكرات بالتعاون مع السيد بيار جيرال Pierre Giral أستاذ بمعهد الآداب بأكس بروفانس Aix en Provence والسيد بيار بويار Pierre Boyer المكلّف بالأرشيف.

إنّ الوثائق التي جمعها المحقق سوف تمد الباحثين والمؤرخين بمصادر معلوماتية جديدة حول حقبة من تاريخ الجزائر في العهد العثماني التي كانت بعيدة في الطرح و البحث وصعبة في الدراسة.

ليس من السهل معرفة حياة القنصل فالبير الذي لعب دورا مهما في تاريخ فرنسا بالجزائر قبل وأثناء وبعد فترة توليه منصبه بالجزائر. ولد شارل فيليب فالبير في الرابع عشر من أكتوبر من ستة وخمسون وسبعمائة وألف وخمسون 1756م أبوه جون لويس فيليب وأمه هانريت فاشي، كانت عائلة فالبير غنية مثل بعض العائلات في بروفانس. وقد منحت هذه المنطقة لفرنسا عدد من أحسن القناصل في تاريخها، حيث قدمت فالبير كقائم بأعمال القنصل الفرنسي بتونس، وآخر أنطوان الذي مثل فرنسا بالجزائر في زمن الدايات، كما لقد لعب أنطوان فالبير دور الوساطة بين الجزائر واسبانيا من أجل السلم و الصلح.[5]

إن السيد: شايو استغلّ فرصته، فقد اكتشف في أرشيف تُولون *Toulon* الكثير من أوراق فيليب فالبير، القنصل الفرنسي السّابق في الجزائر، فقد وضع يده على أوراق متناثرة لمذكرة القنصل حول الجزائر، سيتم التعرّف على أهميتها لاحقًا. وتكفّل بعد ذلك بنشرها على نفقته الخاصّة. في هذه المذكرة سنتعرّف على الكثير، و نشيد بنزاهة الكاتب شايو على موضوعيته. إذ قدم إضافات أغنت البحث التاريخي في هذا المجال.

---

[4] القنصليات الفرنسية الموجودة في بلاد المغرب ينتمون إلى فصيلة البحرية.

[5] جون أنطوان، فالبير عم شارل فيليب الذي مثل فرنسا كقنصل بالجزائر ما بين 1763م – 1773م.

ينتمي شارل فيليب فالبير إلى أسرة بروفانسية من النظام القديم كان أحد أجداده كبير قناصل فرنسا في تونس وكان خاله قبله جون أنطوان وقنصلا في الجزائر (1763-1773).

ولد في 1756، فيليب كان مهتمًا بالبحرية، فقد عمل كطالب محافظ، ثم في 1777 عُيّن أمينًا عدليًا، والتحق بخاله في مهمته نائب قنصل في الجزائر سنة 1779، ثم حُوّل إلى طرابلس في 1781. ففي هذا التّحويل أُعطي لوزيره المذكرة المقصودة.

عمل قنصلا في كانديا من (1789-1790)، ثم عاد للجزائر في سبتمبر من نفس السنة كقنصل عام. إنها فترة حرجة، مع ممثلي لجنة السّلام العام، وانتهت مهامه القنصلية في 1796 ثم رأى نابليون بعد ذلك في مهام عديدة خاصّة تفاوضية في مرسيليا.

مارس فاليار عمل دبلوماسي غير احترافي، أقل ما يعرفه الجميع .فتقاليد عائلته تعطيه رصيدًا لا بأس به، فنحن أمام مذكرة بنائية، مقسّمة إلى أبواب.

لقد اكتسب شارل فيليب خبرة كبيرة في المجال الدبلوماسي نتيجة احتكاكه بشخصيات مهمة وذات كفاءة عالية في البحرية الفرنسية حيث كان عضو فيها. وفي فيفري من سنة 1777م ترك فالبير البحرية ليلتحق بالعمل ككاتب عام لعمه جون أنطوان بالجزائر بقي حوالي سبعة عشر شهر كعامل بالقنصلية، ليترقى إلى منصب نائب القنصل في 28 جانفي 1779م، في سبتمبر 1781 كلّف بالعمل في طرابلس في هذا التاريخ بدأ يدون في مذكراته الخاصة بالجزائر، بقي بطرابلس في 1789م، عين كقنصل لفرنسا في كاندي *Candie* ما بين أفريل 1789م وأوت 1790م، وفي الحادي عشر سبتمبر 1790م كلّف للقيام بالأعمال في إيالة الجزائر، بدأ عمله بالضبط في الخامس عشر من جانفي واحد وتسعين وسبعمائة وألف 1791م.[6]

لم يلبث القنصل وقتا طويلا حتى ظهرت بعض الملامح لعدم قدرته على القيام بعمله على أحسن وجه، فطلب الداي حسن من الحكومة الفرنسية تبديله بقنصل آخر، هو مايفريد *Meifrund*.

بالرغم من كل المشاكل التي وقعت لفاليير في الجزائر إلا أنه كان شخصية أكثر تأثير في العلاقات بين الجزائر وفرنسا.وحسب ما ذكره شارل رو *Charles Roux* بأن منحت له مهمة

---

[6] في الوقت الذي تسلم فيه فالبير مهامه كقنصل عام بالجزائر صرح المؤرخ plantet بأن كل المناصب في البلاد الإسلامية سهلة فإن العمل بالجزائر صعب وخطير

محددة لمغادرة الجزائر مع عائلته، لكن حكومته أكدت فيما بعد أن ميفرند كان رجلا متقدما في السن، وقد بعثت إلى العاصمة مبعوثا وهو بيار دي فال *Pierre Duval* [7] الذي سيكون عليه كلام آخر في أواخر الحكم العثماني في الجزائر، لقد غيّر الداي حسن رأيه وأكّد أنه بإمكان فالبير البقاء بالجزائر،وأنه من أفضل القناصل الذين مثلوا فرنسا في الجزائر.

فقد كتب المؤرخ *De Grammont* "إن السيد فالبير وفي سنة 1794م استطاع بعد تدخله لدى السلطات الجزائرية التي وافقت على إرسال الحبوب إلى فرنسا، حيث كانت له كل الإمكانيات للتفاوض مع الداي لكي يفترض مبلغ خمس ملايين بدون فوائد في الوقت الذي لم تجد فيه فرنسا أي سند في كل أوربا".

لكن فالبير سيكون ضحية الأحداث التي شهدتها فرنسا، انتهت مهمته بالجزائر سنة 1796م وعاد إلى مرسيليا واهتم بالكثير من الانشغالات، من سوء حظّه أن مرسيليا كانت تمر بأزمة خانقة وقد تأثر بها.في سنة 1821م قامت الغرفة التجارية لمرسيليا بمنح منحة لفالبير مكافأته على خدمته التي قدمها، ويذكر أنه توفي بعد ذلك، لكن في أفريل 1830م لا يزال حيّا

.

أولا : الصورة السياسية للجزائر في كتابات فالبير

1. الوزراء وضباط الإيالة:

كان للدّاي عدّة وزراء، وهم دائما أتراك، في حين هم الأوائل الذين يشغلون الأماكن الأولى للدولة. سلطتهم واسعة جدّا، بعضهم يملكون حق الموت والحياة يعالجون القضايا بألفة بينهم قرارتهم دائما عاجلة.

أصوات الديوان والرؤساء في القصر تجتمع لصالح أحد أكبر المسنين، أما المنتخَب فيجلس على كرسي الدّاي، كلّ مواضيعه الجديد تمر على يديه، يرفع المقرّ على سطح القصر، ويطلق ضربة مدفع الكرّة بواحد من أقوى البحارين. منذ هذا اليوم الدّاي يقوم بإشهار زيادة الدّفع من أجور الجند، بغية التوفيق بينهم و اكتساب ولائهم، فهو يؤسس العدالة ويقوم بكلّ مهامه، مثل كأنّه كان حاكما منذ 10 سنوات، جميع قناصل الأوطان في سلام مع مجلس الوصاية على العرش،

[7] المبعوث الفرنسي إلى الجزائر ولكي ينظر إلى قضية فالبير، وهو نفسه أحد أعضاء حادثة المروحة.

يفقومون بتهنئته في اليوم نفسه، وهو يقبل اليد.يجلس على عرشه، دائما يفكر دائما في الضحايا الذي يجب عليه التضحية بهم من أجل أن يكون أكثر حزما وأكثر ضمانا.[8]

إن القوانين المظلمة والمتباعدة الواحدة عن الأخرى، تنير المدينة، وتقريبا كلّ الشوارع معلقة بأبواب في كفاية كلّ واحدة منها من أجل السلامة والطمأنينة لدى الشعب في المترل. أما السكان من مختلف الشوارع لا يستطيعون الاتصال، هذه الأبواب لا تفتح إلاّ للأكابر، أو العساكر الفرنسية، فهي تعتبر أحسن وسيلة للقضاء على السرقة أو القتل. المتهم هو مسجون في قاعة كبيرة فلا يستطيع الهرب منها.[9]

تفتح هذه مع أبواب المدينة وتعلق في نهاية الليل بواسطة مجموعة من 12 رجل أقوّياء، ، فيها بعض الأتراك. ووزراء الداي هم للذين يعتقلون الأشخاص من أجل وضعهم في السجن وعساكره يكتسبون ثقة كبيرة، خاصة مراحل اعتقال شخص ما والذي يتطلب الحذر لدى المسلمين، هذه تعتبر جريمة بدون أي مثل وهذا يستحق الثورة والدفاع عن أنفسهم من الوزراء لدى القضاء ومن البشع في العاصمة أن يقدر *الشاوش* اللمس بحداثة القاتل الذي يتابعه، فهو دائما يحيه ويتابع هروبه من أجل الصمود. هذا من الخرافات التي تحكي على الأنفس الجاهلة.

مقر الشاوش جيد، محترم ويستطيع الوقوف في الأماكن الكبيرة. هذا هو طريق الشوق ويأخذ هذا السكان 10 سنوات والذي فيها يقتصد 20.000 *دوكة* وهذه تعتبر قيمة كبيرة لدى الجزائريين.ولباسهم ثقيل جدا، وغير نظيف وهذا بسبب مهنتهم التي تتطلب ذلك، أحذيتهم هي عبارة عن حذاء من حديد الذي يعمل نوع من الضجيج ويعلنون من بعيد عن الشخص الذي يرتديه، وهذا من أجل تخير الأتراك ونقص العقاب في بلاد الموت هو الذي يحكم.[10]

لدى الإنكشاري العثماني نوع من الأفضلية حتى لا يعتقل في مدينة إلاّ من طرف تركي آخر. عساكر من "المور" تسهر في الليل والنهار وذلك بنواحي العاصمة، هم يستطيعون اعتقال المتهمين. الأتراك لا يأبهون لتلك الجرائم دائما، البراءة تكفّر تحت العصا، تحت الأنياب وتحت الأشجار أين

(8) Lucien Chaillou, op.cit, p. 3.

(9) Ibid,p.4.

(10) Ibidem.

يؤخذ المحكومين. وكلّ العالم يستطيع الذهاب لترافع السبب أمامه...(تمزّق)...الدّاي الذي يعطي للانتباه ويمنح العدالة هو نفسه دائما.

الخزنجي هو الوزير الأول لمجلس الوصاية والمدير العام للمالية مفاتيح الخزينة في يديه. كلّ جزء الإدارة بين يديه، هو يدير ويفتش. وهو مشغول كلّ أيام الأسبوع لمنح العدالة، بعد صعود الدّاي إليه، بعد أن يرسل كلّ القضايا المشاعة التي ليست بالأولوية الأولى، وأخيرا مكانته تعطيه القوّة والتأثير في الحكم.(11)

أمّا الأغا فهو القائد العام لكلّ فرق المملكة للجزائر العاصمة، للكثير من المشاة على الفرسان، خارج أبواب المدينة، ينادى يملك الحملة ولديه دون منازع كلّ الحقوق، كلّ الأولوية وكلّ القدرة إنّه هو الذي يكون على رأس الجنود عندما يكون هناك عمل مهم، أو يجب إحضار إليه الشعب الثائر أين الثورة تهدّد بمخاطر وتطلب إصلاحات إنّه أيضا عامل أكثر من عنيف ومهم. في المخيمات، إنّه الطاغية الذي يعاقب بالعصا، حتى الموت ويخلص من هو جيدّ ويشبهه. البايات أو حكام المقاطعات هم خاضعين له، لديه الحكم الكبير ليُرجع كلّ شيء بطاعته. يتناول المواضيع بكل حرية، يمكن أن تصبح ي المدينة له و أن يحتفظ بكلّ شيىء من عدالة و قانون .القوّاد والشيوخ تحت نفوذ ه، ومختلف القبائل(المخزنية) تحت تصرفه ويقوم بتسوية أمورهم، ويستخدمهم لقمع المتمردين.

خوجة الأحصنة، أو كاتب الفرسان مسؤول على ضبط القبائل.كلّ القضايا ومواضيع التجارة يعالجون أمام وزير البحرية إنّه يطلب من رئيس وقوّاد السّفن.(12)

يحاسب الداي وزير البحرية كلّ مساء حول كلّ ما جرى في البحرية في اليوم.فمجلس الوصاية على العرش لا تربطه أيّ قضايا أو مشاكل إمع ضبّاطهم، الوزراء ليس لديهم إلاّ هؤلاء الجنود المأجورين جيدّا، لكن الحقوق والاستعمالات هم مرتبطين إلى أماكنهم. الحماية التي يبيعونها تكلّف غاليًا، وميلهم اللامتناهي إلى الأكل يقوم بالإمطار على الحاضرون في بيوتهم. هذه تجربة الأكل تفرض شرحًا. نطلب فضلا من كبير، من أجل الحصول عليه، وزير يعطي إرضاءًا متفرقا، هذا الاستعمال وهذا الذوق للقيام بالأكل والأكل هم على العموم متابعون، ويتم الحصول عليهم

(11) Ibid,p.5

(12) Ibid

إلاّ نادرًا.النوعيات والأخلاق وطباع الوزراء وأوائل مجلس الوصاية على العرش يجاوبون قليلا في أماكنهم، في حكمهم، وفروضهم وفي ثرواتهم. حرصهم على مناصبهم غير متناهي ، وسوء استعمال السلطة في الحكم.[13]

2. الديوان:

لا يكتفي أبدًا إلى أن يشبه بعض الخصائص البسيطة تعلّم الإنسان في الشكل و ليس لديه علاقة أبدًا لا مع تفكيره ولا مع روحه في إطار الكرم، فالاعتراف، والنبل في التعابير هي غير معروفة، فرجال الديوان قاسون في عقابهم الذي يعطونه .ويكونون هم في بعض الأحيان المنقذون، ففي بعض المرّات يقومون بحمل عصا أو سلاح للضرب به والمعاقب بطريقة غير إنسانية، وهم يتلذذون كثيرا لهذا المشهد الذي يعبّر على قسوتهم اتجاه المتعاملين . كلّ وزير لديه حلفاءه أو بالأحرى عبيد من يزحفون في ساحته مأجورين على انحطاطهم فهم ينحنون له ويقبلون ويلحسون يده.بالتمجيد.

ضباط الديوان هم الممثلون الحقيقيون للسلطة، حيث يحضرون كلّ مراسم احتفالات الإيالة، فالديوان ومجلس الدولة يناقش كلّ القضايا الصعبة المتعلقة بالإيالة. ويتكون مجلس الديوان من الداي الذي يترأس الجلسة والوزراء والأعيان. وللديوان الحقّ في الفصل في الكثير من الأمور السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية.[14]

3. الباشا الحاكم الأكبر:

مجلس الوصاية للعرش على الجزائر العاصمة، في بنايته الأولية تحت الحماية المباشرة للحاكم الأكبر،و الباشا لديه تأثير كبير على الحكم .وكان الإشارة المرئية للحكم في الجزائر العاصمة.لكن الإنكشارية جرّدوه من حكم و لم يعد سوى شيخ غير قادر على فعل أي شيء.وفي العمق فإن الجزائريين هم أحرار. أوامر الحاكم الأكبر هي دائما متجنبة من طرفه عندما تكون الأوامر عكس مصالحهم.فالإنكشاريون يوافقون القرارات والنوعيات، بسهولة ، كما قالوا: عندهم الفخامة لا تعادل شيئا أمامه[15].

4. تقسيمات الإيالة:

---

(13) Ibid.

(14) Ibid,p.7

(15) Ibid,p.8

قسّمت هذه المملكة يعني الأيالة إلى ثلاث مقاطعات(بايليكات) حيث يقوم الدّاي بإحضار البايات أو نواب الملك. أوّل هؤلاء البايات من أجل الصف والأقدمية صاحب النصف أو المقاطعة، سكن في مدينة (المدّية) ،والثاني هو باي الشرق :قسنطينة، ، والثاني هو باي الغرب معسكر، وهذه المدينة هي مكان إقامته. اسم هذه المقاطعات تعلن وضعيتهم بالنسبة للجزائر العاصمة.[16]

كانت الإدارة الجزائرية في العهد العثماني ترتكز على تقسيم يتلخص في أربع بيليكات، و هذا منذ ولاية **حسن باشا** الذي حكم الجزائر ثلاث مرات. الأولى ما بين (1544 – 1552م). و الثانية ما بين (1557 – 1561م)، و الثالثة ما بين (1562 – 1567م)، و كان على رأس كل بيليكية باي يعينه الداي، و كانت تشمل المقاطعات التالية:

1. **الجزائر:** و كانت تسمى **دار السلطان**، و هي تمتد من **دلس** شرقا إلى **شرشال** غربا، و ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس **البليدي** جنوبا، و تضم إقليمي: الساحل و متيجة، و تخضع مباشرة لرؤساء السلطة التركية، و تنقسم إلى أوطان يحكمها قواد تحت إشراف آغا العرب قائد الجيش، و كل وطن يتكون من دواوير.
2. **بايليك الشرق:** و عاصمتها قسنطينة و قد أسست في السنة الأخيرة من حكم حسن باشا 1567م. و قد حكم الأتراك أغلب نواحيه الجبلية و الصحراوية عن طريق الرؤساء المحليين.
3. **بايليك الغرب:** لقد تبدلت عاصمتها أكثر من مرة. إذ تأسس سنة 1563م، ونقلت عاصمتها من مازونة إلى معسكر سنة 1710م، ثم أصبحت وهران عاصمة لها بعد تحريرها من الاحتلال الإسباني سنة 1792، و كانت لها صبغة حربية نظرا لتوتر العلاقات بين الأتراك و المغاربة و بقاء الإسبان زهاء ثلاثة قرون.
4. **بايليك التيطري:** كان أصغر البايليكات و مقرها المدية، أسس سنة 1540م، و كانت الأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية، و وضع بجانب الباي حاكم يتصل مباشرة بالجزائر و يهتم بأمور القيادات الأربع التي كان البايليك يتكون منها.[17]

---

[16] يمكن أن نصف جهاز الدولة الاداري إلى طبقتين، الطبقة الأولى: تضم الداي و الموظفين السامين،و الطبقة الثانية و تشمل الموظفين المساعدين مثل: كتاب الدولة و موظفي الخدمات الاقتصادية و الاجتماعية ورجال حفظ الأمن و الإشراف على القوانين بالإضافة إلى الديوان المحلي لكل من بايليكات الشرق و الغرب و التيطري.

[17] Louis. Rinn, « le Royaumme d'Alger sous le dernier Dey », in, R.A (N°41), 1897 P.137.

وبصورة عامة، لم تكن السلطة التركية الفعلية تشمل سوى سدس مساحة الجزائر الشمالية في حين ظلت حدود الجزائر جنوبا غير واضحة، و هذا حسب المعلومات التي أثبتها بعض الكتاب الفرنسيين.

وفوق ذلك عبارة عن حكومات صغيرة شغل التقارير إلى العاصمة أو ما يطلبه ما يسمّى بالقائد.هؤلاء البايات هم الحكّام في نواحيهم، عملهم الأوّل هو قيادة الأهل الجزائر إلى المركزية، فيحققّون العدالة ويعاقبون بالموت إذا اضطر الأمر. وثروات البايات شاسعة مع فقر سكان الأيالة، فقط قسنطينة هي الغنية من بين المقاطعات الثلاث. مكان الباي لا يجب أن يكون منشغلا إلاّ بتركيّ. يمثل الباي السلطة السياسية الأولى على الإقليم و هو المسؤول الأعلى أمام الحكم المركزي، حيث كان عليه القيام بتعيين المسؤولين و تنصيبهم و تنحصر مهامه في تسيير شؤون المقاطعة و الإشراف على القوات العسكرية و عملية جمع الضرائب من الأرياف و السهر على أمن المنطقة. و للبايات الحق المطلق في إصدار العقوبات ضد الأهالي و حق مصادرة الممتلكات، كما يتولى البايات قيادة الجنود في المعارك.[18]

5. الأمن والشرطة:

ترتكز الحكومة على العنف، وعدم العدالة والطغيان التي لا تستطيع المساعدة إلاّ باستعمال وسائل وحشية، فهذه السلطات تطلب من الأيدي المساعدة استعمال الحيلة قبل القوّة وعلى السياسة والنباهة المتخذان من طرف الأشغال التي تحكم الأهالي، رؤية الموضوع من جهة يستطيع هزهم حتى ولا يعهد ضعيف.

تحكم الحكومة بقوانين من طرف "أب للشعب" هو بمثابة الأسير، يسير بحاجة إلى أي شيء من أجل المحافظة على هذه المكانة ومن أجل المحافظة على حالة الاستبداد يجب على الشعب الإفريقي امتلاك قوانين أخرى و"المور" الموجود بسلطنة العاصمة هي مقسومة إلى قبائل، وهذه الأخيرة تكون أنواع من الجمهوريات التي بها حاكم يحكم بقوانين وعادّات تسهر على أمن أعضائها. وهذا الانقسام تستطيع المجتمعات المستقلة التحكم في بعضها البعض ولا تعرف معلّما أو سيدا إلاّ

(18) Boyer, « Introduction à une histoire intérieure à la régence d'Alger », in R.H, N°478, avril-Juin, 1966, P.310.

في حالة ما جاء يرفع عنها الضريبة[19].وبهذا شبح السلطة يظنّ أنّه يفرح كلّ قبيلة، فهو السبب الأول في اعتماد عادته والقوّى ذو انقسام كبير تصبح لا شيء.التنافس، الصراعات والحروب هو الويلات التي لا تستطيع المجتمعات المجاورة تفاديها رفع أنّها تعاكس المصالح العامّة والمصالح تهدي شيئا ثاني لعبودية المغاربة فهذه الأسس التي يرتكز عليها مجلس الوصاية للعرش فهي التي تعبر القوى حسب الوضعيات التي تبقى في حالة اعتماد دائمة.

والشغل الأكبر لدى الأتراك هو تفضيل انقسام هذه المجتمعات حسب مقولة اقسم و احكم. هذه المجتمعات القادرة دائما على الغدر والخيانة هما إحدى المراجع التي أدّت إلى انتفاضة الجزائريين أكثر من مرة (Maure) بسبب الجور و الظلم و الحملات العسكرية لتحصيل الضرائب.، ولكنّ كان يتم قمعها في حين بإرسال المحلات من طرف البايات . أصبحت عملية الضرائب تتم تحت الضغط و الإرهاب، مما دفع الحكام إلى تجهيز الحملات العسكرية لتأديب الثورات و إرغامهم على الدفع في حالة إبدائهم لأية مقاومة. و كان الهدف من وراء إرسال الحملات العسكرية إلى مختلف مناطق الإيالة هو تأمين أكبر كمية من الضرائب. و كانت المحلات الثلاث (محلة قسنطينة، محلة الغرب و محلة التيطري) تنطلق من الجزائر لتقديم الدعم اللازم للبايات. و بسب شساعة مساحة الجزائر، فإن المحلات كانت تواجهها صعوبات التنقل و مقاومة القبائل التي ترفض دفع الضرائب.

قد يؤدي الفشل إلى عدم تحمل شروطهم فهو حسر بالخيانة، ومن أجل الخروج السعيد من هذه الثورة، توجهت هذه الشركة إلى البحث عن رجال لا عبيد أو خونة أو جبناء. فالحكومة لها القدرة على استعباد هذه الأشخاص، وهذا بجعلهم فقراء . وبهذا يضيع كلّ قوّاه روحه لا تملك القدرة لأنّه لا يملك بدل الشجاعة سوى الفشل وعندما يكون ضمن العمل والصناعة لا يؤدي إلى قدر أحسن، فهو ليس سوى فخ إلى الوحشية، والعامل يجب أن لا يقوم بأي شيء سوى رؤية نفسه في العار.وفي هذه الحالة الاعتماد الذي يرتكز عليها الأتراك، تتأزم أكثر فأكثر، خاصة حينما يقبضون على الجزائريين (المور) فهي شهادة على جبن هذا الأخير.20 جزائري .يرجفون أمام تركي واحد منهم يرهبهم إلى درجة الهروب. وهذا الاحترام هو مصقول في مهنتهم .[20]

(19) Chaillou,p16

(20) Ibid.

وتجب الملاحظة في هذا السياق أن الجزائر تعرضت لمجاعات مهلكة سنوات متلاحقة، ففي سنة 1800م حدثت مجاعة بالبلاد اختفت فيها الأقوات من الأسواق حتى اضطر الداي **مصطفى باشا** بالالتجاء إلى استيراد القمح من موانئ البحر الأسود لتوزيعه على السكان، و أعطيت الأوامر بعدم تصدير هذه المادة و تشديد حراسة الجنود على مخازن الحبوب، و هذا ما أشار إليه **حمدان خوجة** [21] بقوله" :و في سنة 1800م أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى، و وقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي لتموين البلاد بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح. و قد بيع ذلك القمح بثمانية و عشرين فرنكا للصاع الواحد، و على الرغم من ذلك كان لابد من تنصيب الجنود عند باب كل مخزن.[22]

وقد شهد القرن التاسع عشر موجة من فترات المجاعة و القحط، و تتضمن المصادر المحلية الكثير من الإشارات حول المضار التي سببتها هذه الظواهر، مما ترتب عنها فقدان الموارد الغذائية في الأسواق، و ارتفاع أسعارها، حتى أصبح القمح يباع بأثمان مرتفعة

ثانيا: الملامح الاجتماعية: عادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر:

تحتوي مدينة الجزائر على الكثير من الحصون الجيدة خاصة من جهة البحر وبعض القوات التي تحمي المدينة والشاطئ، توجد في الجهة الشمالية منارة كبيرة من ثلاث بطاريات، واحدة فوق الأخرى، وتنار كل مساء[23] قام الجزائريون ببناء بجانب هذه المنارة في الجنوب قصرا منذ ظهور الدانمركيين أمام هذا المكان، ويتكون من ثلاث بطاريات، الأولى والثانية ممتازين يتكونان من 24 مدفعا والثالثة من 8 مدافع، كما هناك قصرا به ثلاث بطاريات كذلك بها مدافع، ويوجد بجانب القصر الثاني بوابة بها ثلاث مدافع، يروي الجزائريون أنه أثناء قنبلة مدينة الجزائريين من طرف الفرنسيين، وضع فرنسيان في فوهة المدفع[24]، يدعى الباب الغربي للعاصمة "باب الواد" حيث

---

[21] حمدان خوجة هو أحد أعيان مدينة الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي للبلاد، و عائلته كانت تملك أراضي شاسعة في سهول متيجة، و البنايات في العاصمة، كان أبوه فقيها و أمينا عاما للإيالة" مكتابجي"، و كان طليعا باللغات الأجنبية. كما زار العديد من العواصم الأوروبية، و يعتبر من ألمع وجوه المقاومة السياسية الوطنية، غادر الجزائر سنة 1833م.

حول حياته و أهم أعماله بالجزائر و خارجها، راجع:

Georges, Yver « Si Hamdan Ben Othman Khoudja », in, R.A(N°57), 1913, PP.96-138.

[22] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 160.

[23] Chaillou,p.38.

[24] في 29 جويلية 1683م، وضع على فوهة المدفع القنصل الفرنسي الأب لوغاشير وفيكار أبوستوليك، عن مذكرات فالبير، Ibid,p.39.

يهدف إلى الدفاع عن البلاد وهو قوي وجيد، وصد عدد المدافع التي تحمي الجزائر إلى 2000 مدفع، فالجزائريون لا يهابون القوى الأوروبية ولو تحالفت مع بعضها البعض، من جانب آخر يغزو المحيط والبحر المتوسط العديد من السفن والكثير من المباني الحربية حيث كان الأسطول البحري الجزائري قوة لا تضاهها أي قوة أخرى، لكن اليوم بقي القليل من خيال هذه القوة البحرية، سفينة من خمسين مدفعا غير قادرة للذهاب إلى البحر، وكانت حالة البحرية الجزائرية كما يلي[25]:

جدول القوات البحرية الجزائرية حسب فاليير

أنواع السفن	عدد المدافع
فرقاطو	44
كورفيت	40
كورفيت كبيرة	26
زورق	32
شبك	32
شبك	26
شبك	16
غليوطة	4
غليوطة	2
غليوطة	32
فرقاطة	32
بريك	24

إن الأحكام القاسية و الاعتباطية حول ضعف القدرات العسكرية البحرية عند الجزائريين حسب فاليير غير صحية ، وهذا الاستهزاء بالقوات الجزائرية نابع من الحقد الدفين للجزائر من طرف الفرنسيين الذين كانوا يعيشون بين ظهور الجزائريين و يضمرون الشر. ولمعرفة قوة البحرية الجزائرية . لقد كانت الجزائر عرضة للأخطار الأجنبية، و هذا بسبب فعالية موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يتحكم في معظم الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وانطلاقا من محور مالطة إلى مضيق جبل طارق. و قد لفت هذا الموقع انتباه الأوروبيين منذ بداية العصر الحديث،

(25) Lucien, Chaillou, op cit, p. 40.

لهذا كان لزاما على حكومة الجزائر حماية السواحل من الغزو الأجنبي المنظم في شكل حملات عسكرية قادها الأباطرة و الملوك و الأمراء و الرهبان و القراصنة. و في هذا السياق واجهت الجزائر هذه الحملات الصليبية الشرسة ببناء قوة عسكرية رادعة كأداة لفرض هيمنتها، تتمثل في الأسطول البحري الهام الذي مكنها من القيام بدور مشرف في الأحداث العالمية.كما يمكن العودة إلى العمل الأكاديمي للأستاذ هلايلي حنيفي.[26]

استغل الجزائريون العتاد الذي كان بحوزتهم استغلالا جيّدا، لعقد السلام مع العديد من القوّى المسيحية، حيث كانت الحراسة مشدّدة أكثر مما يفعل الاسبان، لحراسة سواحلهم من القرصنة الجزائرية، لكنّ في الحقيقة كان بحارة الإيالة أسوأ البحارة حيث كانت المعدّات التي كانوا يخسرونها سنويا لدليل على ذلك. ليس لهم معلومات قيمة ومعلوماتهم غير كافية عن الإبحار ، وغالبا ينخدعون بسبب جهلهم. فتسليح قائد البحرية يكون خلال 24 ساعة. كان الجنود دائما حاضرين بقوّة لهم رواتب ضعيفة وكانوا يتلقون الأوامر من قائد البحرية الذي يطلق الراية ويجعل الطريق كالمغامرة، إنّه قائد ضعيف ليس له كفاءة عالية في الميدان البحري.

لم يكن في الجزائر ما يبشر بالخير، أدنى الوسائل لم تكن موجودة حتى عند إنشاء مسبك ،توسل الداي الحاكم محمد باشا لدى فرنسا، حيث بعثت هذه الأخيرة سنة 1772 السيد ديبان Dupont وهو مسبكي كلّف بإنشاء مسبك بالجزائر، توفي في ورشة عمله وأنهى إبنه الأشغال ووضعت فيه مدفعيات ضخمة. أمّا فيما يخص الأموال كانت منظمة تنظيما محكما وكان كنز الداي بمثابة حفرة تلتهم دون تردّد. لا يمكن بالاستطاعة الأموال لكن بالتأكيد أنّها تقدر بـــ ثلاثمائة مليون درهم ملكي[27].

لا يمكن تحديد عائدات الدولة، حيث يقدر بين 6 و 7مليون ويفوق الحساب العام للنفقات 2 مليون في السنة، يدخل الفائض من العائدات إلى الكنز قام بابا علي في السنة التي تم فيها الاستيلاء على تونس صرف مبالغ طائلة، والاستيراد العام كلّف الملايين، وهذا بمناسبة السلم بين قوات الشمال والبندقية، أموال كثيرة دخلت الخزينة.

---

[26] حنيفي ،هلايلي، النظام الحربي...، المرجع السابق، ص ص 112-158.

[27] Chaillou,op.cit,p.42.

إن النهب الذي تعرضت له مدينة الجزائر جعلت الجنود أغنياء، لكن يجب على كل شيء أن يطبق بسرعة وبضربة يد واحدة، وكان الكثير من هؤلاء يستولى على ثروات الأخرين .فيما يخص الحمامات، فإن الدوق الخاص بهم مدعم من منطلق ديني، الذي يؤكد على طهارة كبيرة للجسم كرمز للروح، هذا ما يوجد عند المسلمين، عند الذكر والأنثى على حد سواء.

بنيت بالعاصمة عدّة حمامات عمومية وهي عبارة عن بيوت ذات سخونة عالية، حيث يصبح الجسم لين ومنهك، وذلك بسبب ارتفاع درجة الحرارة مع سيلان العرق، والحك القوي والخشن للجسم من طرف رجال مختصين، يقوم هؤلاء الرجال بتكبيل اليدين والركبتين وفرقعة العظام، وتدوير الرأس فوق العنق بسرعة وحتى على الجسم حيث تصبح كل مسام الجسم مفتوحة.[28] أمّا النساء فالحمامات بالنسبة لهنّ عبارة عن تجمعات للبهجة والحرية فيما بينهن، فالجزائريات لهن دوق من أجل السعي للذهاب إلى الحمام هذا ذوق النساء في الجزائر.[29]

1. شارل فيليب فالبير ومدينة الجزائر:

قبل الحديث عن موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال نظرة القنصل الفرنسي فالبير يجب التطرق إلى جوانب أخرى بعيدة عن الدبلوماسية وحكاية القنصل مع الجزائر اجتماعيا وثقافيا، حيث أنّه يصف لنا العاصمة فهي ترى في البحر من بعيد مبنية على شكل تدرج مسرحي على منحدر تلة التي تميل عليه، وعند الاقتراب منها تبدو البيوت وكأنّها مترامية الواحدة على الأخرى.[30]

إن موقع العاصمة يمتد على الجانبين هذا يعطي منظورا لطيفا جدا، تلتقط بسهولة كلّ النقاط التي تربطه، فالمدينة تظهر بمنظر جميل، شوارعها ضيقة لكنها ذات روائح كريهة ومظلمة، فيها يموت البؤساء بالجوع، لا توجد بها أي نشاط تجاري لا صناعة ولا رخاء، سكانها غير منتظمين القضاء فيها يبقى شبه مستحيل[31].لا يوجد بقصر الداي شيئا من الرخاء ما عدا بعض الأعمدة

---

(28) Lucien, Chaillou, op cit, p . 44

(29) Ibid, p . 45.

(30) Ibid,p.1

(31) وصل فالبير إلى العاصمة في 1779م، و كانت الجزائر في وضعية كارثية فمحاصيل 1775م و1776م كانت سيئة جدا. أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى، و وقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي لتموين البلاد بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح. و قد شهد القرن التاسع عشر موجة من فترات المجاعة و القحط

المزخرفة وزجاج بأرائك وساعات، من هنا كان الداي يعقد جلساته الخاصة كما يشرف على أيام الأعياد الرئيسية واحتفالات الإيالة.

يوجد في مدينة الجزائر حوالي خمسة آلاف تركي منتشرين فيها، وهناك ملايين الرجال يعانون من الخضوع إليهم، كان الحاكم التركي بقهر هؤلاء السكان، لكي يمرر أوامره، كان الداي يعطي الجلسات ويستقبل الشكاوي منذ شروق الشمس، ويناقش المواضيع ويدير العدالة، كان يعالج القضايا العامة عن طريق وزراءه ويمد تعليماته إلى كل أنحاء العاصمة، في أنحاء الإيالة كانت انتخابات الداي حق لكل الأتراك الموجودين هناك، فكل جندي له الحق في المطالبة بأن يصبح مثله لم تكن المليشيا من بين الرجال المشهورين القاسيين، كانت تضحي لكي تصبح صاحبة سيادة، عاشوا في قلقا خوفا على قتلهم، من بينهم تمنوا الترقية لمرتبة الداي، وكانوا يخشون الموت. بإمكان الدارس أن يستشف من نصوص تاريخية أن ستة دايات تعرضوا للاغتيال في يوم واحد و دفنوا عند باب الواد بعد التمثيل بجثثهم[32].

كان الوصول إلى هذه المرتبة عن طريق المبارزة، والفائز منهما يجلس على كرسي الداي ويعلن أنه كذلك، فهناك سبع ديات قتلوا بعضهم بعض في يوم واحد، وأن مقابر هؤلاء القتلى دخلت جميعا بعضها في بعض، ليس لديهم شيء رائع أو مثير.

كان الداي الذي يجلس على الكرسي[33] فيقضي على المؤامرات التي تحاك ضده، وعندما يأتي الجنود إلى القصر كانوا لا يدخلون أبدا الأسلحة ويتم تجريدهم عند الباب، وكان للداي عدة وزراء من الأتراك، حيث كان لهم النصيب الأكبر لتقل مناصب عليا في الدولة، كان لهم سلطة واسعة، بعضهم يملكون حق الموت والحياة يعالجون القضايا الهامة، كان الخزنجي الوزير الأول لمجلس الوصاية والمدير العام للمالية وكانت في يده مفاتيح الخزانة، يكون مشغولا كل يوم ليمنح العدالة بين السكان كان مكانته تكسبه القوة والتأثير في نظام الحكم.

ومن تتبع الأحداث التاريخية للدايات وعن كيفية اعتلائهم كرسي الحكم، يتضح أن كثيرا منهم كان مهتما بالكشف عن المؤامرات و الدسائس بدل الشؤون العامة للإيالة، و المثال على ذلك ما حدث للداي إبراهيم الملقب بالمجنون الذي قام بالتخلص من 1700 رجل خلال الشهر

(32) M.Emerit, « un astronone Français à Alger en 1729 », in, R.A, (N°84), 1940, P.228.

(33) إشارة إلى الداي محمد بن عثمان الذي حكم من 1766م إلى 1791م.

الأول من تعينه[34] بينما الداي "**عبدي باشا**، فكان يقتل كل من يشك في ولائه له، الأمر الذي جعله يتعرض لثلاث محاولات اغتيال ولكنها فاشلة[35].

وتشير بعض الدراسات أن حياة الداي تنتهي أحيانا بمجرد خروجه من القصر، وفي هذا السياق نسجل اغتيال الداي **محمد بن الحسن** من طرف رياس البحر وهو منتجها إلى ميناء المدينة[36]. كما أن الداي **علي باشا**(1809-1815م) اغتيل في حمام قصره من طرف وكيل الحرج[37]. وقد لخص الأسقف **جوان كانو** (Cano) هذا الوضع البائس فيما يلي: "وهكذا كان يعيش (الداي) والد بدون أطفال، و زوج بدون زوجة، وطاغية بدون حرية، وملك على عبيد، وعبد لرعاياه" [38].وقد حول البعض منهم التخلص من حمل هذه المسؤولية بالهروب كما فعل **الحاج مصطفى**(1700-1705م). بعد فشل حصار تونس عام 1705، لكنه ألقى عليه القبض قرب مدينة القل ونفذ فيه حكم الإعدام وقد صدق الأب القسيس **فو** (Fau) حين كتب سنة 1729م قائلا: "إن الداي في الغالب لا يخرج من قصره.... فقد يحدث أنه إذا خرج من قصره أن تستقبله طلقة من بندقية تعفيه من لقب الداي ومن حياته معا.

وقد وصف كونداميني الداي بعبارة:"مستبد وليست له حرية، أرستقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة" [39].ربما كان الوضع أسوأ من ذلك، لأن حياة الداي كانت غالبا في خط، فمن الثلاثين دايا الذين حكموا بين 1683و 1818م لم يمت منهم موتا طبيعيا سوى ستة عشر، والأربعة عشر الآخرون منهم ماتوا مقتولين.

الأغا هو القائد العام لكل فرق العاصمة، لديه بكل منازع كل الحقوق، له كل الأولوية وكل القدرة، يكون على رأس الجنود عندما يكون هناك عمل معهم في المخيمات هو الطاغية الذي يعاقب بالعصا[40]، يكون الدايات خاضعين له هو الذي يأمرهم، الشيوخ تابعين له ومختلف القبائل هم تحت حكمه لتسوية أمورهم ومشاكلهم.

---

(34) L.de Tassy, op.cit, P.130.

(35) جون، وولف، المرجع اسابق، ص 389-390.

(36) L.de Tassy, op.cit, P135.

(37) P.Boyer, « le problème »..., op.cit, P.94.

(38) جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص389.

(39) M.Emerit, « le voyage »..., op.cit, P.292.

(40) Lucien Chaillou, op. cit , p . 5

يعيش سكان الجزائر بعاداتهم وتقاليدهم مثل بقية المسلمين، حيث يؤدون واجباتهم الدينية منها فريضة الصوم، حيث ينتظروا شهر رمضان بترقب شديد، والذي يحتل مرتبة مؤخرة، يتغير شهر رمضان من عام لآخر[41] ويبدأ الصيام مع ظهور القمر الدال على دخول الشهر الجديد ويستمر حتى ظهور القمر الذي تدل على دخول الشهر الذي عليه، ويدوم ثلاثين يوما، وخلالها يمنع تناول أي شيء من طلوع الشمس حتى غروبها، كل شيء محظور، الغليوم، التدخين، القهوة، الماء حتى عطور الأزهار، ويكون الصوم شاقا في فصل الصيف حيث يكون الوضع شاقا، يستثنى منه الأطفال، الشيوخ، أما المرضى فمطالبين بالتعويض بعد تعافيهم. كما للبحارة رخصة للإفطار شرط التعويض بعد عودتهم، خلال هذا شهر رمضان ينام السكان طيلة النهار ويسهرون ليلا، بعد صوم شهر كامل يأتي عيد المسلمين، حيث يقيمون احتفالا كبيرا، وتتشابه مظاهر الأفراح بالعاصمة وقسنطينة، فجميع سكان العاصمة يقبلون يد الداي، ومن بين المظاهر المثيرة للانتباه هي المصارعة التي تقام بين مقاتلين دوي ملامح قاسية، يتصارعون فوق الرمال ساحة قصر الداي، ونظر للسهولة التي يجدها السكان للتقرب من الداي في هذا اليوم، فانه في المقابل يشكل تهديدا كبيرا لحياة الداي خاصة من معارضيه، بعد مرور سبعين يوم يقام احتفالا آخر يشبه الأول وهو عيد الأضحى، ويدوم 3 أيام، فالفرنسيون يخافون أن يخرجوا في هذه الفترة.

الأعمال الذي رآها وعايشها فالبير في الجزائر و أذهلته كثيرا هي تقاليد الزواج، حيث حضر أكثر من مرة لهذه الرابطة والتي يتم باتفاق العائلتين، يعقد الآباء الزواج، إذا أراد رجل الزواج من امرأة، يقترحه والديه وأصدقاءه على والد البنت التي يريدها .[41] تضم طبقة الدخلاء جماعات الأسرى المسيحيين و اليهود.، فالأولون (الأرقاء) كانوا مسخرين للخدمة في قصور الدايات و الحانات أو السجون أو التجديف في السفن و في رعاية البساتين. و كانوا قبل القرن السابع عشر يمثلون موردا اقتصاديا هاما للخزينة العامة عند افتدائهم من طرف دولهم

وفي الأخير يتفق الطرفان ويحددان اليوم من أجل العقد أمام الإمام في المسجد، تقام التحضيرات من خمسة عشر إلى عشرين يوما لتجهيز العروس، ويذكر القنصل الفرنسي في مذكراته أن نساء

---

(41) يشير فالبير إلى أن الأشهر القمرية أقصر من توقيتهم في فرنسا لذا يأتي كل عام أثنى عشر يوم أكبر من العام الماضي الجزائر في 1781م، Chaillou,p.32

(41) يؤكد فالبير أن أب البنت يصر على أن تكون لابنته الكثير من الأملاك والملابس والألماس و الذهب.

الجزائر متوسطات الجمال لهن تربية مهملة، ويُجنن الحلي والثياب الغالية والأحجار الكريمة، المجوهرات والألماس، تحب نساء الجزائر الذهاب إلى الحمام وزيارة عائلتهن، كما يستهوينّ البكاء في المقابر، فهن يردن حرية أكثر، فإذا غضب الزوج من زوجته لأسباب يستطيع أن يرميها في البحر، والمرأة لها الحق في أن تتطلق من زوجها، لكن هذه الحالة تكون نادرة حين يجب أن تكون هناك حجج أكثر مقنعة.

2. اللّغة:

اللغة العامّة للبلاد هي العربية، هي لا تتكلم بكلّ صفائها، الأتراك يتكلّمون فيما بينهم باللغة التركية، ولكن يجب عليهم في العلاقات المتواصلة مع السّكان الجزائريين والزواج بنساء جزائريات، يجب عليهم تعلّم العربية وأيضا من أجل مصالحهم، هناك لغة خاصة بين القنصليات والأوروبيين مع الجزائريين، هي لغة الفرانكة.[42]

كلّ القضايا تعالج في فرنسا، لديها فقر عقيم، وبعض الشيء لا يفهمون ما بين 150 إلى 200 كلمة مختلفة من أجل شرح عدّة أشياء، الأفعال وتعابير الأعين، شرح أفضل في بعض المرّات ما يريدون قوله، أفضل من الكلمات التي شرّح أفكارهم اللّغة الفرنسية تتركب من العربية، الإسبانية والإيطالية وبعض اللهجات الكتالانية و المالطية .الكلمات الإسبانية هي التي تسيطر، يجب استعمالها في الحروب الطويلة بين المغاربة والإسبان، خلال تمازج الشعبين مع بعضهم.

3. مستشفى الجزائر العاصمة[43]:

المترل الوحيد للصدقة يُوجب أن يكون متجرًا واسعًا، مظلما يجمع 7 أو 8 مرضى أو ممرضات الذين يمضون وقتهم ولياليهم على الأرض، يتناولون طعاما كريها، هذا هو المكان الوحيد الذي يسمح للإنسانية الجزائرية القدرة على التحمل حتى ولو كان على 25 أو 30 مكان على الأرض في اليوم[44]1.

4. التربية والتعليم:

---

[42] هذه صبير من لغات هجينة مختلطة بين العربية و الإسبانية و الفرنسية و البروفاسية و الإيطالية و الماطية و التركية يتكلمها بطلاقة القراصنة و البحارة في الحوض المتوسط و هي لغة شفاهية غير مكتوبة سمعت سنة 1830.

[43] Lucien Chaillou, op.cit, p.19.

[44] Ibid, p.25.

الجزائريون لا يهتمون كثيرا بتربية الأطفال فيتركون التطور والصفات والعلاقات والثقافة إلى الطبيعة. فالرجل، في طفولته، هو شخص مرن، يحس بكلّ الضغوطات، وعلى التربية إعطاءه واحدة من هذه الأحاسيس، فهي تصحح الأخطاء لشخص سيء، وتخرج ما بداخله من أشياء حسنة. وعلى العكس، نقص التربية ينجر عنه مساوئ كثيرة. هذا ما يراه أي شخص في مدينة الجزائر. والمراهق وكلّ من يعيش مثل هذا السنّ، والأمثلة الفاسدة لا تهدي سوى شبابي فاسد، فاجر، بدون أي أخلاق.[45].

للآباء الذين يريدون جعل أطفالهم أناس باحثين و مثقفين ، يرسلون أولادهم إلى المدارس لتعلم القراءة والكتابة و تعلم القرآن. وهناك عدد من المدارس معروفة في الكثير من الأماكن (الشوارع) في المدينة. غرفة صغيرة، معلّم وبعض المدارس المكتظة بالأطفال المتمدرسن، هذا هو نوع المدرسة الشائع أنذاك .ومن أجل تفادي مصاريف الورق، والحبر، للأطفال ،يكتبون بقلم الرصاص (صبغ بني : وذحية الخروف: صوف التي تحرق و يصب عليها الماء)من النوع الأبيض على لوحة، ولما تمتلئ تمحُ الكتابة بإسفنجة مبللة(الصلصال) والتلميذ بعيد العملية عدّة مرّات.المعلّمون يقومون بتعليم التلاميذ القراءة على حفظ القرآن مشافهة و باللوح فهم يشرحون بعض المقاطع ويقومون بحفظه عن ظهر قلب.

هناك فوضى في هذه المدارس حتى في آخر الشارع نسمع ثرثرة التلاميذ البشعة والبربرية، الأطفال يخرجون كل شيىء بداخلهم دون أي خجل، يأتون من الصباح الباكر، يحبون كلّ الألعاب، ألعاب التمارين، ألعاب الأسلحة، ويحبّون أ نفسهم دائما في وضعيات من الثورة. هذه الحياة الحرّة ذات مناخ ساخن تساعد المراهقين والتحرر في سنة 15. للآباء الذين يحافظون على أولادهم من الفساد، يقومون بتزويجهم في سن باكرة حتى يمكنون من الحفاظ على أخلاق فاضلة و عدم الوقوع في الرذيلة . أما زوجاتهم فينجبنا الأطفال بكثرة

هذا هو النظام افي الجزائر خلال العهد العثماني. ولكن يعطي نادرًا ما نريد منه البنات لا ينقلون أبدًا أية تربية. يدخلون إلى المترل ويتعلمون قليلا بعض المميزات من أجل التنظيف فلهذا يصبحون بنات كبار، وهنّ قادرات على قيام بكل الأعمال المترلية منذ أن يتزوجنّ. يقوم أولياؤهم بتزويجهن منذ الصغر، وهذا من أجل فرض هذه العادّات .ولكن هي بطبيعة الحال عادّات

(45) Ibid,p.26.

بربرية في أعين بعض البنات، ما بين 9، 10 أو 11 عام تحت رعاية رجل لئيم، فلهذا الزواج يصبح تضحية في طبيعة أي بنت.

ثالثا: الملامح الاقتصادية.

1. التجارة:

تعتمد الإيالة في مداخيلها على ما تجنيه من عملية القرصنة. الجنود لا تعطيهم الدولة امتيازات ولا دخل لهم حتى البايات والتي هم تحت رعايتهم وسلطتهم.في أول الأمر، هم مجبرون ومجهزون على الذهاب بأحصنتهم، أسلحتهم، حقائبهم وأكلهم...، ومصاريفهم الخاصة، ومن أجل التسليع ببعض الحاجات، لديهم دخل صغير.الجزائريون لا دخل لهم حتى في وقت المعركة، لديهم الحقّ سوى في أن يقسم على جميع الوحدات العسكرية livres (5 قطع ذهبية). تسمح الحكومة بالخبز في كلّ وقت للأتراك الذين لديهم دخل شهري ضعيف، مادام هم غير متزوجين، وتحرمهم هذه في حالة زواجهم.(46)

الداي والأكابر من الحكومة لهم الحقّ بأخذ الخبز والدراهم من العساكر هذا التذكار من دولهم الأولى تسمح لهم بالتقدم إلى الأمام والعسكري أو الجندي يجد نفسه مشرف.

تسمح معاملات الامتياز للقنصل بعدم دراسة الأعمال سوى مع الداي ولا يعترف إلاّ بمحكمته. ومن الأفضل أن يكون هذا المقال مدروسا جدًّا. ولكنّ من جهة الأمير، فإنّ عبئ الأعمال الذي يقوم بها والحاجة إلى الجهود الذي يقسمها، من الأهمية التي تجبره أن يكون مثقفا عن طريق أحد ناضج ويستطيع المناقشة، الأهمية إلى مجلس الذي يسير القرارات ووجود لكثير من القنصليات من جهة البعض، الحكم، لهم الحرية في دراسة الأعمال مع العساكر أحسن من دراستها مع الحكام، الأمل في تحديد جميع المعاملات حسب أنواعها مع كسناجي، أو مع قائد البحرية ليس إلاّ بعد المعاونة مع الذين هم تحت الداي، وحكمه هو دائما يتماشى مع الذي يقترحه العساكر في بعض الأحيان(47).

تتمثل أعمال التجارة والبحرية من بائعين أثرياء في البلاد، رياس البحر والقنصليات. الداي هو الذي يعطي الامتياز لدى الجزائريين، وأنّ رأي الأوروبيين هو دائما مقترح، فهم يعترفون بكلّ

(46) Chaillou, Lucien, op.cit, p.22.
(47) Ibid.

الإيمان أن جهلهم يجعلهم يتبعون المسيحيين الذين أكثر ثقافة منهم. الأعمال هي مقررة دون أي تردّد أو عدم اليقن، نادرًا ما نتركها إلى الغد[48].

إن التفكير والعدل لا يكفيان من أجل الحصول على أخذ حكم والتي يجب انتظاره، حتى تكون عملية نقدية، ومهمة لدينا. بعض المخاوف من الجزائريين تجعلهم لا يثقون في الشخص الذي يتعاملون معه في بعض التجارات الجيدة والضعيفة.

يضاعف القنصل استعمال كلّ الوسائل والتي لا تكون إلاّ في حالة هامّة، هو غير ملائم فهو يستعمل إلاّ في الحالات الغير الهامّة، وعلى الممثلين الشمال وممثلين Venise القيام بعقاب. في عملية ما مهمته، وعواقبها رديئة، يجب أن لا يكون أي احتراف أي القيام بأي تضحية (2000 أو 2400 درهم)، ولكنّ هذه التضحيات يجب أن ترتفع وتقدر القيمة التي نعطيها لها. والنتيجة من هذه السهولة هي جعل بعض المساوئ الصعبة:

- ✓ الذي يعطي هو بدوره وجهة نظر رديئة كوّنه متعلق ويجعل الظنّ على خوفه وفشله، والذي يستقبل، يجد نفسه أكثر جرأة لاستقبال المشاكل التي تكون له.
- ✓ إعطاء للجزائريين أرض حتى يفرض الواجب عليهم أخذ أرض تكون لهم سند في المستقبل.[49]

2. الزراعة:

وعلى القنصل أعمال، بكلّ رزانة، وجهه التقسيم القناصل الشلال الشمال والبندقية فهم يتعاملون على أنّ الجنود يأكلون طعام شهيا، الذوق، والإبداع، والفنّ في دراسة الأعمال مع الجزائريين لا يستطيعون وصفهم، أو تعليمه في أي تفكير على الرجل في المكان الذي ينظر كلّ يوم، في الوصول إلى الحقائق والعمل بها. تظل الركائز، والمعتقدات لدى الأمم المتطورة هي غير مهمة وعلى العكس في الجزائر العاصمة، وعليهم بناء مدرسة جديدة.

والأكبر ضررا هو الذي يدرس المعاملات أمام الجماهير، هذه الإعلانات الغير المرغوبة تجعل الضجيج في المكان والشعب حتى ولو كان مثقفا[50]، السير، هذه الكمية الكبيرة من المفاوضات والذي يرتكز على النجاح ليس مقبولا في العاصمة يظهر لي أنّه القنصل الناضج يقدر على المجيء

(48) Ibid,p.23.
(49) Chaillou, Lucien, op.cit, p.23.
(50) Ibid,p.24.

من أجل تنظيم ترك للحشد نصيبا وجعل 100 تأذن التي من حولهم والتي تسمعهم حين يدرسون هذه الأعمال وإعطاء الداي ووزارته حرية التصرف، هذا التجديد الصعب بعملية شرف ويوجهه إلى الجهة الحسنة من أجل بلاده.[51]

هذا الفنّ الذي تشجعه الأمّم والتي تمارسه بكلّ رعاية لا يهتم به الحكيم في العاصمة...البؤس لدى الشعوب ينتج لتنفيذ أوامر الحكام، ولا يكذب أحدًا إذا ما عمل أحدهم في الأرض الصالحة للزراعة، كلّ خاص يزرع أرضه بكلّ إرادة الكسل ونوع الحياة. يمنح لهم الجزء الأكبر من الأرض الغير المزروعة ولا يحصدون إلاّ الأراضي المهمّة لكلّهم، بعضهم يبيعون البذور وكلّهم يعرفون أنّ الشيء الحسن في التربة الإفريقية والتي كانت تسمى بأعالي روما، وهي تعطي البذور أهمية أو زرع الأراضي هي على حدّ ضئيل لا تخص منها القمح. هو الشيء الوفير بأيدي أوروبية لا تستطيع استخراج ثراء ولا يكون هناك بؤساء (من 1775 إلى 1780)).

كان الحصاد ناقصا نوعا ما، وكانت هناك نوع من المجاعة في المملكة، وحين لا تمطر السماء في مارس وأفريل، الحصاد يكون رذيئا. في 1781 هي نسبة مهمة، والتي يجب فيها التأمل بأنّها ستتبع بسنوات أحسن منها)[52].

يجمع الشعيرو الذرة بكميات كبيرة ف أنحاء البلاد، ويتم جني الزيتون والشمع، كلّ عام كما تحدث بعض التغييرات في هذه المنتوجات من كل سنة. كلّ الخضر الفواكه محاصيلها جيدة، ويصنع الخبز من أجل الأوروبيين الماكثين في المملكة ،و لبعض الأشخاص في الحكومة، ويصنع لاكثير من الخل النادر على الجزائريين ويحبّونه كثيرا. أما الدكتور توماس شاو الإنجليزي *Shaw*[53] يقدم لنا بكل دّقة الكثير من المنتوجات المزروعة في كلّ أرجاء المملكة أما ملاحظاته الفيزيائية فهي تقريبا نسبية التي توجد في بيروفانس و أحسن الفواكه المفضلة إليه هو فاكهة البرتقال، فهي رائع بالنسبة له. يسمح المجال والمناخ من أجل إنتاج منتوجات أخرى. فالقطن يأتي بأعجوبة وبكلّ جمال، وكذلك القصب السكري الذي متوفر بكثرة ونفس الشيء بالنسبة للتبغ.[54]

---

(51) مصطفى، بن حادة، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال كتب الرحلات شارل فليب فالليير نموذجا، مذكرة ماجستير جامعة سيدي بلعباس ،2011-2012.ص ص 102-104.

(52) نفسه، ص 107.

(53) Chaillou,p.23.

(54) مصطفى، بن حادة، ص 110-111.

رابعا: الملامح الدبلوماسية : الجزائر والسلام الأوربي:

تتسابق كل القوات الأوربية كي تتحصل على السلام مع إيالة الجزائر، وذلك لأن هذا السلام يكلفها تضحيات خفيفة مقارنة بالواقع في الحرب، حيث تتلقى عراقيل بسبب التجارة التي تحدثها أثناء السفر في البحر، وذلك التصرفات اللاإنسانية التي يتعرض لها المساجين.

إن دوافع حقيقية بالدول الأوربية للحفاظ على السلام مع الإيالة، إن بعض القوى الأوربية ومنها الدنمرك وجمهورية البندقية وهولندا كانت تسعى دائما لتهين علاقاتها مع الجزائر لأنها كانت تدفع الهدايا والإتاوات كل سنة، وكان البحارة الجزائريون يستغلون أوضاع هذه الدول حتى يتحصلون على المزيد من هذه الهدايا.

إن السلام المشرف مع الجزائر تحصلت عليه دولتان أوربيتان فقط وهما فرنسا وانجلترا، لكن رغم ذلك تتعرض هذه الدول إلى القرصنة من طرف الجزائريين في بعض الأحيان رغم الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة مع الإيالة.

إن حالة السلم التي تتم في العلاقات بين الجزائر والدول الأوربية ليست دائمة حيث تتوقف على حالات والظروف تقلباتهم، فرنسا وانجلترا بفضل حنكتهما من الحصول على هذا المبدأ فهما دائما يراعيان مصلحتهما الشخصية، وفي المقابل فإن الجزائر كانت ترى بعقد السلم مع الدول الأوربية وخاصة فرنسا وبريطانيا إنها فترة تتجمد فيها مداخلها من عملية القرصنة التي تعدّ المداخل الرئيسية للخزينة الجزائرية.[55]

كانت الدول الأوربية دائما تنص إلى عقد السلم مع الإيالة ،وذلك نظرهمأن الحرب معها تكون دائما كارثية عليهم، الحكومة الجزائرية فعقدت معاهدات سلام مع فرنسا، انجلترا ،والدنمرك والسويد وجمهورية البندقية وهولندا، ان علاقات الجزائر مع هذه الدول سيكون لها امتيازات خاصة بكل واحدة منهم حول الوضع السلمي مع الجزائر، لكن هناك أمور أخرى تخل بموازين القوى بين الطرفين، وتغير في حالة حدوث اضطراب أو حرب مثل ما حدث في 1776م وغيرها من معاملة الجزائر اتجاه الدول الأجنبية.[56]

1. الأوربيون والحرب مع الجزائر:

(55) Chaillou,p.26.

(56) Ibid,p.46.

كانت الجزائر تعلن الحرب ضد كل دولة لم تبرم معها معاهدات، وفي مقدمتها إسبانيا العدو الأكبر للجزائريين، وبحكم قربها من السواحل الجزائرية أصبحت خطرا على الحكام داخل الإيالة، ولم يكونوا يخشون الأمم الضعيفة، فروسيا التي لم تكن لها تجارة في البحر المتوسط لم تهتم بأي محاولة معادية ضد المصالح الجزائرية في المتوسط، كانت البرتغال ضعيفة في المنطقة وهي منشغلة بالتجارة مع الهند، أمّا إمبراطور بروسيا فليس له القوة الكافية لأي مواجهة وفقا لقانون الدول الأوربية.

وبعد سقوط جبل طارق في يد الإنجليز وقعت تغيرات كبيرة في النظام، فبدا إلى الجزائر وهي تغيّر في سياستها خاصة تجاه إسبانيا، مملكة نابولي والبرتغال، من جانبها أصبحت روسيا تقيم علاقات تجارية في المتوسط، قامت كل المجهودات لتأمين تجارتها أمام الجزائر.(57)

فالجزائر في سلمها مع الدول الأوربية أصبح لها العديد من المكتسبات، خاصة مع إسبانيا الذي تطلب انتظار عدة سنوات لتقيم ذلك الوفاق، عملت الإيالة على تحسين علاقاتها تارة مع الأمم الأوربية وأخرى كانت تعمل على عدائها، كانت تعامل الدول حسب مكانتها باستثناء فرنسا وانجلترا، فكل الدول الأخرى في صف واحد نظرا لضعف أهميتها ومطالب الجزائريين المتزايدة.

2. علاقات الجزائر بفرنسا من خلال نظرة القنصل فالبير:

تعتبر فرنسا من بين الدول التي لها علاقات مع الجزائر، رغم أنها لم تستقر خلال معاملتها مع الإيالة، كانت الأقرب من بقية الأمم إلى الحكومة الجزائرية، ففرنسا بقوتها استطاعت أن تتحصل على ودّ الجزائريين، لكن في المقابل كانت دائما متخوفة في حالات الاضطراب في العلاقات، وكانت تستعمل الحكمة في معاملاتها بشكل جيد اتجاه الجزائريين، تضع صورة رائعة وحسن النية في علاقاتها.

عملت فرنسا على تثبيت علاقاتها حتى تحافظ على مكانتها وهذا ما كانت تحتاج إليه، ولا تريد أبد الخراب التي يمكن أن يلحق بها ويجعلها غريبة الأطوار ووقحة ومتشدّدة.إن الانتصارات التي حققتها انجلترا في حربها، جعلت الفرنسيين يكنون لهم الحقد خوفا من تقربهم من الجزائر وبالتالي يفقدون مكانتهم داخل البلاد.فالصراع الفرنسي الإنجليزي أدى بالجزائر إلى تعزيز مكانتها في حوض البحر المتوسط، حيث أن الفرنسيين الموجودين داخل الإيالة عملوا بكل جدية للتقرب

(57) Ibid,p.48.

من الجزائريين، حيث يحافظوا على مكانتهم التي وصلوا إليها من خلال إبرام عدّة معاهدات بين الطرفين.[58]

إن الانتصارات التي حققها آل بوربون أنقص دور الانجليز داخل البحر المتوسط حيث تعد لهم أي منفذ، وحتى أسطولهم لم تكن له القدرة لدخول في البحر بكل حرية وفرح.

إن هذه الانتصارات جعلت من فرنسا قوة كبيرة داخل أوربا وبفضلها عززت مكانتها ، وتخلصت من منافستها انجلترا في البحر، فالجزائر كانت تتقرب من الأمم التي لها مصلحتها معها، ولو يبق إلاّ فرنسا في الساحة التي يمكن أن تكون قريبة جدا من قلوب الجزائريين، ومنفعتها لا تكون إلا مع إيالة الجزائر، وبهذا ضمنت فرنسا صداقتها مع الجزائر لكي تصبح الأكثر ثقة بالنسبة للحكام في داخل البلاد [59] عملت بكل ما في وسعها لكي تنتصر على الإنجليز ونزع منهم مضيق جبل طارق الاستراتيجي، وبعدها يمكن الانتصار على الجزائريين أنفسهم، لكنهم كانوا يرون أن الاقتراح الأول هو الانتصار على الإنجليز هو الأنسب ثم تأتي بعدها الاهتمام بالجزائر.كل ما يسعدني هو أنني أرى بلدي فرنسا تسيطر على الدول في العالم بما فيها حوض البحر المتوسط، وقد بدأ ذلك بإبرام معاهدات سلام مع الحكومة الجزائرية الذي دام مدة طويلة .[60]

كانت هذه المعاهدة كلّها نصر لفرنسا والشروط نفسها تخدمها كثيرا، وهي التي كان يجب على الملوك الفرنسيين فرضها والتشبث بها خدمة كبيرة لفرنسا.إن القناصل الأوربيين المهتمين بالجزائر مجبرون على تقديم الهدايا للحكومة حتى تكون مكانتهم كبيرة لدى حكام الإيالة، فمعاملتهم تتمثل في تقديم الهدايا والاقتراب من قلوب الجزائريين وكسب ودهم، فكانوا يحترمون هذه الفريضة اتجاه الجزائريين.

يدفع القنصل الفرنسي كذلك الهدايا مثل بقية قناصل لكنها تكون أقل من نظيراتها الأوربية وهذا تفضل الفرنسيين عن نظراءهم داخل البلاد ومهمتهم تكون أصعب. فالشعوب الأخرى مجبرة على دفع الإتاوات والهدايا، بحكم قرب فرنسا في البحر مع إيالة الجزائر، كان الشعب الفرنسي

---

[58] مصطفى،بن حادة، المرجع السابق، ص ص 121-124.

[59] نفسه، ص 123.

[60] السلام بين الجزائر وفرنسا دامة مائة سنة وبدأ بتاريخ 24 سبتمبر 1689م.

الأقرب في التعامل مع الحكومة وذلك بحكم صفة الجار، حيث نشطوا التجارة في البحر المتوسط، وكان الممثل الفرنسي في الجزائر يقوم بعمل جبّار في أجل كسب ثقة الحكام فيها.

الجزائر بحكم القرابة مع فرنسا من خلال إبرام العديد من المعاهدات بينهما منحت لها امتيازات جدّ مهمة ما لم تستطيع أي أمة أخرى الحصول عليها، رغم العمل الجبّار التي قامت به بعض الدول المسيحية في بعض الأحيان كانت الإيالة تغضب الحكومة الفرنسية نظرا لبعض التجاوزات التي كان يقوم بها قناصلها، لكن في المقابل كانوا دائما يعملون بكل ما في وسعهم لتجنب قيام حرب بين الشعبين الصديقين.غير أن الجزائر في كثير من أحيان كادت أن تشعل الحرب مع طرف آخر، فحكومة الإيالة غير متخوفة، فهي في موقف قوة وأي أمة لن تهزمها وباستطاعتها فعل أي شيء ضد أي دولة.[61]

فالسلام الدائم كان بين الحكومات الإسلامية والجزائر بحكم الصلة الموجودة بينهما، أمّا بقية الأمم المسيحية فهي في حالة استنفار قصوى، فخالات الحرب مثل حالات السلم تتعاقب وتسيطر على العلاقات الجزائرية والدول الأوربية، نفس الأمر يمكن قوله على فرنسا وصراعها الدائم مع الجزائر من أجل تثبيت سلمها وبالتالي الاستفادة من خلال تنفيذ مشاريعها ومصالحها.[62]

إن الامتيازات الدينية التي تحصلت عليها فرنسا، يشير إليها القنصل فالبير بأنها مؤسسات صالحة للدين في بلاد غير محافظ، فهذه الامتيازات ستتطور إلى مطالب أخرى خاصة اقتصادية كانت الكنيسة لتجمعهم، حيث كان العبيد وغيرهم يقصدونها كل يوم أحد للاحتفال بآخر الأسبوع وذلك قبل عودتهم إلى العمل(.تمكنت فرنسا من توطيد معالمها داخل الإيالة وكانت الجزائر تعاملها حسب الاتفاقيات بينهما، واحترام بنود المعاهدات رغم حالات التردد من طرف الفرنسي في بعض الأحيان.

خامسا : إنطباعات مايفريد في الجزائر 1762-1781

مايفريد جوزيف بيار دبلوماسي وتاجر فرنسي من مواليد مدينة تولون الفرنسية (1723-1814)، تقلد عدة مناصب حكومية منها نائب قنصل فرنسا بالجزائر سنة 1788، و قنصل تولون سنة 1788، و برلماني عن مقاطعة تولون، و رئيس بلدية تولون سنة 1793.[63]

---

(61) Chaillou,p.48.

(62) بنحادة، مصطفى، ص 110.

(63) Parés, A. Jacques ,Un Toulonnais à Alger au XVIII siècle ,les éditions Reider,Paris,1932,

انخرط في سلك التعليم تحت إشراف أخوية الأباء الطولونيين ، ثم مارس مهنة التجارة في مارسيليا إلى جانب عمه الذي احتضنه كإبن له منذ 1748. لما بلغ سن التاسعة و العشرون، قرر الذهاب في مغامرة إلى الجزائر للتجارة و الإسترزاق. غادر مدينة الجزائر سنة 1752 بعد مدة خمسة عشر سنة قضاها في المعاملات التجارية.[64]

بعد عوده إلى مارسيليا كلفته العائلة التجارية المرسيلية دون غاليار(Dengalliére).[65]

ساهمت عائلة غاليار في تمكين مايفريد من ربط علاقات قوية مع دايات الجزائر ووزرائها أثناء إقامته بالمدينة، و أثناء تأسيس الشركة الملكية الإفريقية الفرنسية في 22 فبراير سنة 1741و تحت إشراف الغرفة التجارية بمرسيليا، وكانت مهامها تتمثل في مجال البيع و الشراء، وتحصلت على احتكار و استغلال الامتيازات في الشرق الجزائري، ان مايفريد من الوسطاء الذين يتدخلون في شؤونها انطلاقا من دار السلطان.[66]

في 12 جويلية 1762 اشترى مايفريد سفينة للتجارة بها من جزائري الرايس علي خوجة.وهي أول صفقة له بالجزائر. وتمكن من خلالها شراء الفواكه من بعض الدول الأوروبية لصالح الداي باباعلي باشا بوصبع(1754-1766) في مارس 1764.[67]و في 29 أوت 1764 اشترى من الحكومة الجزائرية سفينة من نوع بولاك بسعة حمولة قدرها 4 ألاف قنطار. و كلفته الحكومة بشراء النحاس و الصوف و تسيير فندق أوجاق الجلد من نفس السنة. وفي 10 جويلية 1767 و بأمر من ممثل قنصل فرنسا أرميني(Armeny) دخل ما يفريد في إبرام الصفقات التجارية للغرفة التجارية المرسيلية و هذا إلى غاية شهر أوت 1774.[68]

في شهر جويلية 1767 افتدى ما يفريد عشرة أسرى فرنسيين بمدينة الجزائر، ليصبع بعدها ممثل قنصلية فرنسا في سنة 1768،و بالرغم من هذا المنصب ظل يتاجر و يشتري السفن الجزائرية القادمة بواسطة غنائم البحر من طرف الرياس.و بسبب مرض القنصل الفرنسي جان أنطوان فالبير(Jean Antoine Valliére)(1763-1773)في سنة 1773، أصبحت شؤون القنصلية

---

(64) Ibid,pp.7-8.

(65) دون غالياربرينو تاجر مارسيلي تعامل مع الجزائريين في مجال التجارة خاصة مع رياس البحر ما بين 1734-1741.

(66) إسمهان، لريبي، الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري (1741-1794) من خلال وثائق مخطوطة، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2005-2006، ص ص 34-38.

(67) Parés, A. Jacques ,Un Toulonnais à Alger ,pp.11-12.,

(68) Ibid,p.12

تحت تصرف ما يفريد. و في سنة 1775 كلفته الحكومة الجزائرية بالسفر بسفينته من مارسيليا إلى استانبول محملا بالذخيرة من حبال و أشرعة و كتان و حديد بمجموع 5 ألاف قنطار.[69]

تدخل ما يفريد في القضايا الشائكة بين الجزائر و اسبانيانا منذ 1777،وخاصة في قضايا الغنائم و أسرى السفن الإسبانية فقد تخل كوسيط لحل المشاكل العالقة. و في سنة 1779 تكلفته الحكومة الجزائرية في عهد الداي محمد بن عثمان خوجة (1766-1791) للتفاوض بشأن الشركة الملكية الإفريقية، وبسبب سوء التصرف، خسر مايفريد مكانته كوسيط مما انجر عنه ضياع ممتلكاته و اضطر إلى مغادرة الجزائر نهائيا في 1782، و العودة إلى مدينته طولون ، و لكنه لم يقطع علاقاته مع رجال الديوان بالجزائر.[70]

(69) Ibid,pp.14.

(70) Ibid,pp.22-23.

الفصل الرابع

المشاريع الفرنسية للاحتلال الجزائر من خلال مذكرات وتقارير الجواسيس والمبعوثين الدبلوماسيين

أولا : جذور المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر.

ثانيا :المشاريع الفرنسية من سنة 1782م ألى 1801م.

1- مشروعي دوكيرسي 1782م – 1791م)

2- مشروع لوماي 1800

3- مشروع ديبواتانفيل الأول

4- المشاريع الفرنسية في سنة 1802م.

- مشروع جون بون سانت أندري 1802

5- مشروع تيدينا 1802

6- مشروع بيرج 1802

7- مشروع هولان 1802

ثالثا : المشاريع الفرنسية من سنة 1808م إلى 1809م.

مشروع بوتان 1808.

مشروع ديبوا تانفيل الثاني

رابعا : رابعا : المشاريع الفرنسية في عهد شارل العاشر.

خامسا : المشاريع الفرنسية في سنة 1827م.

أ- مشروع كلير مون تونير

ب- مشروع باربي دوبوكاج

ج- مشروع لوفيردو

د- مشروع ليني دوفيلفيك

هـــ- مشروع كولي كولي

و- مشروع دوبوتي تووار

ز- مشروع شابرول

سادسا : مشروع بيار دوفال

سابعا :المشاريع الفرنسية من سنة 1828م إلى1829م

أ- مشروع دي لافروني

ب- مشروع اللجنة العسكرية

ج- مشروع دولا بروتونير

د- مشروع بيار دوفال

الفصل الرابع

المشاريع الفرنسية للاحتلال الجزائر من خلال مذكرات و تقارير الجواسيس و المبعوثين الدبلوماسيين

إن مقارنة العلاقات بين الجزائر و فرنسا كانت على العموم طيبة[1] وذلك واضح في بدايات القرن السادس عشر إذ تم إبرام اتفاقية للصداقة والتحالف الأول مع الجزائر عام 1534م والثاني مع الدولة العثمانية سنة 1536 و التي حصلت فرنسا بموجبها على امتيازات خاصة لسفنها وملاحتها و تجارتها و قناصلها بالبحر المتوسط و الجزائر، و بفضل هذه العلاقات الودية قامت فرنسا بإنشاء مؤسسات تجارية لها بالجزائر مثل عنابة و القالة و القل[2].

ففي عام 1577م تمكن الفرنسيون من تعيين قنصل لهم في مدينة الجزائر ثم استطاعوا في السنة الموالية أن يحصلوا على امتياز البحث عن المرجان في سواحل الشرق الجزائري ، تعهدوا بدفع ضرائب و لكن بشرط أن لا يقيموا بأية تحصينات على الشواطئ .و بطبيعة الحال لم يهتم الفرنسيون بهذه التعهدات و قاموا بتحصين المركز التجاري الذي أقاموه بالقرب من مدينة عنابة و أطلقوا عليه اسم "حصن فرنسا" "باستيون" و ذلك رغم معارضة السلطان العثماني، و في سنة 1604م ظهر الأتراك استيائهم من إقدام فرنسا شراء القمح من الأهالي و بيعه لأروبا من حين أن القحط عم البلاد و لذلك هدموا المركز التجاري الفرنسي و ذلك عام 1604م و في عام 1637م لكن الباي اضطر إلى إعادة بناء الباستيون مرة أخرى سنة 1640م و ذلك لتهدئة سكان المنطقة الذين قاموا بالثورة على الباي لأنهم ينتفعون من وراء التجارة مع الفرنسيين[3].

وفي بداية القرن السابع عشر تعكر صفو العلاقات الفرنسية الجزائرية بسبب تخطي مؤسساتها الإفريقية للقوانين المتفق عليها و إقامتها التحصينات و المدافع أمام مراكزها و مواجهة الجزائريين هذا الإجراء بالعنف فحاولت فرنسا إيجاد حل مستعجل لهذه الأزمة و توصلت في الأخير إلى عقد اتفاق صلح وتجارة نص فيه على احترام الامتيازات السابقة و حقوق التجار الفرنسيين و ثم بعد ذلك إلحاق المؤسسة الفرنسية الإفريقية بالملك الفرنسي حتى يكسبوها نوعا من الحماية و لكن

---

[1] أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ج2،ص13.

[2] يحي، بوعزيز. موجز تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة و الحديثة.ج2. الجزائر: عالم المعرفة. 2009. ص 85.

[3] عمار ،بوحوش. التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962. بيروت: دار الغرب الإسلامي.(د س ط).ص ص (77، 78).

رغم ذلك تم الهجوم على المركز مرة أخرى و حطموه عام 1637م و جاءت فرنسا إلى التفاوض و عقد صلح عام 1640م[4].فجاء عهد لويس الرابع عشر لتعود العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى تدهورها و هذا الأخير يعتبر من أشد الناقمين و المصرين على احتلال الجزائر للقضاء على التواجد الإنجليزي فيحوض المتوسط[5].

خلال هذه الفترة بدأت تظهر مشروعات استعمارية لاحتلال الجزائر منها مشروع دوكيرسي 1791م .ففي عام 1789م تاريخ نجاح الثورة الفرنسية حيث فرض على فرنسا حصار أوربي لمناهضة فرنسا فلم تجد فرنسا يدا تقدم لها المساعدة إلا الجزائر فأمنت لها الغذاء بواسطة القمح.

حاول نابليون بونبارت(1798-1814) انتهاج سياسة المهادنة مع الجزائر و حرصه على استمرارية العلاقات الطيبة مع الجزائر إلا أنه أفسدها بحملته على مصر 1789م[6].و قد شهدت فترة حكمه هجومات عسكرية لاحتلال الجزائر و لكنها لم ترى النور بسبب انشغاله داخل القارة الأوربية و ردود الفعل الجزائرية[7] الي تمثلت في إلغاء الامتيازات الاقتصادية و التجارية التي كانت بحوزة الفرنسيين و إعطائها للإنجليز.

خطط نابليون غزو الجزائر سنة 1808م لكن انهزامه في معركة واترلو عام 1814م جعله يتراجع لضعف قدراته العسكرية وضاءلت موارده المالية مع إفلاس الخزينة.

بعد عودة النظام الملكي في فرنسا باعتلاء أسرة آل بوربون سدة العرش الفرنسي من جديد و ذلك بعد مؤتمر فيينا 1815م . لم تنسى الأسرة الحاكمة حلم حكامها الأوائل اتجاه الجزائر و لكتمان هذا الحلم حاولت هذه الأسرة إتباع سياسة المهادنة من خلال إعادة العلاقات بين الطرفين و قد استغلت فرنسا الظروف الدولية بصفة عامة و بصفة خاصة الحملة العسكرية البحرية التي قامت بها إنجلترا ضد الجزائر بقيادة اللورد إكسموث عام 1816م و كان لها ما أرادت في إعادة العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية[8].

---

(4) حول هذا الموضوع يراجع: لعريبي ،اسمهان ....

(5) عمار، عمورة. الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962،.ج2.الجزائر: دار المعرفة. 2006. ص 254.

(6) صالح، فركوس. محاضرات في تاريخ الجزائر، لجزائر: كوكب العلوم. 2012. ص 10.

(7) أرجمند ،كوزان. السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847).ط2. تر عبد الجليل التميمي. تونس: بدون دار نشر.1994.ص 32.

(8) بوعزة ،بوضرساية. الجرائم الفرنسية الجماعية في الجزائر خلال ق 19م.(د م ط): منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954. 2007. ص ص (25، 27).

و في 1818م تم عقد مؤتمر إكس لاشبيل و قد سعت فيه فرنسا بكل ثقلها العودة إلى مكانتها الدبلوماسية بين الدول الكبرى مثل إنجلترا و روسيا، والسبيل إلى ذلك تحويل الحلف الرباعي إلى حلف خماسي بمعنى أن تضاف إلى بريطانيا و روسيا والنمسا و بروسيا. و لعل ما زاد الأمر تعقيدا هو اشتراك روسيا في هذه القوة الأوروبية، و لكن كانت رغبة بريطانيا و فرنسا هو إبعاد روسيا من حوض البحر المتوسط و مشاكله. و بذلك فشل هذا المؤتمر في إيجاد حل حاسم بل اكتفى بتكليف فرنسا و بريطانيا بإبلاغ الجزائر إنذارا بوقف أعمال القرصنة و أنه سوف يقضى عليها من خلال تكوين حلف أوروبي ضدها[9].

وبعودة الملكية المجسدة في شخص شارل العاشر عام 1824م زاد الوضع سوء حيث تصميم المطرودون من أبناء الأسرة الملكية الذين عادوا إلى فرنسا على استعادة نفوذهم ومعاقبة الأفراد الذين تعاملوا مع الحكم الثوري الذي وضع حد امتيازاتهم فوجد الحل في توجيه الأنظار خارج أوربا إلى الجزائر وهي التي تعتبر إحدى الأسباب الرئيسية لاحتلال الجزائر عام 1830م[10] بالإضافة إلى أن هناك محطات في العلاقات الجزائرية الفرنسية لا بد من أن تعرج بها هي التدخل اليهودي في العلاقات الجزائرية الفرنسية المتمثل في اليهوديين بكري و بوشناق اللذان احتكرا لصالحهما الجزء الأكبر من التجارة الجزائرية و كان يلعبان دورا سياسيا هاما في الحملة فيما بين 1793م و 1800م لم يساهما فقط في تموين جنوب فرنسا بالحبوب و كذلك جيش إيطاليا ولكنهما قد أعطيا كذلك تسهيلات في الدفع طويلة المدى الشيء الذي كان يسمح لهما بتضخيم ديونهما بعد أن تحصلا من الداي على قروض هامة، لقد توصلا إلى إقناعه أنهما لا يستطيعان تسديد ديونهما تجاهه.

و في 1798م طلب التاجران اليهوديان بكري و بوشناق مبلغ 7.942.902 فرنك فتوصلا إلى قبض تسبقة أولى قيمتها 3.175.000 ثم تسبقة ثانية قيمتها 12000.000، و لكنهما لم يدفعا للداي شيئا .وذلك لقدعلى إثر اتفاقية 28 أكتوبر 1819م بحيث أكدت المعارضة في فرنسا أن قيمة الدين لم ترتفع في الحقيقة إلا لمبلغ 700.000 فرنك .

---

[9] يحيى، بوعزيز، موجز .. مرجع سابق. ص ص 87،-88.

[10] عمار بوحوش. مرجع سابق. ص ص 82-، 83.

و تم تطبيق الاتفاقية على حساب الداي و لكن هذا الأخير الذي كان دينه حقيقيا لم يبلغ أي شيء لأن الدفع تم لدائنين ذو أسماء مستعارة لليهود بصفة أولية و لم يتم إخبار الداي لأمن طرق التجارة و لأمن طرق القنصل الفرنسي دوفال عن الإجراءات التي كان عليه أن يتخذها للمحافظة على حقوقه، فاتهم دوفال على أنه متفق مع خصومه و قد تم شراؤه من طرفها[11].

كان الأمر ليكون أمر عادي لو أن الأمر تعلق بدين عادي لأن الأمر خلاف ذلك لأنه يتعلق بدين بين دولتين لأن المبالغ التي اقترضت إلى فرنسا نصيبا هاما من القمح التي دفعت من الخزينة الجزائرية .يضاف إلى ذلك أن كلا من بكري بوشناق كانت عليهما دين للداي و لخزينة الدولة فالإجراء الطبيعي في هذه الحالة هو أن تصفي الديون في الجزائر وأن تعطي فرنسا ما عليها من مبالغ إلى الداي مباشرة لا بواسطة و في فرنسا كما حدث .و ليس خافيا أن الوسيلة التي دفعت بها المبالغ المدفوعة إلى بكري وبوشناق كانت تهدف إلى تهريب هذين من أن يبقى للخزينة الجزائرية أي شيء.و باختصار أن هناك مبالغ ترجع قانونيا و واقعيا للخزينة الجزائرية .لكن فرنسا دفعتها إلى اليهوديين ونجد بأن بوشناق فر بعد تسلمه المبلغ مباشرة إلى ليفورنة بإيطاليا بينما تجنس بكري بالجنسية الفرنسية و لم يرجع إلى الجزائر[12].

طلب الداي حضور دوفال[13] للاستفسار عن أمر الديون و حدثت ما يعرف بقطع العلاقات بين الجزائر و فرنسا و في اليوم الذي سبق عيد الفطر من سنة 1828م حضور قنصل فرنسا دوفال، فنشب خصام عنيف بين الداي و القنصل و كان الداي قد سئل قنصل فرنسا عما إذا كانت قد وصلته من حكومته تعليمات ملائمة بشأن النقاط التي تفاوض فيها في مثل هذا اليوم من السنة الماضية فأجاب القنصل بالنفي ثم أضاف قائل له بأن حكومته تفضل أن ترسل أسطولها و جيوشها إلى الشواطئ الجزائرية و ترفع أعلامها لتكون عبرة للداي على أن تستجيب مطالبه . فثارت ثائرة الداي عندئذ ولطم القنصل الفرنسي على رأسه بالمروحة التي كانت بيده في تلك اللحظة ثم انصرف إلى مترله و اجتمع ببقية القناصل الأوربية و كلف قنصل سردينيا بالقيام

---

(11) محفوظ قداش. جزائر. الجزائريين تاريخ الجزائر 1830- 1954. ترجمة : محمد المعراجي. الجزائر: المؤسسة الوطنية. 2008. ص ص 9-10.

(12) مبارك محمد ،الميلي.تاريخ الجزائر في القديم و الحديث. ج3. الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية. (د س ط). ص 271.

(13) ولد في سنة 1760م هو ابن مترجم للسفارة الفرنسية بالقسطنطينية و قنصل فرنسي في الجزائر و في الوقت الذي وصل فيه هذا الشخص إلى الجزائر كانت العلاقات قد ساءت. أنظر: Plantet . Eugène. Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833. Tunis : éditions Bouslama. 1981.pp. 522- 523

بالأعمال الفرنسية في الجزائر و في اليوم نفسه ظهرت في ميناء الجزائر سفينة شراعية فرنسية كما لو أنه كان على موعد معها فأخذته و أتباعه و نقلته إلى فرنسا

هذه كلها تمهيدات مبيتة،فتغافلت فرنسا و تماطلت في دفع الأموال التي اقترضتها من الجزائر التي ارتفع حجمها مع مرور الزمن ابتداء من أيام الثورة الفرنسية 1789م .كانت فرنسا و خاصة ابتداء من عام 1815م تريد أن تلعب ورقة هذه الديون بعد أن تفرغ صبر الداي من المطالبة[14].

ثم الحصار الذي تم فرضه على الجزائر و ذلك بإرسال فرنسا قطعة من أسطولها للجزائر. وصلت هذه القطعة إلى ميناء الجزائر حيث طلب قائدها من الباشا القدوم شخصيا إلى السفينة للاعتذار للقنصل و لكن الباشا لم يقبل و أمر الداي حسين بتدمير الوكالتين التجاريتين بعنابة مما أثار سخط الفرنسيين ،و بدأت تحاك المشاريع لاحتلال الجزائر على الرغم من أن الحصار قائم مثل مشروع الضابط دوبو تي و حيث توالت المشاريع[15].

لقد أثر الحصار على فرنسا وأجبرها على البحث في الأزمة ،لأنه أنهك اقتصادها مما اضطرها إلى إعادة النظر في سياستها نحو الجزائر . لهذا بقيت المفاوضات بين مد و جزر ،[16] بعد عقم الحصار الذي فرضته فرنسا على سواحل الجزائر. لذلك لما تولى بولينياك رئاسة الوزارة الفرنسية رأى الحل الوحيد لإخراج بلاده من هذه الأزمة هو إعداد حملة عسكرية ضد الجزائر و منذ ذلك الحين راحت الحكومة الفرنسية تبحث في الأسباب التي تذرعت لها للقيام باحتلال الجزائر[17].

ضربة المروحة التي تذرعت بها فرنسا لإضفاء الشرعية لتنفيذ مخططها الاستعمار القديم و البحث عن منفذ لأزمتها السياسية الداخلية باستغلال الوضع الأمني الداخلي الجزائري الغير مستقر و استباق إنجلترا التي تطمع لنفس الهدف .و إلا كيف نفسر الحوادث الخطيرة التي وقعت بين الدولتين قبل حادثة المروحة ،ومع ذلك لم يكن رد فرنسا عنيفا اتجاه الجزائر فقد طرد الداي حاج على سنة 1810م القنصل الفرنسي بالجزائر بطريقة مهنية وضع ذلك لم ترد فرنسا بعنف [18]هي مسرحية حبكت خيوطها في الخفاء و اعتمدها شارل العاشر كمبرر لإصدار قرار ملكي بتاريخ 7

---

[14] زبير ،سيف الإسلام. صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي. الجزائر: المؤسسة الجزائرية. 1988. ص 8.

[15] بسام، العسلي. المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830- 1838). بيروت: دار النفاش. 1980. ص ص (54- 56).

[16] محمد، زروال. العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791- 1830).الجزائر: مطبعة دحلب. 1994. ص 103.

[17] أرزقي ، شويتام. "نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره "1800-1830.رسالة ماجستير: جامعة الإسكندرية. 1988. ص 148.

[18] جمال، قنان. قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر. الجزائر: المؤسسة الوطنية. 1994. ص 62.

فيفري 1830م تضمن تعيين "الكونت دي بورمون" قائدا للحملة على الجزائر فيجهز جيشه و يبحر من ميناء طولون جوان 1830م و يحتل العاصمة الجزائر يوم 5 جويلية 1830م ليصبح احتلال الجزائر من قبل الجيش الفرنسي واقعا ملموسا.

إن حادثة المروحة هي المبرر الوحيد الذي وضعت فرنسا بل وضعت جملة من المبررات و لكن الأهداف الحقيقية وراء احتلالها للجزائر صنفتها بأنها أسباب غير مباشرة.

فرغبة ملوك فرنسا على مر القرون في العمل على تأسيس إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف لا تبعد كثيرا علن الوطن الأم حتى يسهل تسييرها و الدفاع عنها إذا ما تعرضت لأطماع المنافسين و يمكن اعتبار احتلال الجزائر المرحلة الثانية بعد حملة مصر (1798م- 1801م) في إنشاء هذه الإمبراطورية [19].

ومن جهة و من جهة أخرى فقد نجحت فرنسا في حين أخفق الإسبان في 1541م و كذلك الإنجليز في 1816م حينما حاول اللورد إكسموث احتلال ميناء مدينة الجزائر بذلك يبدأ العهد الكولونيالي فاتحا أبوابه على مصرعيها بالنسبة لأروبا و يلج النظام الملكي الفرنسي من خلال بوبة الجزائر لتحقيق مطامعه التوسيعية في إفريقيا[20].

أولا : جذور المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر.

لقد صممت العديد من المشاريع الفرنسية على الجزائر و نفذ بعض منها في شكل هجمات في سنتي 1863م- 1684م لكن القوة البحرية الجزائرية كانت رادعة[21].ليتم التجهيز لحملة عسكرية و ذلك بجمع مختلف المعلومات سواء سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية التي تخص الجزائر و كان مصدر هذه المعلومات القناصل و التجار و الأسرى و المبعوثين الفرنسيين الذين أقاموا في الجزائر و بعثتهم الحكومة الفرنسية للتجسس على قدراتها و قد حاولوا من خلال

[19] محمد العربي، الزبيري. مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي. الجزائر: الشركة الوطنية. 1972. ص 9.

[20] جمال ،خرشي. الاستعمار و سياسة الاستيعاب في الجزائر (1830- 1962).ترجمة : عبد السلام عزيزي، الجزائر: دار القصبة. 2009. ص 57.

[21] عمار ،حمداني. حقيقة غزو الجزائر. ترجمة لحسن زغدار. الجزائر: وزارة المجاهدين. 2008 ص 81.

مشاريعهم وضع الخطط لتدمير الجزائر و الفوائد التي تعود على فرنسا من وراء هذا العمل العسكري[22].

فهناك من يرجعها إلى عهد لويس الرابع عشر[23] و ذلك بشهادة أحد مؤرخيها أغسطين برنار في كتابه "الجزائر" يقول "إن احتلال الجزائر هي ثمرة لثلاثة قرون من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير" بحيث قدم مشروعا جاء فيه احتلال قاعدة بحرية دائمة في سواحل شمال أفريقيا لمراقبة تحركات بلدان تلك المنطقة و توسيع دائرة تجارتها و لقد حاول في سنة 1664م أن يجسد هذا المشروع و ذلك بإرسال حملة عسكرية لكنها فشلت[24].

و منهم من يرجعها إلى عهد نابليون بونابارت بعد عودت السلام بين الجزائر و فرنسا 1801م العام الذي رجعت فرنسا إلى امتيازاتها في الجزائر[25] لكن الظروف الداخلية و الخارجية التي عرفتها فرنسا حالت و كانت دائما تعيق المشاريع و بعد أن تجمعت كل المعطيات الخاصة بالجزائر استغلت مجموعة من الذرائع الواهية لتعلن الحرب على الجزائر عام 1830م[26].

لقد شهدت فترة عهد نابليون بونبارت جملة من المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر و هذا كان شغله الشاغل وحلمه الذي سعى لتحقيقه من خلالها فكانت كيفية الاستيلاء على الجزائر جوهر مشاريعه و الأساس الذي ارتكزت عليه المشاريع الفرنسية اللاحقة.

ثانيا :المشاريع الفرنسية من سنة 1782م ألى 1801م.

1- مشروعي دوكيرسي[27] (Dekercy): (1782م – 1791م):

قبل الحديث عن هذا المشروع الذي وضعه نابليون نتطرق إلى مشروعه الأول في عام 1782م الذي كان في عهد لويس السادس عشر الذي حكم من (1774م-1792م).الذي أسماه "مذكرة

---

[22] الغالي، غربي و آخرون. العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات و الأبعاد. (د م ط) :منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر.(د س ط). ص 67.

[23] ملك فرنسا من (1663-1715) كان حلمه جعل الجزائر فرنسية.

[24] أرزقي ، شويتام،" التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرن 18-19 و موقف الجزائر منه."، حولية المؤرخ. 3،4. الجزائر: اتحاد المؤرخين الجزائريين. 2005. ص 169.

[25] أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال). ط2. الجزائر: الشركة الوطنية. 1982. ص 19.

[26] غالي غربي و آخرون. المرجع السابق. ص 67.

[27] أقام كارسي في الجزائر منذ 8 سنوات (1782-1791) كقنصل عام للحكومة الفرنسية و قد مكنته هذه الإقامة من الاطلاع على أوضاع الجزائر السياسية و الاقتصادية و العسكرية عن كثب خاصة و أنه حضي بالاحترام من طرف السلطات الجزائرية و قد وضع كارسي مشروعين الأول كان في 1782 و الثاني في 1791. أنظر غالي غربي. مرجع سابق. ص 68.

حول الجزائر"[28] .و قد كانت مناسبة تحرير هذه المذكرة مع مرور مائة سنة على قصف دوكري لمدينة الجزائر عام 1682م و كان هدف كارسي إحياء هذه الذكرى في مشروعه[29].

لقد كانت الافتتاحية التي استهل كارسي بها مشروعه هي موضوع العلاقات الدبلوماسية الجزائرية الفرنسية و طبيعتها هذه التي كانت بين مد و جزر و لكن فرنسا كانت في الأخير ترضخ لمطالب الجزائر و قد أكد أنه على فرنسا ترك سياسة التهديد و الوعيد لأنها لا تجدي نفعا مع الجزائر و لأن القطيعة مع الجزائر تشكل خطرا على فرنسا لذا وجب على هذه الأخيرة تغيير سياستها الخارجية بشكل يوحي بالجدية و الرصانة و هذه المهمة تقع على عاتق القنصل[30].

كما تطرق إلى قضية الأسرى المسيحيين و معاناتهم في الجزائر قصد كسب الرأي الإنساني لتخليصهم من أيدي المسلمين و قد أكد لبلاده على ضرورة فرض السيطرة على جزيرة طبرقة[31] و عن حرية صيد المرجان التي تعود بالفوائد الجمة على المملكة الفرنسية[32].

أما عن الخطة العسكرية التي يجب على فرنسا إتباعها في احتلال الجزائر و هي نزول الجيش من الناحية الغربية لكنه لم يحدد بالضبط و هذا ما سوف ينتقد عليه كما أوصى بهدم كل الحصون و القلاع و نقل المدافع لفرنسا أما بعد احتلال الجزائر فإنه يجب تأسيس حكومة مشكلة من الأهالي و بذلك تنتعش التجارة بين البلدين أي الجزائر و فرنسا أكثر من أي دولة أخرى[33] و اختتم كارسي مشروعه بالعبارة التالية:

"تلكم هي سيدي الملاحظات التي أستطيع تقديمها لحضراتكم، و إذ لم تكن تستحق أي اعتبار فإن ذلك يعود إلى كونها تحتوي على تناقضات و أوجه نظر مختلفة فأرجو منكم إذن، أن لا تلتمسوا منها سوى أثر الحماس الشديد و الدائم الذي يتأجج في نفسي و الذي يدفعني إلى كل ما

---

[28] غالي غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 68.

[29] نبور ،فريد. المخططات الفرنسية اتجاه الجزائر (1782-1830). (د م ط): مؤسسة كوشكار. 2008. ص 43.

[30] نفسه. ص ص 13- 21.

[31] خلال هذه الفترة التي تم فيها إصدار المشروع عقد بين الجزائر و فرنسا معاهدة السلم المئوية التي كرست مبدأ التعامل الند و احترام مصالح كل الطرفين.

[32] بنور، فريد. مرجع سابق. ص ص (26.30).

[33] غالي، غربي و آخرون ،مرجع سابق. ص ص (68-69).

يتعلق بمصالح و مجد بلادي التي أعتز بشرف ولادتي بها و إلى تكريس وجودي ذاته خدمة لها" [34].

النقد الذي تعرض له من خلال هذا المشروع هو أنه لم يزود مشروعه بخرائط جغرافية و لم يدعم معلوماته بمخططات أو تصميمات فخطته العسكرية كانت نظرية لم تجسد في رسم بياني. [35]

لقد غفل كارسي عن ذكر الأسطول الجزائري و خلال هذه السنة التي هي 1782م كانت القوات البحرية للإيالة تتكون من سبعة سفن من نوع شباك واحدة ذات 34 مدفعا و إثنان ذات 24 مدفعا و اثنان آخران ذات 18 مدفعا و واحدة ذات 10 مدافع و الأخيرة ذات 4 مدافع، و عشرة مراكب و قاربين من 6 مدافع، و لقد كان مجموع القوات البحرية هذه 23 سفينة و 400 مدفعا[36].

لذا تقدم بمشروع آخر في 1791م لحكومته في السنة التي عاد فيها إلى باريس و قد جاء فيه بالدعوة إلى إرسال حملة برية إلى الجزائر تنزل بشبه جزيرة سيدي فرج تم التقدم لاحتلال المدينة و القضاء على حكومة الداي و إقامة حكومة جديدة تتماشى مع مصالح فرنسا و أن تستولي هذه الحملة على كنوز الداي كتعويض لمصاريفها[37].

و قد قدرت كنوز الجزائر بأكثر من مائة مليون فرنك فرنسي على شكل سبائك من الذهب و الفضة و اللؤلؤ و المرجان و الأحجار الكريمة و الماس و قد سعة من خلال مشروعه الاحتلالي وضع حد نهاية للدولة الجزائرية و استبدالها بجزائر فرنسية قلبا و قالبا[38].

فقد تطرق فيه إلى ظروف تعيين الداي حسين باشا سلطة وكيل الحرج[*] في تسيير شؤون الدولة إضافة إلى اعتداءات البحرية الجزائرية على السفن الفرنسية إضافة إلى العلاقات الخارجية لأيالة الجزائر بالدول الأوربية كما تطرق إلى وضعية الأسرى الأوربيين بالجزائر كما جاء فيه

---

[34] بنورن فريد، مرجع سابق. ص 45..

[35] بنور فريد، مرجع سابق. ص 58.

[36] Albert, Devoulx. La marine de la régence d'Alger. Alger: Bastide. 1869. P 32.

[37] يحيى، بوعزيز. موضوعات... . مرجع سابق. ص 226.

[38] بوعزة ،بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 23.

[*] يرى كارسي أن وكيل الحرج له تأثير كبير على قرارات الداي حسين.

الوضعية الاقتصادية للجزائر من تجارة و الخزينة كما تطرق إلى القوات البحرية الجزائرية و المخطط العسكري للاستيلاء على الجزائر بالإضافة إلى نتائج الحملة العسكرية على المستوى الإفريقي و الأوربي[39].

لذا وضع مجموعة من الإجراءات لإحكام فرنسا سيطرتها على المغرب العربي كله ابتداء بتونس ثم ليبيا فالمغرب الأقصى لأنه حسب منطق و رأي كارسي أن مملكة المغرب الأقصى قوية و ذات بأس شديد فحين الجزائر ضعيفة لذا من السهل إخضاعها لكن كارسي يجهل أنه في سنة 1676م ألحقت الجزائر هزيمة نكراء بالمغرب[40].يضاف إلى تطرقه إلى موقف الدولة العثمانية من استيلاء فرنسا على الجزائر[41] و تأكد كارسي من أن الإمبراطورية العثمانية في حالة ضعف إذن فهي غير قادرة على التدخل عسكريا لصالح الجزائر[42].

لقد اقترح كيرسي قبل إعلان الحرب على الجزائر، إخراج الرعايا الفرنسيين ثم سحب كل السفن الفرنسية من موانئ الجزائر ثم إعلان الحصار البحري بعد حشد القوات[43].و أحسن خطة اقترحها لمهاجمة الجزائر هي الإنزال في سيدي فرج و الالتفاف حولها ناحية البحر[44].

ومما يلاحظ من خلال هذا المشروع على أن كيرسي حاول ما استطاع أن يبين أن الاستيلاء على الجزائر أمر هين لكن داخل نفسه متأكد أنه أمر صعب جدا بالإضافة إلى المخطط العسكري الذي أعده كارسي يحتوي على نقاط أساسية تبنتها فرنسا سنة 1830م و هو أول من اقترح أن تكون الحملة برية باستعمال فرقتي المشاة و المدفعية[45].

و يتبين لمما سبق أن الحقد الدفين الفرنسي ضد الجزائر كان يتخمر بصورة بطيئة حتى ينضج و ينقض على الجزائر بالإضافة يعكس الطمع الشديد لفرنسا و هو الاستيلاء على الخزينة كما جاء به كايرسي.وعلى الرغم من أن مشروع دوكيرسي من أهم المشاريع الفرنسية التي كتبت في القرن

---

(39) غالي نغربي و آخرون. مرجع سابق. ص 69.

(40) بنور، فريد. مرجع سابق. ص ص (103، 104).

(41) غالي، غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 69.

(42) بنورن فريد. مرجع سابق. ص 105.

(43) غالين غربي و آخرون. مرجع سابق. ص ص 69، 70.

(44) جلال يحي. السياسة الفرنسية في الجزائر (1830- 1960). القاهرة: دار المعرفة.(د س ط). ص 37.

(45) بنور،فريد. مرجع سابق. ص ص (49، 115).

الثامن عشر إلى أن الحكومة الفرنسية لم تتمكن من تنفيذه في ذلك الوقت و ذلك لانشغال فرنسا بأمورها الداخلية[46].

2- **مشروع لوماي**[47] (François Philip Nage) **1800:**

أول ما يلاحظ على هذا المشروع أن كثير من المؤرخين لم يتطرقوا إليه ضمن المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر و لم يذكروه في كتاباتهم.

لقد شهدت هذه الفترة الثورة الفرنسية و تحالف الدول الأوربية للقضاء عليها و دخلت تركيا معها لمحاربة فرنسا لاحتلالها مصر و في 1799م قام الإنجليز و الدولة العثمانية بحصار محكم على كوفور فاضطر لوماي قائد الحامية العسكرية إلى الاستسلام و بقي لوماي أسيرا بمدينة الجزائر مدة 16 شهرا و تم إطلاق سراحه في سبتمبر 1800 و يحتوي مشروعه هذا على 42 صفحة قد غطت مختلف جوانب الإيالة[48].و يمكن أن نقسمه إلى محورين المحور الأول لمحة عن الوضع السياسي والاقتصادي و القضائي و التجاري و العسكري و الإحصائي للإيالة[49].فقد جاء في الوضع السياسي وصف للحكومة الجزائرية التي تعد ضعيفة في نظره و تتكون هذه الأخيرة من ثلاث أعضاء أولها الداي قائد الجيش الإنكشاري والداي في تلك الفترة مصطفى الخزناجي العجوز المحترم و أخيرا وكيل الحرج و هو من المماليك[50].

كما تطرق إلى المجتمع الجزائري الذي رأى بأنه غير منسجم فيه عدة أجناس بشرية فمثلا الأتراك، الكراغلة[51]، القبائل الذي يشتغلون في الزراعة أما البسكريون الطبقة الأكثر فقرا في مدينة الجزائر إضافة لليهود الذين لديهم تأثير كبير في المجال السياسي و الاقتصادي إضافة للمسيحيين[52].

---

(46) أرزقي، شويتام. نهاية.. مرجع سابق. ص 148.

(47) ولد لوماي في عام 1772م بمدينة فينا و لقد كان رجل حرب في 1792م كان ضابطا في المدفعية و في العام الموالي 1793م أصبح ملازما في الفيلق المكلف بسلاح المدفعية لقد شارك في حروب الثورة الفرنسية و بعد ذلك ارتقى إلى رتبة عقيد و أخيرا عين قبطانا في الحامية العسكرية كوفور. أنظر: بنور، فريد.مرجع سابق. ص 137.

(48) مرجع نفسه. ص ص (138، 139).

(49) غالي، غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 70.

(50) بنور ،فريد. مرجع سابق. ص 139.

(51) هم المولدون من أب تركي و أم جزائرية.

(52) نفسه. ص ص (139، 145).

إضافة إلى موضوع هام تناوله هذا المشروع و هو العدالة حيث لاحظ الصرامة في تطبيق النظام القضائي بحيث صرح لوماي قائلا "نادرا ما سمعت الناس يتكلمون عن القتل أو السرقة" ثم انتقل للحديث عن التجارة حيث يرى بأن المؤسسات التجارية نقمة على فرنسا و ليست نعمة فهي دائما تسعى للتضحية على حساب الإبقاء و المحافظة على تجارتها [53].

أما المحور الثاني لهذا المشروع فقد خصصه للمخطط العسكري و الطريقة و الكيفية التي يتم بواسطتها الهجوم على مدينة الجزائر و الاستيلاء عليها.فاقترح لوماي في مخططه العسكري الإنزال المفاجئ و القوي و السريع في شرق و في غرب مدينة الجزائر في آن واحد ثم الاستيلاء على برج موالي حسن الذي يشرف عليها[54].

حيث يرى أن هذا البرج يسهل الاستيلاء عليه بالغرم من جدرانه المرتفعة بحيث يبلغ طولها 25 قدما و ذلك لثلاثة أسباب أولها أن هذا البرج خال تماما من الخندق ثانيا أن زواياه المحصنة ليست منفرجة تماما بذلك ليست من السهولة الدفاع عن واجهاتها ثالثا يتمثل في فتحات الرمي ذاتها بمعنى أن المهاجم إذا كان بأسفل القلعة فإن القذائف المدفعية لا تصيبه لأنها تأخذ اتجاه أفقي نوعا ما عند انطلاقتها[55].

و ختم مشروعه بالتأكيد على الفوائد الجمة التي ستجنيها فرنسا من وراء هذا المشروع كما ركز على الثروات الموجودة في الجزائر من أراضي زراعية شاسعة و الكنوز الموجودة بالخزينة[56].

بعض الانتقادات توجه إلى هذا المشروع منها أنه ذكر ثلاثة أعضاء فقط يشكلون الحكومة الجزائرية.

في حين يوجد أعضاء آخرين مثلا خوجة الخيل و هو المكلف بإدارة أملاك الدولة و على رأسها الخيل إضافة إلى العملاء[57] و يتضح جليا من خلال ذكر الفوائد الجمة التي ستحصل عليها فرنسا بعد نجاح الحملة على الجزائر [58] التي نوه لها لوماي حيث أوصى بالاستيطان عن طريق

---

[53] نفسه.ص 156.

[54] بنور فريد. مرجع سابق. ص 149.

[55] نفسه. ص 146.

[56] غالي، غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 70.

[57] جميلة ،معاشي. الإنكشارية و المجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني. رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة،. 2008/2007. ص ص (37،39).

[58] أبو القاسم ،سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930،ط4،بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1992،ج2. ص 22.

الاستيلاء على الأراضي الزراعية.و يمثل هذا المشروع حلقة من حلقات الجوسسة الفرنسية في الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي و آخرها في هذا القرن فقط.

3- **مشروع ديبواتانفيل الأول** (Charges – Francois dubois- thainville[59]):

يشمل على مشروعين 1801م و 1809م[60].و قد كان خلال هذه الفترة توتر حاصل بين الجزائر و فرنسا و وصل إلى حافة الحرب عندما استقبل الداي مصطفى باشا مبعوث نابليون ديبواتانفيل الذي أبرم معه هدنة ثم صلحا نهائي عام 1801م[61].

مشروعه الأول 1801م: في مدينة أليكونت الإسبانية حرر ديبواتانفيل[62] مذكرة بعنوان "مختصر لعملياتي بإفريقيا" أرسلها مباشرة إلى نابليون بونابرات بباريس ،و تتلخص العناصر الأساسية التي تحتوي عليها المذكرة في طبائع "الحكام الكبار" و تأثير اليهود في الحكم و الوضع التجاري و القوات البحري و البرية و أخيرا دعوة نابليون إلى تخليص الأهالي الجزائريين من النير التركي و قد وصف الداي بالجاهل و الخزناجي بالضعيف لقد كان اليهود أصحاب نفوذ قوي و كان لهم تأثير عميق في كل المجالات الحيوية للدولة الجزائرية[63]و يقصدهنا (بوشناق و بكري).

4- **المشاريع الفرنسية في سنة 1802م.**

أ- **مشروع جون بون سانت أندري**[64] (Jaen bonsaint-andré 1802):

لطالما سيطرة على فكر نابليون التخطيط لحملة كبيرة ضد دول المغرب العربي و إقامة مستعمرات عسكرية و لتحقيق ذلك طلب من الفرنسيين الذين كانوا أسرى في الجزائر أو الذين

---

(59) شارك في الثورة الفرنسية بفعالية كان من بين القادة الكبار الذين زحفوا على رأس ألفي شخص من الجماهير للهجوم على الباستيل و لقد تقلد وضائف مدنية و عسكرية إذا كان قائد الفيلق ثم ممثلا لبلدية باريس و هو أول من رفع العلم الوطني الفرنسي ذي الألوان الثلاث و نصبه في قصر التويلري. أنظر :بنور، فريد.مرجع سابق. ص 161.

(60) نفسه.ص 160.

(61) جمال، قنان. قضايا و دراسات . مرجع سابق. ص 55.

(62) مبارك بن محمد ،الميلي. مرجع سابق. ص 5.

(63) جمال، قنان. العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790- 1830. الجزائر: المؤسسة الوطنية. 2007. ص ص 115- 116.

(64) ولد يوم 25 فيفري 1749م بمدينة مولبتون الواقعة بمقاطعة البيرني جنوب فرنسا أصبح راهبا في تلك المدينة، عند اندلاع الثورة الفرنسية 1789م أيد مبادئها و قد تولى مناصب في عهد الجمعية التأسيسية، مارس أيضا النشاط العسكري حيث كان ضابطا و أرسل إلى شمال إفريقيا و في سنة 1796م عينته حكومة الإدارة قنصلا عاما في الجزائر في 16 ديسمبر 1798م سحبت منه القنصلية العامة و عين بدله مولتيدو و هي السنة التي أسر فيها جون بون سانت أندري و لم يطلق سراحه إلا في 1800م و لقد توفي بباريس في 10 ديسمبر 1813 إثر مرض عضال التفوئيد الذي أصيب به. أنظر بنورن فريد.مرجع سابق ص ص 249، 252.

عاشوا فيها معلومات عنها و عن سكانها و تحصيناتها فكان أن القنصل الفرنسي في الجزائر جون بون سانت أندري[65].بإعداد مشروع احتلالي ضد الجزائر فكان المشروع يعتمد أساسا على القوة العسكرية التي قدرها بثلاثين ألف جندي و قد ركز على ضرورة احتلال العاصمة حتى تتمكن فرنسا من تحقيق مشروعها في ضم الجزائر إليها لأن سقوط العاصمة يعني عدم صعوبة الوصول إلى المناطق الأخرى[66].

و عارض فكرة العمليات الاستثنائية و قد نصح حكومته باستشارة بيرون المسؤول الرئيسي عن مؤسسات الشركة الإفريقية في القالة[67].و لقد نوه إلى ضرورة العودة إلى تقرير دوكرسي حول مشروع تجديد حملة ضد الجزائر في سنة 1791م و هذا ما يؤكد أن الوضع في الجزائر لم يتغير منذ هذه السنة .

كانت غاية مشروع جون بون سانت أندري إضافة إلى النقاط التي تعرض لها التحصينات القادرة على صد أي هجوم مهما بلغت قوته و هي "الأبراج البحرية" و التي أسماها في مشروعه بحصون الترسانة لكن إذا ما هوجمت من وراء المدينة فإنه يمكن النجاح في الهجوم و من التحصينات التي تطرق لها "قلعة مولاي حسن" إن لم يكن الوحيد في البر و هو سهل إذا هوجم[68].

أما الخطة العسكرية الواجب إتباعها للاستيلاء على الجزائر حسب هذا المشروع فقد بأهمية النزول الفرنسي في "رأس ماتيفو" و "سيدي فرج" في آن واحد و لتأمين نجاح الحملة اقتراح إدخال الجزائر في حرب ضروس مع تونس ميدانا و البداية تكون بتكييف القصف البحري باعتباره الوسيلة الوحيدة و الفعالة التي تلحق بالجزائر أكبر الأضرار المادية أما الخطوة الثانية تقسيم الجيش الفرنسي إلى قسمين الأول تكون نقطة نزوله منطقة "رأس ماتيفو" و الثاني سيدي فرج ثم يزحف الجيشان نحو المرتفعات الخلفية لمدينة الجزائر لمنطقة التقاء و منها يكون الهجوم العام على "برج مولاي حسن" و بذلك استسلام المدينة[69].

---

(65) أبو القاسم ،سعد الله. محاضرات. مرجع سابق. ص 20.

(66) بوعزة ،بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 24.

(67) مبارك بن محمد، الميلي. مرجع سابق. ص 280.

(68) غالي ،غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 73.

(69) نفسه. ص 73.

و مما يلاحظ في هذا المشروع أن مخطط عسكري محض إلا أنه لم يزود بخرائط جغرافية و بيانات، ثم تكملة على محاولة إنهاء الحرب خلال ثمانية أيام هذا أمر مبالغ فيه و مستحيل فديبرمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م احتاج إلى

ثلاث أسابيع للاستيلاء على مدينة الجزائر وهذا المشروع أجل نضرا لتوجيه أطماع نابليون نحو سان دومينيغ بأمريكا[70].

5- **مشروع تيدينا**[71] (Thedenat) "1802":

قدم تيدنا كوسيط للعلاقات التجارية الفرنسية في سافونا مشروعا إلى تاليران[72] بعنوان "لمحة عامة عن نيابة الجزائر" لخص فيها حالة الجزائر السياسية و العسكرية و الاجتماعية و ذلك بحكم أنه أسيرا في الجزائر لعدة سنوات ثم اقترح إرسال حملة ضدها تتكون هذه الأخيرة من خمسين ألف جندي تصادر كنوز الجزائر و تحطم أسطولها و تخضع الداي إن لم يستطع القضاء عليها نهائيا[73].

و من العبارات التي استهل بها مشروعه "إن إقامتي لمدة خمس سنوات في هذه البلاد و رحلاتي المتعددة إلى السواحل و إلى المناطق الداخلية و دراستي للغة العربية مكنتي من معرفة الأماكن، و النظام الحكومي، و قوة البلاد، و عادات سكانها" [74].

و صرح بذلك بقوله "لا نستطيع إنكار أن مدينة الجزائر قلعة حصينة، سكانها الذين يتجاوز عددهم 100.000 نسمة أولا. و بأبراجها و بطارياتها و مدافعها ثانيا، فلا يجوز إذن تصور إمكانية مهاجمتها من جهة البحر" [75] و لذا يؤكد على أهمية الهجوم البري الذي وضع له خطة عسكرية حدد فيها نقطة النزول و المسالك التي على الجيش الفرنسي أن يسلكها فحدد شاطئ

---

[70] نبور ،فريد. مرجع سابق. ص ص 289- 292).

[71] ولد في مدينة أوزيس بمقاطعة لونغودوك بفرنسا سنة 1757م في 1779م أبحر من مدينته مالاقا على متن مركب إسباني إلى مرسيليا لنقل براميل الخمر و في عرض البحر تمكنت الجزائر من أسره لأنها كانت في حرب مع إسبانيا و ذلك يوم 1779م بعد إطلاق سراحه عاد إلى فرنسا بلده الأصلي و منها انتقل على صقلية و قضلا فيها 4 سنوات و في سنة 1789م عين نائب قنصل بمدينة ميسين في جزيرة صقلية و في 1799م عين مندوب بالعلاقات التجارية بمدينة سافون الواقعة بمقاطعة ليفوريا شمال إيطاليا. أنظر بنور ،فريد. مرجع سابق. ص ص 282، 294

[72] وزير خارجية فرنسا.

[73] يحيى، بوعزيز. موضوعات.... مرجع سابق. ص 288.

[74] نبور ،فريد. مرجع سابق. ص ص (296- 297).

[75] نفسه. ص 306.

تنس[76] كنقطة إنزال[77] ثم يتقدم الأسطول الفرنسي بضرب منطقة تنس بالقذائف و القنابل بقوة حتى ينتشر الخوف في أوساط السكان في هذا الوقت يكون الجيش البري قد تسرب إلى المناطق الداخلية عبر الجبال التي تفصل ساحل تنس على ساحل مليانة[78] بعد ذلك يصل الجيش إلى سهل مليانة أين يجد المؤن بوفرة ثم يصل إلى المرتفعات الجنوبية التي تشرف على مدينة الجزائر و يتسن له ضرب حصار

و الهدف الأساسي من ضرب الحصار من الجهة الخلفية لمدينة الجزائر هو قطع كل اتصال من شأنه أن يحدث بين الداي و البايلك و منع وصول الإمدادات العسكرية ليبدأ الأسطول البحري في عملية الهجوم، و لقد اختتم صاحب المشروع خطته بهذه العبارات: "ففي هذا الجو المضطرب فإن مدينة الجزائر ستجد نفسها مجبرة على الاستسلام، و ستقبل عنوة القوانين التي ستفرض عليها". يلاحظ بأن الخطة العسكرية لهذا المشروع دقيقة و مدروسة لكن لم يعين الزمن المناسب لهذه الحملة و لم يرفق برسومات بيانية فهي نظرية محضة [79].

6- **مشروع بيرج** (Berge) "1802":

بعد مرور عشرة أيام من ذهاب هولان إلى الإيالة في 27 جويلية 1802م بعث القنصل الأول برسالة ثانية للداي و في هذه المرة كلف القبطان بيرج[80] بإيصالها له و لقد كانت هذه الرسالة على شكل آخر إنذار[81] فكان الهدف من بعث القبطان البحري بيرج لمساعدة هولان في جمع معلومات وافية عن الجزائر قصد القيام بحملة عسكرية و قدم هذا المشروع إلى نابليون مما جاء فيه أن الشعب الجزائري متعطش إلى النصارى على اعتبار أنهم محررون و لن يكون ذلك إلا في شخص نابليون إضافة إلا ما جاء في المشروع هو خزينة الجزائر تحتوي على أكثر من 200

---

[76] تقع غرب مدينة الجزائر تتميز بمواصفات طبوغرافية المنطقة الملائمة للإنزال. و كذلك خلوها من التحصينات و الدفعات العسكرية. أنظر غالي، غربي. مرجع سابق. ص 74.

[77] نفسه. ص 74.

[78] نفسه.

[79] رجع نفسه. ص 322.

[80] تقع في منطقة مرتفعة و هي تبتعد عن الجزائر كمدينة 15 فرسخ و سهولها غنية بالثروة المائية.

[81] غالي،الغربي. ص 348.

مليون فرنك فرنسي و الاستيلاء عليها يكون تعويضا لخسائر الحملة العسكرية التي قد تصيب فرنسا[82].

و خلال وقت وجيز تمكن من فحص مدينة الجزائر و دراستها كما تحرى ساحلها و مينائها و وصف القلاع و الأبراج وصفا دقيقا كما يتصف هذا الأخير بالقدرة على كتمان السر بحيث لم يتمكن أي أحد في الجزائر من معرفة الهدف الحقيقي من تنقلاته[83].عاد بيرج إلى فرنسا و سلم مخططه العسكري للقنصل الأول مباشرة لكن هذا الأخير اضطر إلى تأجيل تنفيذ ذلك المشروع و أهم سبب لهذا التأجيل هو انقطاع صلح أميان و قيام الحرب بين فرنسا و إنجلترا[84].

7- **مشروع هولان** (Peirre Hulin) "1802":

أرسل هولان[85] البعثة الفرنسية المتوجهة لمدينة الجزائر بقيادة الأميرال الفرنسي "ليفري" للتفاوض مع الداي حول موضوع التجاوزات البحارة الجزائريين ضد السفن الأوربية التي تحمل الراية الفرنسية و أثناء فترة تواجده راح يتجسس على أسرار الحكومة ويجمع المعلومات و بعد عودته لباريس أعد مشروعا لاحتلال الجزائر بعنوان "ملاحظات حول جمهورية الجزائر" و قد أرفق بمشروعه صور لمدينة الجزائر رسمها بنفسه[86].

تضمن تقريره معلومات تاريخية فحدد سكان العاصمة نحو تسعين ألف نسمة و القوات العسكرية تضم قرابة أربعة عشر ألف جندي مشاة و ما بين ثلاث و أربعة آلاف فارس و بإمكان الحكومة تعبئة ما بين خمسين إلى ستين ألف جندي في حالة حرب غير أن الجيوش تشكو من مدفعية الميدان أما القوات البحرية فهي تشكل من ستة عشر سفينة إلى جانب خمسين زورقا مخصصة للدفاع عن الميناء و يتوفر الأسطول في مجموعه على 423 فوهة مدفعية[87].

---

(82) بوعزة ، بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص ص 24، 25.

(83) نبور، فريد. مرجع سابق. ص ص 350، 351.

(84) نفسه. ص ص 351، 352.

(85) هو رجل ثوري فقد كان من بين الذين قادوا الشعب الفرنسي للهجوم على حصن الباستيل رمز العبودية يوم 14 جويلية 1789م و يتميز بحنكة دبلوماسية و لقد قدم مشروعا لغزو الجزائر في 1802م إلى نابليون بونبارت. أنظر نبور فريد. مرجع سابق. ص 327.

(86) غالي، غربي و آخرون. مرجع سابق. ص ص 17، 75.

(87) حنيفي ، هلايلي، النظام الحربي للجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830،أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس ،2004.ص ص 145-147.

لقد جاء في هذا المشروع مواضيع عدة تخص النظام السياسي و الوضع الاقتصادي و الاجتماعي تقريبا كما سبق في المشاريع السابقة يضاف إلى ذلك أن صاحب المشروع لم يضع خطة عسكرية للاستيلاء على مدينة الجزائر[88].

و أهم ما يلاحظ في هذا المشروع هو أن هولان يرى بأن غزو الجزائر من حق نابليون فقط و رغم هذا إلا أنه لم يرسم مخطط للاستيلاء على الجزائر أو لمساعدة نابليون على تنفيذ هذا الحق بل اكتفى صاحب هذا المشروع بإرفاق صور لمدينة الجزائر رسمها بنفسه و وضح فيها الخليج و الساحل و التحصينات و المرتفعات. انشغالات فرنسا الدولية و الداخلية حالة دون التمعن أكثر في هذا المشروع و وضع في وزارة الخارجية[89].

فالتجارة الفرنسية بالإيالة من المواضيع التي أولى لها ديبواتانفيل أهمية و لقد وصف الوضع السيئ للمؤسسات التجارية الفرنسية في عنابة و القل و القالة بحيث تدهور صيد المرجان و عرفت تجارة الحبوب ضعفا كبيرا و لقد ارجع السبب للضريبة السنوية المرتفعة التي تدفعها الوكالة الإفريقية كما أكد أنه في الفترة التي غادر فيها الإيالة كان يوجد 34 مدفعا و لقد تم بناء في الميناء 50 زورقا مسلحا بالمدافع و يؤكد أن رياسة البحر و بفضل قوتهم عملوا على نشر الرعب في البحر الأبيض المتوسط[90].يلاحظ من خلال مشروعه هذا طرحه اهتم فيه بمواضيع مختلفة تخص الجزائر بذلك افتتح القرن التاسع عشر بمشروع احتلالي للجزائر.

ثالثا : المشاريع الفرنسية من سنة 1808م إلى 1809م.

مشروع العقيد بوتان(1772-1818) (Vincent Yves Boutin) "1808"

يعتبر مشروع بوتان[91] من أهم المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر في عهد نابليون بونابارت.

---

[88] غالي،غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 74.

[89] غالي، غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 75.

[90] نبور، فريد. مرجع سابق. ص ص (174- 176).

[91] هو "فانسان إيف بوتان" واد في 1 يناير 1772م بقرية لورو-بوتيور بلوار السفلى ضواحي مدينة نان أنهى تعليمه في 1791م و في سنة 1793م دخل مدرسة ميزيير العسكرية و في 1794م ترق إلى رتبة ملازم أول ثم نقيب و أسندت له مهام عدة لمصلحة بلاده و لجدارته ترق إلى رتبة رائد قائد كتيبة في 28 ديسمبر 1807م و غي 30 أفريل 1808م وقع الاختيار عليه بإنجاز مهمة تجسسية بالجزائر.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Charles BARBET, "*Le colonel Boutin*», In, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger, N° 105-108, Alger, 1926, pp.

و قد جاء هذا المشروع بعد أن أمر نابليون وزير البحرية الأميرال دوكري في التفكير للقيام بحملة ضد الجزائر سواء برية أو بحرية[92] و بناء على ذلك أرسل قائد كتيبة الهندسة العسكرية إيف-بوتان لمهمة تجسسية في الجزائر[93].و أول شيء قام به الاتصال بالقنصل الفرنسي "تانفيل" الذي زوده ببعض المعلومات ثم بدأت مهمته بالتجول في شوارع المدينة و في ضواحيها و في نفس الوقت كان يقوم بالصيد على شط البحر و كان يقوم ببعض الرسومات التمهيدية و عندما كان يعود مساءا إلى القنصلية يشرع في تدوين ملاحظاته و أبحاثه التي قام بها خلال اليوم[94].

و يحمل مشروع بوتان عنوان "الاستعمار" و هذا ما يوضح الأهداف و النوايا المبيتة لدى الجهات الفرنسية التي كلفته بهذه المهمة فقد كان مصدره وزارة الحربية الفرنسية و قد اعتمد هذا التقرير بحيث طبع في كتاب و اقتطفت عدة مقاطع منه و جمعت في دليل مع

إضافات وتعديلات ثم وزع على قادة مختلف تشكيل الجيش الفرنسي المتوجه للجزائر سنة 1830م[95].

لقد أكد بوتان في مقدمة تقريره على نقطتين أساسيتين أولهما اختيار المكان اللائق لإنزال القوات قرب العاصمة، و النقطة الثانية هي المقاومة التي ستواجهها هذه القوات عند النزول فقدم اقتراح في ساحل سيدي فرج بعد أن بين مساوئ الإنزال عند شرق العاصمة مستعينا بالحملات التي قام بها الإسبان و باءت بالفشل أما ناحية الغرب فلأن هذه المنطقة خالية من أي حصن أما النقطة الثانية التي اعتبرها أساسية فإن الجزائر لا تستطيع أن تجمع أكثر من ستسن ألف جندي كما اقترح لنجاح الحملة إشعال حرب بين الجزائر و تونس[96].

---

[92] أرزقي ،شويتام. التنافس.... مرجع سابق. ص 178.

[93] عمار ،حمداني.مرجع سابق. ص 81.

[94] خالد ،بوهند. بحوث قراءات في تاريخ الجزائر العام. الجزائر: دار الغرب. 2008.

[95] بوعزة، بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 75.و أيضا :

- Nettement (Alfred), Histoire de la conquête d'Alger écrite sur les documents inédits et authentiques, Paris, Jacques le coffre, 1856.

[96] جمال، قنان. معاهدات الجزائر مع فرنسا 619م – 1830م. (د م ط): وزارة المجاهدين. 2007. ص 202.

فقد قال "و هكذا عندما نترل إلى سيدي فرج سوف لا نجد لا بطاريات نتصدى لها و لا أعداء نواجههم".كما اقترح أن يتراوح عدد قوات الحملة العسكرية على الجزائر ما بين 35 و 40 ألف عسكري[97].

و قد أكد بوتان على أن الطريق الذي يسلكه الجيش الفرنسي هو الممتد من سيدي فرج إلى قلعة مولاي حسن و هو من أحسن الطرق باستثناء طريق قسنطينة الذي لا يستطيع الجيش الفرنسي أن يستفيد منه.كما أورد الأخطار التي قد تتعرض لها الحملة من البحر و نصح بدلا من ذلك أن تكون الحملة برية و بالاستيلاء على قلعة مولاي حسن لأنها تشرف على المدينة و أفضل وقت للحملة هو من ماي إلى جوان و أن مدة الحملة لا تتجاوز شهرا[98].

بالإضافة إلى ذلك قدم جملة من النصائح للجيش الفرنسي في حالة انتصاره أول شيء هو إقامة شرطة صارمة و في نفس الوقت عادلة اتجاه السكان و باحترام المساجد و النساء و الأحواش، مؤكدا بأن "ظلم أي شخص سيسبب مصائب كبيرة" أما في داخل الجزائر وخاصة في الجنوب فقد نصح بإقناع الجزائريين ليتقبلوا بالوجود الفرنسي و بعدم استعمال قوة السلاح إلا للضرورة القصوى بالإضافة إلى تكوين عملاء الذي ذكرهم بوتان هم "التجار" كما رأى بأن اليهود "خجولين" فهم لا يقفون في صف الجيش الفرنسي إلى في حالة ما إذا كان منتصرا أو إذا ما اقتنعوا أن النصر حليف الفرنسيين[99]. بعد مكوث بوتان في الجزائر من 24 إلى 17 يوليو 1808م و بعد جمعه معلومات بحيث وضع كثيرا من اللوحات و الخرائط العسكرية و في طريق عودته أسرته سفينة بريطانية و ذهبت به إلى مالطة و لكنه أفلت و اتجه إلى أزمير فالقسطنطينية فباريس حيث أعاد كتابة تقريره و أرفقه بأطلس جغرافي من حوالي 15 لوحة و خريطة[100].

لم تسمح الظروف لنابليون بتنفيذ هذا المشروع و المشاريع الأخرى بسبب تدهور الأوضاع أمامه في إسبانيا و ما أعقب ذلك من ظهور مقاومات وطنية في عدد من البلدان الأوربية مقلدة للمثل الإسباني و سرعان ما أدى ذلك إلى اندلاع حرب قارية جديدة و التي انتهت بسقوط

---

[97] بوعزة ،بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 28.

[98] أبو القاسم ،سعد الله. محاضرات....مرجع سابق. ص 21.

[99] بنور نفريد. مرجع سابق. ص ص (443، 448).

[100] يحي، بوعزيز. الموجز... مرجع سابق. ص 92.

نابليون في 1814م[101].و هي السنة التي انهزم فيها نابليون بونابارت في معركة واترلو أمام الحلفاء مما جعل حلمه في جعل الجزائر فرنسية يتبخر[102].

- **مشروع ديبوا تانفيل الثاني 1809م:**

في عام 1809م قدم ديبوا تانفيل مرة أخرى تقريرا إلى حكومته ألح فيه على ضرورة إرسال حملة عسكرية إلى الجزائر و اقترح أن ترسل فرنسا مزارعين فرنسيين إليهما لإنشاء مستعمرات فرنسية و ضمنها تحت اسم بعنوان "حول الجزائر" [103].

ضمن مذكرته بمحيطات هامة تخص الجزائر منها معلومات عن جغرافيتها[104] سماها مملكة و أن امتدادها من وادي الزين بالقرب من القالة شرقا إلى مدينة صغيرة تسمى "ندروما" التي تبعد عن تلمسان بعشرة فراسخ غربا فهي بذلك تشمل على مسافة تقدر بمائتين و خمسين فرسخ هندسي "مملكة تونس" و بلاد البريد من جهة و دولتا المغرب الأقصى وفاس من جهة أخرى أما حدودها الجنوبية فهي صعبة في تحديدها و هذه المملكة تنقسم إلى ثلاث مقاطعات هي: الشرق، الغرب، التيطري[105].

ثم تطرق إلى أنواع السكان[106] فقد أدرج في تصنيفه للسكان الجزائريين الأسرى المسيحيينو العبيد و لقد اقر على رغم تحديد الفئات الاجتماعية فإن مقاليد الحكم كان في فئة واحدة و هي الأتراك، و لقد تطرق إلى شكل النظام السياسي السائد في الجزائر حيث يتكون من 12 عضوا في مقدمتهم الداي و لقد أدرج وكيل الحرج من الموظفين الساميين في الدولة الجزائرية ثم تطرق إلى طبيعة العلاقة بين السكان و الداي هذا الأخير الذي يعين بايا على كل مقاطعة كما ذكرنا سابقا و جرت العادة هو بنفسه إلى الداي مرة في كل ثلاث سنوات لتقديم الأزمة أو ما تعرف باسم "الدانوش" [107].

---

[101] جمال،قنان. معاهدات... مرجع سابق. ص 203.

[102] بوعزة، بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 26.

[103] غالي ،غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 71.

[104] نفسه. ص 71.

[105] بنور، فريد. مرجع سابق. ص ص 191- 192.

[106] غالي غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 71.

[107] بنور فريد. مرجع سابق. ص ص 196- 205.

كما أشاربأن عملة الجزائر هي ريال الدرهم و قد قال فيها بأنها عملة نموذجية قيمتها أقل بكثير من الفرنك كما تطرق إلى مصادر الدخل التي منها الجمارك، عقود الإيجار، القرصنة حسب ديبواتانفيل أما الغرامات[108] فلم يدر بها لأنها في هذه الفترة كانت الدخل الخاص للداي[109].و لقد عرض ديبوا تانفيل لنجاح الحملة العسكرية ضد الجزائر لا بد من استمالة المرابطين و كسبهم لصف فرنسا لأنهم يتمتعون باحترام كبير من طرف السكان [110].

و أنهى التقرير بهذه العبارة "و هكذا فإن عدد قليل من اللصوص (الأتراك) الذين حبذوا في الشرق، غير جديرين بامتلاك وسيلة حقيقية للدفاع و الهجوم فإنهم استطاعوا أن يقهروا ثلاث مليون نسمة و كان قطع كل رأس جزائري يقابله منح مبلغ مالي معتبر و يجردوهم من ممتلكاتهم، و يأسرون نسائهم و أطفالهم. كما أن هؤلاء اللصوص قراصنة تجاه الأمم الأوربية، لقد احتقروها احتقارا شنيعا إذ فرضوا قوانينهم و بكل وقاحة على كل الحكومات الأوربية التابعة لهم. و خرقوا بلا عقاب حقوق الإنسان المقدسة، حيث كانوا ينهالون على الرعايا الأوربيين بوابل من الشتائم و يكبلونهم بالأغلال، و يستعبدونهم بوحشية" [111].

ما يلاحظ في هذا المشروع الثاني لديبواتانفيل أن اليهود في هذا المشروع لم ذكرهم كما أشرنا إليهم بالتفصيل في المشروع الثاني.أما في أهم فكرة تطرق لها و هي عمل فرنسا على كسب المرابطين إلى صفها إنما هو دليل على الملاحظة الدقيقة في الأحداث التي وقعت في فترة قنصليته[112] بحيث عرفت هذه الفترة ثورات و الذين قادوها من رجال الدين و مديري المعاهد و الزوايا مثل ثورة ابن الأحرش التي تزعمها عبد القادر بن شريف بالغرب سنة 1805م[113].

---

[108] لمزيد من المعلومات حول الغرامة راجع: ناصر الدين ،سعيدوني.النظام المالي (1800- 1830). الجزائر: الشركة الوطنية. 1979. ص ص 95، 96.

[109] بنور فريد. مرجع سابق. ص 210.

[110] جمال، قنان. نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830. الجزائر: دار الرائد. 2010. ص 310.

[111] بنور ،فريد. مرجع سابق. ص 228.

[112] نفسه. ص ص (230، 235).

[113] جمال، قنان. نصوص..مرجع سابق. ص ص 310، 311

و بقي هذا المشروع في وزارة الخارجية حيث يتم دراسته خاصة و فرنسا في ذلك الوقت لم تكن تفكر في حملة عسكرية ضد الجزائر نظرا لانهماكها في الأحداث التي عرفتها أورباو من بينها الحصار القاري الذي ضربه نابليون على بريطانيا للقضاء على تجارتها[114].

رابعا : المشاريع الفرنسية في عهد شارل العاشر.

بعد انتهاء مدة حكم نابليون بونابارت و ذلك بسقوطه تبخرت كل المشاريع التي كانت تحضر على نار هادئة و يؤجل بذلك احتلال الجزائر ليصل إلى الحكم شخصية عرفت بأن لها طموح جامح و عزمت على إكمال مشوار المشاريع للوصول إلى الهدف الفرنسي المنشود وهو احتلال الجزائر.

خامسا :المشاريع الفرنسية في سنة 1827م.

- مشروع 8 جوان 1827م **ومشروع كليرمون تونير(** Clemont Tonneurre**)(1757-1792) ومشروع باربي دوبوكاج:**

لم يتم ذكر صاحب هذا المشروع[115] و قد أكد صاحب هذا المشروع على ضرورة الإسراع في احتلال الجزائر لكونها قوة بحرية على الرغم من أن العاصمة محصنة من الجهة البحرية أما طريق الحملة يكون بانطلاق القطعة البحرية من ميناء طولون و تتبعها القطع البحرية الأخرى بذلك يمكن الاستيلاء على القصبة و نهب خزينتها حتى تتمكن فرنسا من تعويض كل النفقات في هذه الحرب[116].و جاءت خاتمة هذا المشروع "بأن الغاية من الحملة هي إذلال أعداء المسيحية و التأكيد على مجد فرنسا" [117].صاحب هذا المشروع يناقض نفسه فهو يعترف من جهة بقوة الجزائر البحرية في حين يؤكد على نجاح هذه الحملة البحرية.

أ- **مشروع كلير مون تونير[118](Marquis de clerment-tonnerre)** 14 أكتوبر 1827:

---

[114] بنور فريد. مرجع سابق. ص 237.

[115] بنور، فريد، مرجع سابق، ص ص 500- 502.

[116] بوعزة، بوضرساية و آخرون، مرجع سابق، ص ص 28- 29.

[117] لقد عرفت فرنسا سنة 1827م حادثتين أولها مسألة الدين الذي لبكري على الخزينة الفرنسية و ثانيا قضية المروحة ليتم تصعيد هذا الوضع ليصبح أزمة و هذا ما كانت فرنسا تبحث عنه. ينظر : جمال ،قنان. قضايا و دراسات.... مرجع سابق. ص 59.

[118] الماركسي ديك ليرمون تونير وزير الحربية الفرنسية قدم مشروعا حول احتلال الجزائر سلمه بدوره إلى الملك شارل العاشر. أنظر بوعزة بوضرساية. ص 36.

مكان مهما يثبت أهمية مشروع بوتان في عهد نابليون بونابارت كما سار معه في بعض تفاصيل مشروعه[119].جاء في بداية مشروعه خطاب للملك شارل العاشر قائلا "سيدي إن الحرب قائمة مع الجزائر فكيف نستطيع إنهائها نهاية مجدية و مجيدة لفرنسا؟ هذا هو السؤال الذي سوف أسعى إلى التفكير فيه" [120].كما أكد بأنه يوجد على امتداد الشواطئ الجزائرية مراسي جيدة سيكون الاستيلاء عليها منفعة لفرنسا [121].

و يؤكد بأن الحملة على الجزائر هي حق من حقوق الملك شارل العاشر حيث يصنفها بأنها حرب صليبية هيأتها العناية الإلهية ومن واجب الملك الفرنسي أن ينفذها لآن الله أختاره لأخذ الثأر من أعدائه[122].

تضمن هذا المشروع إغراءات لأصحاب رأس المال و المراكز الصناعية في القصبة من كنوز متراكمة تزيد على ما قيمته 100 مليون فرنك بالإضافة إلى توفير الجزائر على موانئ لبناء السفن بالإضافة إلى مناجم الحديد والرصاص و جبال الملح و المواد الكيميائية الأخرى كما أشارإلى العسكريين و مطامعهم و ذلك بالتوصية لإقامة مستعمرات عسكرية فرنسية في الجزائر[123].في النهاية قررت حكومة فرنسا عدم الأخذ به [124].

ب- مشروع باربي دوبوكاج[125] (Jean-senis Barbie du Bacage) 30 أوت 1827م:

لقد افتتح مشروعه بالحديث عن حكومة بلاد المغرب بصفة عامة و الجزائر بصفة خاصة و اعتبرها خارجية بعيد جدا عن القوانين الإنسانية كما ذكر بأن الجزائر لها تجارة و هي في الأساس تعتمد على السلب و النهب و القرصنة و هذه الأخيرة هي مصدرها الوحيد و قد نادى

---

[119] أبو القاسم ،سعد الله. محاضرات.... مرجع سابق ص 26.

[120] بنور، فريد. مرجع سابق. ص 560.

[121] العربي ، أسيودان. مدينة الجزائر تاريخ عاصمة. ترجمة: جناح مسعود. الجزائر: دار القصبة. 2007 (د ص).

[122] بوعزة، بوضرساية. مرجع سابق. ص 46.

[123] بسام ، العسلي. مرجع سابق ص 26.

[124] بنورن فريد. مرجع سابق. ص 564.

[125] من مواليد 28 أفريل 1760 بباريس من عائلة نورمندية الأصل في عام 1802م كلفة وزارة الحربية برسم خريطة موري (البلوبوناز) و في 1805م عين عالما جغرافيا بوزارة العلاقات الخارجية و في 1807 كان عضوا في أكادمية فلورنس كرس حياته لخدمة العلوم و في 30 أوت 1827 سلم لوزارة الخارجية مشورعه. أنظر بنورن فريد. مرجع سابق.ص ص 547-548.

بضرورة الحملة البحرية و يكون تنفيذها سريعا و قد تلخص مخططه العسكري في النزول في إحدى النقطتين تنس أو شرشال، و الزحف عبر جبال و سهول مليانة ثم سهل متيجة للوصول إلى المرتفعات الجنوبية التي تطل على مدينة الجزائر[126].

و الاستيلاء على الجزائر يتطلب حسب مشروعه 40 ألف عسكري لاحتلال الأراضي الجزائرية كلها مما يساعد على فرض فرنسا سيادتها م ثم ضم الجزائر إليها نهائيا[127].

زود باربي دوبوكاج مشروعه بخريطتين الأول تمثل مقاطعة الجزائرو الثانية عبارة عن مخطط لمدينة الجزائر و ضواحيها[128].

ج- مشروع لوفيردو[129] (Loverdo) جوان 1827م:

كلف هذا الجنرال بإعداد مشروع الذي إحتوى على المعلومات التاريخية و الجغرافية و الإحصائية و العسكرية التي تهدف إلى القيام بحملة ضد الجزائر و قد أنهى عمله خلال ثلاثة أشهر و لكن الحكومة الفرنسية لم تقرر الحملة و اكتفت بالحصار نظرا لحوادث اليونان أي وجود الأسطول الفرنسي في اليونان[130]. تم ذكر هذا المشروع من قبل أبو القاسم سعد الله فقط.

د- مشروع ليني دوفيلفيك[131](1766-1851) (Jacques Laine de villevêque Gabriel) 10 جويلية 1827م:

أهم النقاط التي تعرض لها هذا المشروع هي الدعوة إلى معاملة السكان معاملة حسنة حتى يتمكن الجيش الفرنسي من الحصول على كامل الضروريات حيث صرح صاحب هذا المشروع قائلا "و بحسن معاملتنا للسكان، و دفع لهم ثمن كل ما سوف نكون بحاجة إليه، فإن لا شيء ينقصنا" كما قدر عدد الجيش المشارك في الحملة من 20.000 إلى 25.000 جندي على الأقل

---

(126) نفسه. ص ص (548-550)

(127) بوعزة ن بوضرساية و آخرون. مرجع سابق، ص 32.

(128) بنور، فريد. مرجع سابق. ص 554.

(129) و هو الجنرال الذي كلف في جوان 1827م بإعداد مشروع لاحتلال الجزائر إضافة إلى أنه عين رئيسا للجنة العسكرية. أنظر بنور فريد.مرجع سابق. ص ص 568-569.

(130) أبو القاسم، سعد الله. محاضرات.... مرجع سابق ص 25.

(131) ولد عام 1767م و توفي في جانفي 1815م امتهن السياسة و مارس النشاط الدبلوماسي منذ وقت مبكر و خاصة في بداية عهد القنصلية و هو ينتمي إلى الحزب الليبرالي فكان يمثل الاتجاه المعارض لحكومة فيلال في ذلك الوقت عارض الحصار البحري للجزائر لأنه يثقل كاهل خزينة فرنسا و نادى بضرورة حملة عسكرية و استعمار القطر الجزائري برمته. أنظر بنور، فريد. ص ص 504-506.

كما عرج إلى نقطة هامة و هي مكان نزول الجيش الفرنسي حيث اقترح "خليج" تمانفوست[132] إضافة إلى خليج غرب العاصمة و لكنه لم يذكر اسم المنطقة بالتحديد و اعتبرها هي المكان الأنسب نظرا لخلوها من التحصينات[133].

فجوهر هذا المشروع هو ربط الجزائر بفرنسا بصفة كاملة و ذلك بتذويب المجتمع الجزائري من خلال سن قوانين تسمح بدمج الجزائريين في المجتمع الفرنسي[134].

هـــ- مشروع كولي كولي[135] (Joseph Collet) 10 أوت 1827م ومشروع

لقد اقترح كولي للباشا ثلاث اقتراحات و هذا بعد حادثة المروحة كان الأول أن يستقبل الباشا القبطان و رئيس أركانه و القنصل بمحضر الديوان و القناصل الأجانب و يعتذر أمامهم إلى دوفال و الثاني أن يرسل بعثة إلى الأسطول الفرنسي للاعتذار من دوفال و الثالث أن يرفع العلم الفرنسي على جميع القلاع الجزائرية أن تطلق مائة طلقة تحية له و طلب الرد و الذي هو اختيار واحد من ثلاث اقتراحات خلال أجل أقصاه 24 ساعة و لما رفض الباشا تم إعلان كولي الحصار في 16 جوان 1827م[136].

لقد تطرق في مشروعه هذا إلى إتباع الحملة البرية لأن مآل الحملة البحرية هو الفشل[137].ونظر الثغرات الموجودة في هذا المشروع أوإلى قلة المغلومات فيه فانه دعى إلىضرورة العودة غلى مشروع بوتان لما يحمله هذا الأخير من أهمية سواء لفرنسا أو لأروبا كافة .[138]

---

[132] هي مكان يبعد عن العاصمة بإبعة فراسخ و هو المكان الذي نزل فيه شارل الخامس سنة 1541م. أنظر بنور فريد.مرجع سابق. ص 520.

[133] نفسه.ص ص 516-522.

[134] بوعزةن بوضرساية وآخرون. مرجع سابق، ص 30.

[135] جوزيف كولي قائد سفينة لابروفانس و ذلك في 10 أوت 1827م و هو الذي أوكلت له مهمة فرض الحصار البحري في 16 جوان 1827م إلى غاية 1830م. أنظر بوعزة ن بوضرساية. ص ص 31-32 .

[136] أبو القاسم، سعد الله. محاضرات.... مرجع سابق ص ص (24-25).

[137] بنور، فريد، مرجع سابق، ص 546.

[138] بوعزة ، بوصرساية.مرجع سابق.ص30.

و- **مشروع دوبوتي تووار(1793-1864)[139] (Abel aubert dupetit thouars)** 20 سبتمبر 1827م:

كلف الضابط دوبوتي تووار بإعداد مشروع فقد قام بعدة دراسات حول الجزائر و سواحلها و مدى أهميتها لفرنسا و على هذا الأساس أعد تقريرا مفصلا إلى وزير الحربية أكد فيه على أن تتولى فرنسا حملتها العسكرية لوحدها دون العودة إلى أي دولة و قد حدد عدد القوات الفرنسية لحوالي 25 ألف عسكري[140].

كما دعى إلى ضرورة إشراك الجيش البري و البحري و قد كان ضد الإجراء الذي اتخذته بلاده و الخاص بضرب الحصار البحري على مدينة الجزائر و هو من أنصار الحملة البرية و لقد حدد نقطتين للنزول الأولى غرب مدينة الجزائر "سيدي فرج" و هي الأهم و الثانية في شرقها "الضفة اليمنى لوادي الحراش" و بناء على ذلك فإن الجيش ينقسم إلى قسمين و ضرورة تقسيم الأسطول إلى ثلاثة قطع القطعة الأولى مكلفة بالهجوم بحرا على مدينة الجزائر و تدمير كل تحصيناتها و قطعتان مكلفتان بإنزال الجيش في سيدي فرج و في الظفة اليمنى لوادي الحراش[141].تم إعداد هذا المشروع بناء على مهاجمة الجزائر من البحر لكن الحكومة الفرنسية لم تأخذ به[142].

ز- **مشروع شابرول[143] (Le conte Chabvol Krouzol) 22 أوت 1827م:**

لقد وردت نفس الأفكار تقريبا التي جاءت في مشروع دوبوتي تووار[144] بحيث حث على ضرورة الإسراع في احتلال الجزائر بقوة عسكرية و ضمها للتاج الفرنسي و كان كسابقيه من دعاة الاحتلال الكلي و الشامل للجزائر[145].

---

[139] من مواليد 15 أوت 1793م و توفي في باريس يوم 16 مارس 1864م قام بسبعة عشر جولة بحرية في شمال إفريقيا لذا اطلع على أخلاق و عادات بلاد المغرب. أنظر بنور ،فريد.مرجع سابق. ص 554.

[140] أبو القاسم ، سعد الله. محاضرات في ... .مرجع سابق ص 26.

[141] Alfred Nettement. pp .568-569.

[142] بسام، العسلي. مرجع سابق. ص ص (55-56).

[143] هو الكونت شابرول كروزول وزير البحرية أعد مشروعا في 22 أوت 1827م و سلمه إلى الملك شارل العاشر. أنظر بنورن فريد. مرجع سابق.ص 559.

[144] نفسه. ص 559.

[145] بوعزة ،بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 33.

كان لمشروعه جانب اجتماعي حيث تطرق إلى تركيبة المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة فاستهلها بفئة الأتراك ثم الكراغلة و بعدها العرب من الحضر و اليهود دون أن يشير إلى العنصر البربري الذي مزجه بالعنصر العربي ليس عن قصد لكونه كان يؤمن أن نجاح الحملة يكون بمساعدة سكان الجزائر الذين يكرهون الحكم التركي لذا فستكون لهم فرصة للانتقام من الجزائر[146].

سادسا: مشروع بيار دوفال (Pierre Duval) "1819- 1827":

يتضمن مشروعين عسكريين الأول أعده في 1819م و الثاني في 1827م [147].ففي مشروعه الأول الذي في 1819م الذي أعد قبل حادثة المروحة بسبع سنوات و قد أكد فيه على ضرورة الاستيلاء على الجزائر و منها يتم استعمار الأراضي المجاورة للجزائر و بالتحديد بلدان المغرب العربي و هذا ما أشار إليه بقوله "إن سقوط الجزائر في أيدي الأوروبيين سينجر عنه القضاء على القرصنة و هذا بدوره يؤدي إلى السيطرة على الدول البربرية" [148].

أما مشروعه الثاني الذي كان في 1827م فكان تنفيذا للأمر الصادر من وزير البحرية و المستعمرات الفرنسية شابرول و قد تطرق فيه إلى أهم الأحداث التي عاشها و عاصرها كقنصل فرنسا في الجزائر ابتداء من 1815م و قد حدد منطقة النزول الأولى تكون غرب المدينة و هي أساسية و أما النقطة الثانية و هي ثانوية في شرق المدينة في الشاطئ الممتد من وادي الحراش إلى برج البحري[149].

سابعا :المشاريع الفرنسية من سنة 1828م إلى1829م.

أ- **مشروع دي لافروني**[150] (de la Ferronys) 19 جانفي 1828م:

---

[146] بوعزة ، بوضرساية. سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830. 1930 و انعكاساتها على المغرب العربي. الجزائر: دار الحكمة. 2010. ص 45.

[147] بنور ، فريد. مرجع سابق. ص 526.

[148] [2]بوعزة ، بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 31.

[149] غالي ، غربي و آخرون. مرجع سابق. ص 77.

[150] لقد تولى عمل قنصل عام سبانت بيرسبورغ بروسيا لمدة 7 سنوات فأصبح من المناصرين لروسيا أعد هذا المشروع في فترة حكومة مارتينياك. أنظر بنور ن فريد. مرجع سابق. ص ص (565-575).

أعد لافروني تقريرا حول الجزائر و هذا التقرير الذي يحتوي على ثمانية أوراق مكتوبة من الوجه هو عبارة عن "ملاحظة حول الحرب الحالية مع الجزائر" فقد تناول في البداية موضوع الحصار الذي ضربته فرنسا على الجزائر و الذي لم يكن له أي نتيجة إجابية [151].و حث على ضرورة الإسراع في احتلال الجزائر و ضمها إلى الأراضي الفرنسية و تفويت الفرصة على بريطانيا التي سعت و ما زالت تسعى لضم الجزائر مثال حملة اللورد إكسموث عام 1816م. و من أهم الأقوال التي وردت في مشروعه "في هذه الحالة يبدو أن الحملة البرية هي الوسيلة الوحيدة و الناجحة التي بقيت لنا لمعاقبة وقاحة الجزائريين" [152].

لم يرسم صاحب هذا المشروع مخططا عسكريا للاستيلاء على الجزائر[153].

ب- مشروع اللجنة العسكرية [154] (10 أكتوبر 1828م):

اعتمدت هذه اللجنة في إعداد مشروعها على المشاريع الاحتلالية السابقة و على رأسها مشروع بوتان و قد كان عملها عسكريا بحتا [155].

لقد حددت اللجنة الزمن المناسب للحملة و ذلك بعد القيام بحصار على مدينة الجزائر فحصرت الحملة في الأشهر التالية (ماي، جوان، جويلية، أوت) و لقد عينت سيد فرج كنقطة للنزول كما حددت نفقات الحملة البرية بـــ: 30.000.000 فرنك فرنسي[156].

حكومة فرنسا آنذاك منشغلة في الحرب في المورة[157] اليونانية لذا أجل تنفيذ هذا المشروع[158].و يقضي هذا المشروع بأن تتحرك قوات مصرية يعززها الأسطول الفرنسي من البحر لغزو طرابلس و تونس و الجزائر و إقامة نظام متحضر فيها و حكومة تخدم مصالح فرنسا[159].

---

[151] نفسه.ص 565.

[152] بوعزة ، بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 34.

[153] بنو، ر فريد. مرجع سابق. ص 567.

[154] هذه اللجنة قام وزير الحربية الفرنسي دي كو بتشكيل لجنة لوضع أرضية للحملة و لقد كان لوفيردو هو رئيس اللجنة حيث تتكون من خمسة أعضاء: بيرج، فالازي، الأميرال ماكو، توبينيي و أخيرا رونولت. أنظر بنور فريد. ص ص (568-569).

[155] بوعزة، بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 35.

[156] بنور، فريد. مرجع سابق. ص ص (571-572).

[157] و هناك من يطبق عليها إسم موري Morée و هي بجنوب اليونان.

[158] غالي ، غربي و آخرون. مرجع سابق ص 78.

[159] محمد، زروال. العلاقات... مرجع سابق. ص 142.

ج- **مشروع دولا بروتونير**[160] (de la Bretonniere) 02 أفريل 1829م:

فقد رأى كغيره أو ما يقيه في وضع المشاريع أن الحصار غير كاف فاقترح قوات بحرية و جمع عدد كبير منها لتدمير الجزائر كما أدى إلى اختيار قادة ذوي خبرة و يرى صاحب المشروع بأن التحضير لهذه الحملة يجب أن يبدأ في شهر ديسمبر 1829م لكي تكون في أتم الاستعداد لإبحار من ميناء تولون في شهر ماي من السنة المقبلة أي 1830م و نصح بالعبور على جزر البليار و بالذات على ميناء ماهون لتسهيل عملية نقل العتاد العسكري و الجيش[161].هو آخر مشروع على عهد الملك شارل العاشر[162].

و لقد كان صحيحا لابروتونيير في وجهة نظره فانطلاق الحملة الفرنسية في شهر ماي سنة 1830م و ذلك من ميناء تولون و مرت من جزر البليار و انتهت باستيلاء على الجزائر[163].

نلاحظ أن الإدارة الفرنسية أولت اهتماما بالغا بالمسألة البربرية في مشاريعها الرامية لاحتلال الجزائر و هذا تأكيد آخر بأن الحقد الصليبي للإسلام هو دفين بحيث يعود إلى الحروب الصليبية السابقة بين المسلمين و المسيحيين[164].

فقد حاولت الدبلوماسية الفرنسية أن تثبت أن الحصار جاء نتيجة لحادثة المروحة التي حبكتها و التي بداية للقطيعة في العلاقات و لكن الحقيقة أنه تم الإعلان عن نية الحصار البحري قبل هذه الحادثة بخمسة أشهر أي بالضبط ديسمبر 1826م و قد وجدت في حادثة المروحة دعما لها[165].لذا كلفت الأميرال كولي بتقديم مطالب فرنسا إلى الحكومة الجزائرية و قد أسمتها بشروط الترضية[166].

د. مشروع بيار دوفال (**Peirre Duval**) "1819- 1827":

---

[160] قائد العمارة البحرية الفرنسية و قدم مشروع في 02 أفريل 1829م و قد جاء إجابة لاستفسارات حول الجزائر التي طلبها منه وزير الحربية الفرنسي البارون دونوفيل في 20 و 23 أفريل 1829م و قد بقي في الجزائر حوالي 7 شهور. أنظر بوعزة، بوضرساية ص 35.

[161] بنور، فريد. مرجع سابق. ص 578.

[162] بوعزة، بوضرساية و آخرون. مرجع سابق. ص 35.

[163] بنور، فريد. مرجع سابق. ص 579.

[164] بوعزة ،بوضرساية . السياسة..مرجع سابق. ص 42.

[165] أحمد ، سليماني. تاريخ مدينة الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. (د س ط). ص 83.

[166] ناصرالدين ، سعيدوني. النظام المالي.... مرجع سابق. ص 81.

يتضمن مشروعين عسكريين الأول أعده في 1819م و الثاني في 1827.في مشروعه الأول سنة 1819 ا أعد قبل حادثة المروحة بسبع سنوات. و قد أكد فيه على ضرورة الاستيلاء على الجزائر و منها يتم استعمار الأراضي المجاورة للجزائر و بالتحديد بلدان المغرب العربي و هذا ما أشار إليه بقوله "إن سقوط الجزائر في أيدي الأوروبيين سينجر عنه القضاء على القرصنة و هذا بدوره يؤدي إلى السيطرة على الدول البربرية". أما مشروعه الثاني الذي كان في 1827م فكان تنفيذا للأمر الصادر من وزير البحرية و المستعمرات الفرنسية شابرول و قد تطرق فيه إلى أهم الأحداث التي عاشها و عاصرها كقنصل فرنسا في الجزائر ابتداء من 1815م و قد حدد منطقة النزول الأولى تكون غرب المدينة و هي أساسية و أما النقطة الثانية و هي ثانوية في شرق المدينة في الشاطئ الممتد من وادي الحراش إلى برج البحري.

وصل هذا الأخير إلى ميناء الجزائر في 13 يونيو 1827م يحمل معه عدة شروط منها:

- أن يرسل الداي وفدا من كبار الموظفين برئاسة وكيل الحرج إلى الأسطول الفرنسي ليقدم اعتذارات الداي إلى القنصل "دوفال".
- أن ترفع الراية الفرنسية على القلاع الجزائرية.
- إطلاق مائة طلقة مدفعية تحية للأسطول الفرنسي.

و ذلك خلال أجل أقصاه أربع و عشرين ساعة[167].

[167] أرزقي، شويتام. نهاية الحكم العثماني... مرجع سابق. ص ص (106-107).

الفصل الخامس

صورة الجزائر السياسية والعسكرية والاقتصادية في الكتابات الإسبانية

أولا : الكتابات العسكرية حول الاحتلال الإسباني :

ثانيا : كتابات الأسرى الإسبان :

1- ميغال دي سيرفانتيس سافيدرا

2- ديغو دي هايدو (Diego de Haedo) :

3- مارمول كربخال

أ- الحياة الاقتصادية بالجزائر:

أولا: الزراعة:

ثانيا: الصناعة:

ثالثا: التجارة:

رابعا: الضرائب:

ب: الجهاد البحري:

ج : الحياة الاجتماعية بالجزائر

د: الحياة الثقافية بالجزائر

ثالثا : الجزائر في عيون الإسبان في ضوء الراهبين فرنشيسكو خيميناث و مالغور غارثيا نفاراو

1- السكان في أيالة الجزائر:

2- الأسرى الأوروبيين

الفصل الخامس

صورة الجزائر السياسية و العسكرية و الاقتصادية في الكتابات الإسبانية

تميزت الحياة السياسية في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر، بعدم الاستقرار و توالي عدة أنماط من الحكم على السلطة، و يرجع هذا إلى طبيعة الوجود التركي في الجزائر. فسياسة الأتراك اتجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم، كانت تتصف بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه البلدان الخاضعة، مما يجعل الحكم التركي ظاهريا أكثر منه حقيقيا، أما في المناطق النائية فكان مجال تدخل السلطة المركزية يتضاءل نسبيا(1).

كان حكام الجزائر بعيدين عن فكرة التمرد عن إرادة السلطان العثماني الذي كانوا يعتبرونه المرجع السياسي و الروحي الذي يبارك أعمالهم و يرفع من مكانتهم في نظر السكان المحليين، لكن التحول الذي حدث في طبيعة العلاقات العثمانية –الأوروبية في نهاية القرن السادس عشر، و اختلال موازين القوى لصالح الأوروبيين. كانت وراء ازدياد الضعف العثماني و لا سيما إثر معاهدتي كارلوفيتز (Carlovitz) (2) في 1699م مع النمسا و البندقية و بولونيا، و معاهدة اسطامبول 1670م مع روسيا و التي بموجبها تخلى فيها العثمانيون عن بعض أقاليمهم(3).

و قد نتج عن هذا التطور أن ضعفت الروابط بين نيابة الجزائر و السلطة العثمانية، حتى أصبحت الجزائر شبه جمهورية عسكرية(4)، و حسب تعبير نور الدين عبد القادر فإن إيالة الجزائر "لا يربطها بالدولة العثمانية سوى رباط ديني و وازع أدبي"(5).

---

(1) محمد خير،فارس،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دمشق: مطابع ألف باء، الأديب،1969،ص 54

(2) يعتبر الكثير من المؤرخين أن هذه المعاهدات كانت وراء أول هزيمة عسكرية للجيش العثماني منذ ثلاثمائة سنة حين هزمهم (تيمور لانك) سنة 1402م.

(3) حول المعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية و انعكاساتها على مصير السلطة، راجع: عبد الكريم، رافق: العرب و العثمانيون، (1516-1916)، دمشق: مطبعة ألف باء، 1974، ص 117-119.

(4) Pananti, Relation d'un séjour à Alger, contenant des observations sur l'état actuel de cette régence, Tra de l'anglais, par M.r Blanquiere, le normant, Paris,1820, P.411.

(5) نور الدين، عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورهما إلى انتهاء العهد التركي، قسنطينة: مطبعة البحث، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965، ص 86.

و مما زاد في استقلالية الجزائر و حكامها عن الدولة العثمانية، أن أصبح الدايات يعتبرون أنفسهم كخلفاء للباب العالي فقط بعد أن كانوا تابعين له، و وصلت بهم الجرأة أن يقوموا بالاتصال بالدول الأوروبية، دون اعتبار لمصلحة السلطةو أصبح ممثلو الدول الأوروبية لدى الجزائر و إيالات الغرب (طرابلس الغرب و تونس)، يتجاهلون السيادة العثمانية في تعاملهم مع هذه الإيالات، و لا سيما ممثل فرنسا الذي أصبح يلقب منذ بداية القرن التاسع عشر بالمكلف بالأعمال، و هذا ما جعل طبيعة العلاقات بين الجزائر و فرنسا تكتسي صبغة خاصة.[6]

يتضح لنا مدى استقلال الكيان الجزائري عن الدولة العثمانية، من خلال إلغاء منصب الباشا الذي فرضه السلاطين على الدايات، سنة 1711م، "عندما منع الداي علي شاوش، إبراهيم باشا مبعوث الباب العالي من دخول الجزائر بحجة تسببه في إثارة القلاقل" .[7]و قد تجسدت هذه الاستقلالية في نجاح علي شاوش الحصول على لقب الباشا من السلطان بفضل الهدايا و سياسة الأمر الواقع.[8]

انحصرت مظاهر تبعية الجزائر للدولة العثمانية في تلقي الخلعة و تبادل الهدايا و توجيه الرسائل التي تصبغ على السلطان العثماني ألقاب: السيد و الرئيس و ولي نعمة داي الجزائر[9]. و بفعل هذه الأحداث و التغيرات، شهدت الحكومة التركية العثمانية بالجزائر أربعة أشكال من الأنظمة السياسية، انفرد كل واحد منها بمواصفات بسبب الوضع الدولي للإيالة الجزائرية. ومن هذا الأساس سوف نتعرف على طبيعة الكتابات الفرنسية و تقديمها للصورة السياسية و العسكرية و الاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني.

كانت المادة المصدرية متنوعة من خلال توظيف الكتابات الفرنسية في التعامل مع الدراسات. ولعله من الدلالة بمكان أن نشير عن الكتابات في المدونتين التي تباينت من مترجمي الجيش الفرنسي إلى العسكريين ثم الكتاب الهواة لتنتقل فيما بعد إلى الأكاديميين والمتخصصين.

---

(6) idem

(7) ibid, P.194

(8) حول موضوع استقلالية الجزائر عن حكومة الباب العالي، و تغيير المناصب، راجع الدراسة القيمة:
ERNEST, WATBLED, « Pachas-Pachas-Deys », in, R.A (N°17), 1873, PP.438-443.

(9) E. Kuran, « la lettre du dernier Dey d'Alger au grand-vizir de l'Empire Ottoman », in, R.A (96), 1952, PP.194-195.

يعتبر القرن السادس عشر بالنسبة للتاريخ المغاربي، قرنا محوريا إذ شهد تحولا كبيرا جدا على جميع المستويات، وإذ عرف بقرن المجابهات الحربية بين مختلف الأطراف، فهو ولا شك قرن التحولات الضخمة في الأنظمة السياسية والاتصالات المباشرة والبعثات التي حصلت بين أطرافه عبر البحر الأبيض المتوسط، وهو أيضا قرن التحالفات الظرفية والمنافع العاجلة[10]،بالإضافة إلى ذلك فهو قرن يستحيل معه فصل السياسة عن الدين و على الأخص ما كان متعلقا منه بملف الصراع الإسباني- العثماني، حيث وجب أن لا يغيب عنا أن الدين قد أثر على فكر وسلوك الإنسان خلال القرن السادس عشر سواء أكان عثمانيا أو إسبانيا أو أوروبيا، وتلك هي الحقيقة التي تشرح لنا طبيعة الأحداث والصراعات السياسية والعسكرية بالبحر الأبيض المتوسط الغربي.

وعليه فإن منتصف القرن السادس عشر، قد تميز ببروز درغوث رايس وعلج علي واندري دوريا، الذين يعتبرون شخصيات محورية و هي شخصيات طبعت أحداث المغرب العربي بما لها من عبقرية أهلّها لتبني خطط واضحة ومدروسة لتحركها السياسي والعسكري[11].

ففي المغرب العربي كانت ظاهرة الصراع الدائم بين القوى السياسية المنقسمة على نفسها وبين القوى المحلية ذات الطابع القبلي أو الديني، قد عمقت ظاهرة الانحطاط والتفكك والفوضى السياسية: هكذا يعطينا المغرب في نهاية القرن الخامس عشر صورة انحطاط سياسي وعسكري وتدهور اقتصادي. فالعائلة الحفصية كانت ضعيفة وغير قادرة على السيطرة على القبائل ولم تمتد سيطرتهم السياسية إلاّ على تونس وضواحيها، في حين كان فضاؤهم الجغراسياسي الواسع، عرضة ومجالا للتوسع المحلي والأجنبي، أما دول المغرب الأقصى فكانت تتمتع ببعض القوى السياسية والعسكرية أهمها تلك التي تمركزت في فاس. أما المغرب الأوسط (الجزائر)، فقد كان عبارة عن مستنقع سياسي، وهو الذي سيصبح الإيالة التي تحكمها جماعة البحارة الأتراك العثمانيين، وستصبح عاصمتها مدينة الجزائر. ولكن هذا لم يحدث بدون صراع

---

[10] إن البحوث و التأليف عن القرن السادس عشر المتوسطي ضئيلة نسبيا. و هذا بدءا برسالة بروديل ثم عديد المقالات المنشورة ب Revue Africaineو المجلة التاريخية المغاربية و كراسات تونس و غيرها من المجلات.

[11] عبد الجليل التميمي "التشكل الإداري و الجغراسياسي للأيالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب (1557-1588م).في كتاب تحية تقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو (جمع و تقديم: د.عبد الجليل التميمي)، زغوان: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، ج2، أكتوبر-نوفمبر ،1997م، ص452.

القوتين الصاعدتين في القرن الخامس عشر في طرفي البحر الأبيض المتوسط و نعني بهما المملكة الإسبانية و الدولة العثمانية[12].

كان التعصب الديني، و الرغبة في نشر المسيحية وكذلك الرغبة في زحزحة حدود الإسلام يدفع الإسبان منذ أواخر القرن الخامس عشر، و طوال القرن السادس عشر إلى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال إفريقيا [13]، فخرجت القوات الإسبانية لاحتلال مختلف الموانئ الجزائرية والتونسية وطرابلس الغرب، وكذلك فعلت البرتغال بالشواطئ المغربية[14].يقول بروديل: "إن الحروب الإسبانية في إفريقيا أخذت صبغة الصليبية الحقيقية، وذلك نظرا للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت، فالكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بكل ما لديها من حماس ومن الجرأة في هذه المعركة، معركة خاصة بها "[15].

إن سقوط غرناطة سنة 1492م، قد عجل بانطلاق الطاقات الإسبانية نحو مغامرات ما وراء البحار. وقد كانت إفريقيا على قربها الشديد الاختيار المنطقي الأول في هذه الاستراتيجية. وفي الوقت نفسه فإن هجرة الموريسكيين قد خلقت التأزم ووفرت سببا لتعليل التدخل الإسباني[16]. وقد انطلقت في سنة 1505مالأرماردا[17] الاسبانية لاحتلال كل من المرسى الكبير عام 1505 م ووهران 1509مو بجاية وطرابلس عام1510م والجزائر عام1511.

---

[12] جوب. ب (وولف)، الجزائر و أوروبا 1500-1830 (ترجمة و تعليق: د. أبو القاسم سعد الله)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ص 23-24.

[13] Braudel, « les Espagnols en Afrique du Nord de 1492 à 1577 », in R.A(49),1928, pp.198-199.

[14] كللت المساعي البابوية بروما بالنجاح بإبرام اتفاق بين اسبانيا و البرتغال عام 1494(اتفاقية Tordesillas)، تم بمقتضاه تقسيم العالم الغير أوروبي إلى منطقتي نفوذ بينهما، و كان المغرب المتوسطي من نصيب الاسبان في هذه القسمة بعد معاهدة فيلا فرنكا سنة 1509. و باركها البابا (Alexander Viborgia)،(1492-1503). فكان الاحتلال الإسباني على الشكل التالي: المرسى الكبير(1505)،وهران(1509)،تنس(1507)،بجاية(1510)،الصخرة(1511). و كان لهذا الاحتلال انعكاسات سياسية و اقتصادية خطيرة. للمزيد راجع: محمد ،دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر(1512-1543)،ط2،الجزائر: شركة الأصالة للنشر و التوزيع،1434هـ/431،2013ص.

[15] F.Braudel; op; cit; P. 201

[16] وليم، سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، (تعريب و تعليق: د. عبد القادر زبادية) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980م، ص 27.

[17] كلمة إسبانية تعني الجيش البحري الكبير العدد و العدة.

أما بقية الموانئ الجزائرية وأهمها دلس وشرشال ومستغانم فقد قبلت دفع الجزية والتخلي عن نشاط القرصنة. وتمكن بدرونافارو Pedro Navarro من بناء قلعة في إحدى الجزر التي تحمي ميناء الجزائر وأطلق عليها اسم البنيون Penôn(الصخرة).[18]

تتمثل أهداف هذا الاحتلال في قطع الطريق أمام الأندلسيين الفارين و عزلهم داخل إسبانيا. كما يتضمن برنامج الإسبان بعد هذا الاحتلال في تعمير هذه المدن بالإسبان وجعلها مدنا مسيحية. والملاحظ أن نفقات إسبانيا على هذه المستعمرات كانت تغطيها من نفس المنطقة عن طريق الضرائب التي تفرضها على السكان، و بذلك كان يسهل عليها التحكم فيها.[19]
ومن هذا المشهد السياسي نستخلص العناصر التالية:

ليس هناك دولة مركزية موحدة، قوية ومعترف بها بالمغرب العربي.غياب شبه كلي للدفاع عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين وتحقيق المشاريع التوسعية. مع بروز البحارة الشرقيين والموريسكيين- الأندلسيين[20] الذين اعتبروا قوى بحرية جديدة في الفضاء الجغراسياسي للبحر الأبيض المتوسط الغربي في بداية القرن السادس عشر، وهو الأمر الذي مكنهم من مجابهة ومحاربة إسبانيا ومديد المساعدة للموريسكيين داخل التراب الأندلسي.

ومن هذا المنطلق وابتداء من 1505م وضعت إسبانيا آلية احتلال موانئ: المرسى الكبير و وهران وبينيون الجزائر وبجاية وحلق الوادي وطرابلس الغرب. وقد سعت بذلك لجعل

---

[18] من بين أسباب نجاح الغزو الإسباني على الجبهة المغاربية، الانهيار الاقتصادي الذي شهدته إسبانيا جراء طرد الأندلسيين و اليهود منذ 1492. يضاف إلى ذلك الأطماع الجيواستراتيجية التي تتمتع بها الدول المغاربية على الواجهتين المتوسطية و الأطلسية يضاف إلى ذلك تفكك الجبهة الداخلية من انقسامات سياسية واضحة المعالم في المغرب الأوسط(الجزائر) و ضعف القدرات العسكرية للملكة الزيانية. حول نجاحات الغزو الإسباني ينظر الدراسات التالية:
- عبد القادر، فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و آثاره(910-1206هـ/1505-1792م)،الجزائر: دارهومة للنشر و التوزيع،510،2012ص.
-Fernand, Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philipe II,Paris,Armand colin,2éd,1966,TII,PP.93-96.
-Fey ,Henri Léon,histoire d'Oran,avant,pendant et après la domination Espagnole,Oran,Adolphe Perrier éditeur,1858,pp.29-105.

[19] Elie, de la primaudaie, « Documents inédits sur l'histoire de l'histoire de l'occupation Espagnols en Afrique (1516-1574) », in, R.A (N°20), 1876, PP. 136-150.

[20] للمزيد من التفاصيل حول موضوع الموريسكيين الأندلسيين و هجراتهم إلى الجزائر، راجع: حنيفي هلايلي، الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و 17م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، 1999-2000م.

هذه القلاع، حصونا مسلحة، بهدف مراقبة النشاط المتزايد للأتراك العثمانيين وكذا للموريسكيين.

إن عثمنة المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، قد وردت مبدئيا في إطار مبادرات شخصية، فوصول الأخوين بربروسة[21] إلى السواحل الإفريقية كان وراء عثمنة الفضاءات المغاربية، بدءاً بالجزائر ثم طرابلس الغرب وأخيرا تونس[22].

كانت البانوراما السياسية للمغرب الأوسط تتأرجح بين الضعف السياسي و التجزئة الإدارية و القبلية ويرجع الفضل إلى عروج وخير الدين اللذين نجحا تماما، على إثر مجابهتهما مع النظام الاجتماعي والقبلي السابق في أن يضعا حدا لتلك الانتهاكات ولثورات القبائل، وأن يتمكنا فيما بعد، من إرساء استراتيجية وتحالف بين العثمانيين وشيوخ الطرق الدينية ضد العدو المشترك؛ إن النجاح الذي تحقق، قد أدى حتما إلى تبني تصور سياسي مستقبلي، يقضي بربط الجزائر بالدولة العثمانية، وهو الارتباط الذي رغب فيه بل وطالب به عن طواعية أهالي الجزائر[23] الذين كانت تقضي مضاجعهم الضربات و الهجومات الإسبانية ضدهم.

إن التوغل العثماني بالجزائر سمح بتبني أنظمة إدارية و عسكرية جديدة كما نجح خير الدين في استجلاب وتشريك الأعيان القدماء في تسيير المدينة دون أن يؤدي ذلك إلى منحهم أي نفوذ سياسي، سوف يوفر للبلاد خلال الأعوام القادمة، فرصة إعادة عثمنة عنابة وقسنطينة، واسترجاع قلعة البنيون بالجزائر سنة 1529م وهو الأمر الذي كان وراء إرساء الوحدة السياسية والإدارية لإيالة الجزائر العثمانية و التي أصبحت قاعدة عثمانية متقدمة ومحصنة تحصينا جيدا و مؤثرة على مصيرية الإيالات المغاربية الأخرى. إن النجاح العسكري السريع الذي حققه خير الدين بربروسة على تونس الحفصية سنة 1534م، بمساعدة من الأهالي، ثم الهزيمة الشنيعة التي لحقت شارل الخامس في حملته ضد الجزائر سنة 1541م، قد أكدت تماما دور إيالة

---

[21] قدم الإخوة بربروسة (عروج، إلياس، إسحاق، خير الدين) من جزيرة ميديلي Medeli مقابل ساحل بحرايجة لتركيا، و قد اتبع هؤلاء الإخوة طريق العمل البحري منذ وقت مبكر.

[22] عبد الجليل، التميمي، المقال السابق، ص.452.

[23] عبد الجليل، التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد6، تونس، جويلية، 1976م، ص 116-120.

الجزائر الحاسم في الاختيارات الإستراتيجية والسياسية والعسكرية لكل الفضاء المغاربي خلال النصف الأول من القرن السادس عشر[24].

أولا : الكتابات العسكرية حول الاحتلال الإسباني :

لقد نشرت دراسة سنة 1875 عبارة عن 114 رسالة تتناول بالتفاصيل الاحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير ومحاولة إسبانيا التوسع على حساب المدن الساحلية الجزائرية ما بين 1506-1574. [25] إذا تصفحنا الإنتاج التاريخي الإسباني حول مسألة وهران والمرسى الكبير، نلاحظ انخفاضا كبيرا في الإنتاج الإستوغرافي مقارنة بالقرن 16م الذي يعتبر قرن الامتياز على غرار القرنين 17و 18م. والمؤلف الوحيد الذي ظل كمصدر أحادي وأساسي للمؤرخين الإسبان والفرنسيين هو لصاحبه سواريز (Diego Suarez)، الذي نشر في نهاية القرن 19م.[26]

ولعل، أهم ما يلفت النظر، عندما نؤرخ لمنطقتي وهران والمرسى الكبير، أن جل المؤرخين الإسبان لم يكن لهم أدنى اهتمام بتاريخ الحامية الإسبانية، بسبب انخفاض السكان الإسبان والجلاء النهائي للتواجد الإسباني بالمواقع الجزائرية منذ 1792. ومن أشهر المؤرخين اهتماما بتاريخ وهران والمرسى الكبيرساندوفال (Ximenez de Sandovale)، وله وجهات نظر استعمارية في تحليلاته التاريخية. وقد عاب كثير على السياسة الإسبانية تجاه المحميات الإسبانية، والتحامل على الحكام العسكريين الإسبان بالمنطقة خلال القرن 18مو الحكم عليهم

---

[24] حول موضوع تأسيس إيالة الجزائر راجع:

جمال، قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م، ص 19-26.

جون، ب (وولف)، المرجع السابق، ص 26-41.

[25] Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1506-1574), publiés par ordre de M. le maréchal de Mac-Mahon, A. Jourdan, Alger, 1875, 323p.

[26] نشر لأول مرة من طرف المؤرخ الإسباني (Guillen de Robles) سنة 1889، ثم نشره وحققه الباحث الجزائري المختص في الإسبانيات:

Malki, Noureddine, Razzia, butin et esclavage dans l'Oranais au XVIe siècle ,d'après le manuscrit de Diego Suarez, dar el Gharb, Oran, 2002.

هناك دراسة قيمة حول أوضاع بايليك الغرب وأحداث المجاعة التي شهدتها المنطقة سنة 1750، و عمليات الاختطاف و الأسرى في السجون الإسبانية بالحاميات العسكرية ينظر:

Luis Fernando Fé Canto, « la grande famine de 1750 dans l'Oranais : d'autres voies vers la captivité et n°87,2013,pp.275-280. cahiers de la Méditerranée, In, l'esclavage »,

بقصر النظر واهتمامهم بالتقاعس ،وأنهم كان السبب الرئيسي وراء غلق منافذ التوسع العسكري الإسباني بالمنطقة.[27]

إذا لامسنا الإنتاج الإستغرافي الفرنسي نلاحظ أنها تمثل أقل شمولية على مستوى الكتابات العسكرية التي تم إنتاجها خلال المرحلة الاستعمارية.

يتضمن برنامج الإسبان بعد هذا الاحتلال في تعمير هذه المدن بالإسبان وجعلها مدنا مسيحية. والملاحظ أن نفقات إسبانيا على هذه المستعمرات كانت تغطيها من نفس المنطقة عن طريق الضرائب التي تفرضها على السكان، وبذلك كان يسهل عليها التحكم فيها.[28] وكان من نتائج هذا الاحتلال مقتل الآلف من الجزائريين و أسرهم من طرف قوات الاحتلال الإسبانية. والواقع أن القضاء على المملكة الزيانية من طرف القوات العثمانية والدخول إلى تلمسان سنة 1556، كان وراء انكماش دائرة الاحتلال الإسباني إلى ما وراء خطوط التماس في وهران والمرسى الكبير، وهذا في إطار سياسة احتلال مقيد بالدفاعات وراء ترسانة ضخمة من الحصون والقلاع شديدة الحراسة .[29]

حاول حكام اسبانيا في المقاطعتين تطبيق سياسة حسن الجوار و مبدأ تعايش الأديان الثلاث (المسيحية ،اليهودية، الإسلام)، فاليهود يعيشون داخل الأسوار والمسلمون خارجا إلى غاية طرد اليهود سنة 1669م. ومع مطلع القرن 17م، تعرضت إسبانيا لأزمة اقتصادية خانقة، أثرت على مواقع حامياتها بالجزائر، حيث لم تستطع خزينة الدولة تغطية العجز الحاصل في دفع جريات الجند المرابط بالحاميات العسكرية مما أقلق حكام المقاطعات الذين كثفوا من عمليات النهب والسلب والسطو على القبائل الوهرانية وأسر الجزائرية، وكان من نتائج هذه الحملات الانتقامية حدوث خسائر كبيرة في أرواح الجند الإسباني. وكنتيجة لثورة الموريسكيين

---

(27) De Sandoval, Ximenez, las inscripciones de Oran y Mazalquivir, madrid, 1867.

(28) Elie, de la primaudaie, « Documents inédits sur l'histoire de l'histoire de l'occupation Espagnols en Afrique (1516-1574) », in, R.A, n °20, 1876, PP. 136-150.

(29) حول نتائج احتلال وهران و المرسى الكبير ينظر: Henri-léonFey, Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination Espagnole, Oran, 1858,pp.142-146. Didier, le général, Histoire d'Oran (1501-1550), imprimerie, Jeanne d'arc, Oran, 1927.p.75.

سنة 1568[30].ضرب الإسبان عملة بوهران حاولوا فرضها على سكان المناطق عنوة. والتعامل بها [31].

استقبلت وهران والمناطق المجاورة لها بعد صدور المرسوم الملكي في سبتمبر 1609(في عهد الملك الإسباني فليب الثالث 1598-1621)،بطرد الموريسكيين من الأراضي الإسبانية وترحيلهم إلى مناطق الحاميات الإسبانية بالجزائر. وقد سجلت الوثائق أنداك وصول حوالي 116022موريسكي.[32]

تفطن الحاكم الإسباني فاليخو (Don Jose Vallejo) لفضاعة الحملات العسكرية الإسبانية في إقليم وهران والنتائج الوخيمة التي تتعرض لها الحامية جراء الأعمال الانتقامية ضد السكان، وشبه هذه الحملات بأنها من الأسباب الرئيسية لتراجع الدفاعات الإسبانية بالمنطقة.[33]وتكررت الهجومات الجزائرية ضد المواقع الإسبانية وخاصة في عهد الحاكم الماركيز دي أردالس (Marquis des Ardales) (1607-1604) والماركيز سانتا كروز(De Santa Cruz del Viso)(1643-1639)، وما بذله الجزائريون من جهود معتبرة في صد الهجومات الإسبانية المتكررة على قبائل المنطقة ومحاولة تحرير المناطق المحتلة، إذ تم حصار المرسى الكبير سنة 1678 ومقتل القائد الحاكم المركيز دي ألقارفيز (de Algarves)، و مقتل الحاكم الكونت براكامونتي (Bracamonté) سنة 1687.

كان الإسبان يدركون خطورة الوضع إبان الاحتلال الثاني لوهران ، فبدأ الحاكم فاليخو في تطبيق سياسة المهادن، وإعادة ترتيب أليات الاحتلال الإسباني من جديد وفق سياسة عمرانية جديدة تهدف إلى مزيد من تقوية الدفاعات بالمنطقة وهيكلة التحصينات استعداد لأي

---

(30) اندلعت الثورة الموريسكية الكبرى في أواخر سنة 1568، في الوقت الذي كانت فيه اسبانيا منشغلة بثورة الأراضي المنخفضة، وتزعمها من طرف فرج بن فرج.وقد قدر عدد الثوار بـــ4 ألاف ثائر. و أعطى الاسم العربي لزعيم الثورة محمد بن أمية. كان من نتائج الثورة صدور قرار 28 أكتوبر 1570 القاضي بنفي الموريسكيين من مملكة غرناطة و مصادرة أملاكهم، و شمل أكثر من 80 ألف موريسكي. للمزيد راجع: عبد الجليل، التميمي،" الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 23-24،تونس، نوفمبر 1981،ص ص 196-198.

(31) Ibid,n°19,1875,pp.187-188.

(32) Henri, Lapyre, Géographie de l'Espagne morisque, Paris : S. E. V. P. E. N. 1959

(33) حكم فاليخو منطقة وهران و المرسى الكبير مرتين، الأولى (1734)، و الثانية (1837-1748)، و يعتبر من أكفأ القادة العسكريين الإسبان في المنطقة. وقد حاول مداهنة الجزائريين و السلطة العثمانية بشتى الوسائل في إطار سياسة التعايش و فتح مجال التجارة مع سكان المناطق المجاورة .

مواجهة، وهذا انطلاقا من الدفات المحيطة بوهران وحمايتها من الجهتين البحرية والبرية: سانت فليب (San Philippe)، والبرج الأحمر (Rosalcazar)، سانت جورجيو (San Gregorio)، سانتا كروز (Santa Cruz)، وسان أندري (San Andrés).

يمكن أن نلحظ أنه بذهاب فاليخو عن المنطقة، غير خلفائه سياسته الرامية إلى إبقاء النفوذ الإسباني في المنطقة وفق إستراتيجية محكمة ، للتحول إلى سياسة عنف ومواجهة ، مما زاد في حماس الجزائريين والإكثار من الهجومات من أجل تحرير المنطقتين القابعتين تحت نير الاحتلال، وهذا بالتحالف مع شيوخ الزوايا والسلطة العثمانية.[34]

والجدير بالملاحظة أن الإسبان منذ احتلالهم للمرسى الكبير (1505) وهران سنة 1509 شرعوا في إنشاء نقاط دفاعية وترميم الأسوار. ومن أهم الإنجازات العمرانية العسكرية التي قام بها الإسبان بوهران خلال القرن السادس عشر أ عمالا لماركيز ديقوماز (De Comarez) ما بين (1518-1535م) والمتمثلة في بناء برج المونة أو برج اليهود وبرج لويس سانتوس(Los santos)).كما قام خليفته الكونت الكوديت (C. D'Acaudete) بتشييد برج سانت تيريز وبرج بوبنيقة (Saint carlos) وفي سنة 1588 متمكن دون بيير دو باديا من إنشاء برج حسن بن زهوة (Saint Grégoire) ،وبرج المرجاجو Sainta cruz.

وبالرغم من قوة التحصينات الإسبانية تمكن الجزائريون من الاستيلاء على المدينة وفتحها بقيادة الباي بوشلاغم سنة 1708م،[35] وعملوا بدورهم على إنشاء بنايات جديدة وترميم المناطق الدفاعية المتضررة بفعل المعارك.وبسقوط مدينة وهران للمرة الثانية بيد الإسبان سنة

---

[34] بينت الأحداث التاريخية أنه عند احتلال وهران للمرة الثانية سنة 1732 من طرف إسبانيا ، لم يكن لقبائل بنو عامر أي تماسك أو اتحاد. ففي سنة 1734 قام كل من رؤساء أولاد علي و أولاد زاير بن دموش و المزوار رفقة 47 دوار بالتقرب من الحامية الإسبانية للفت انتباهها .لكن ردود أفعال قبائل بني عامر الأخرى جعلت الحكومة الإسبانية في مدريد تتراجع و تعزف عن اتخاذ أي تدبير من شأنه التحالف مع هذه القبائل. ينظر:

GORGUOS, « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el Kebir », In, R.A, n°, 185, pp.52-61.

[35] من مميزات الحكم في بايليك الغرب خلال القرن الثامن عشر، هو سيطرة عائلتان على السلطة وهما عائلة **بوشلاغم** التي امتد حكمها من 1696 إلى 1760م مع توقف نسبي من 1738 إلى 1798م وعائلة **محمد بن عثمان** الملقب بالكبير من 1799 إلى غاية 1805م مع انقطاع قصير من 1800 إلى 1805م، ينظر:

Boyer,(P), « introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger », in, Revue historique, n°478,avril-juin 1966, P.214.

1732م، أعاد الإسبان مخططاتها الدفاعية وفق هندسة جديدة، وهذا ما يوضحه تقرير فاليخو الذي حكم المدينة من سنة (1733-1738م)، وأكمل المهندس هنتبات (Hontabat) المخطط في نهاية السبعينات.

ويصف لنا صاحب الثغر الجماني مدينة وهران وحصونها مع إحصاء عامل أسلحتها ومقارنة قوتها الدفاعية فيعهد الباي مصطفى بوشلاغم والإسبان من بعده حيث يقول ما نصه : "ومن جملة حصون هذا البلد قصبتها العظيمة وطباخاتها المتلاصقة المؤدي بعضها إلى بعض إلى غير ذلك من الأبنية التي أتقنوا بناءها وأحكموا وضعها وأكثرها إنما يعرف بلغة النصارى لبعد العهد بينها وبين المسلمين ولاستحداث النصارى دمرهم الله أكثر ما بعد استيلائهم عليها من يد الباي بوشلاغم".

كما يخبرنا ابن سحن ونعن عدد الأبراج المقدرة بنحو ثلاثين بأسلحتها دونالتيلا يعرفها حيث يقول في هذا الصدد: "وهنا كبقية مواضع لم أحفظ أسماءها... وأما المواضع التي وضعت لمجرد الرمي بالرصاص فلا يمكن حصرها وما من موضع من هذه المواضع إلا وفيه نفق يؤدي إلى غيره فمن كان فيها وأراد أن يذهب تحت الأرض إلى أي موضع منها أو من المدينة ذهب".[36]

شيد الإسبان برج المرجاجو(SANTA CRUZ) في قمة جبل هيدور عام1567 م بإيجاز من رجل من بني عامر المناصر للإسبان. وفي أواخر القرن السادس عشر تعرض لهجومات داي الجزائر إبراهيم باشا وبمساعدة قبائل حميان،كما هاجمه الباي بوشلاغم سنة 1708م وأسر به مائة وسبعة رجل وثلاث نسوة حسب رواية الجامعي. ومائة وستة رجل وست نسوة حسب رواية فاي (Fey) .[37]

كما تعرض للهدم أثناء حرب 1732م لكنه جدد في عهد فاليخو سنة 1738 م من طرف المهندس هنتبات الذي يعتبره مكان جيد للملاحظة من بعيد ويسهل عملية الاتصال مع المرسى الكبير ويعمل على حماية برج حسن بن زهوة.وتم فتح هذا البرج للمرة الثانية من طرف الباي محمد الكبير سنة1791م، وقد قال عنه الحلفاوي أثناء هجوم الباي بوشلاغم .

---

(36) أحمد بن محمد بن علي الراشدي،ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، (تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي)،قسنطينة،وزارة التعليم الأصلي، 1973م،ص 201.

(37) Fey,(H.L), Histoire d'Oran avant ; pendant et après la domination espagnole, Oran, 1858, P.76.

وقد كانت أسلحته في عهد فاليخو تتكون من سبعة مدافع برونزية وهونا واحد، أما ابن سحنون فيذكر عدد أسلحته بـــ30 مدفعا. أما برج حسن بن زهوة،(Saint Gregoire) فهو برج محصن تحصين جيدا وقريب من المدينة، يعمل على حماية المرسى الصغير والمرسى الكبير. وقد بناه الإسبان سنة 1588م مكان قلعة وسموه.(El-HACHO) ، أطلق عليه الجزائريون اسم برج اليهود وكانت به حامية بـــ200 جندي وأسلحته تضم 3 مدافع برونزية و11 مدفعا من الحديد، وهاونين. سقط في يد الجيش الجزائري سنة 1708.

كان البرج الجديد (Saint-André)يعرف باسم برج الصبايحية، أنشأه حاكم وهران الماركيز ديكانسانو (De Cansano) مابين (1692- 1697)، قرب باب الجيارة ما بين رأس القصر وبرج رأس العين (وقد تعرض لتخريب عامل أثر انفجار مخزن البارود عام 1769م، وهلكت جميع الحامية الموجودة به، وأعيد بناؤه من جديد من طرف المهندس هنتبات. وكانت أسلحته في عهد فاليخو (1733-1738م)، تتكون من 13مدفعا برونزيا و16مدفعاحديديا ثلاث هاونات بـــ200 رجلا، ولعب دور كبير في هجومات الجزائريين 1708م[38] يعرف البرج الأحمر لدى الجزائريين بالبرج الأحمر. يعتبر من أكبر الأبراج الإسبانية في وهران بما يحتويه من بطاريات وحصون.

تعرض البرج لعدة تغيرات وهذا في عهد الملك فليب الخامس وتواصلت طيلة سنوات 1563-1701م، ويعتبره الاسبان المكان الاستراتيجي لجميع تحصيناتهم إن هي ضم مدفعية قوية قادرة على صد هجومات القبائل، وهو يضم في أسلحته 12مدفعا برونزيا و17مدفعا من الحديد وهاونين. سقط في يد الباي بوشلاغم سنة 1708م وأسر به حوالي 500 شخص. وبعد الاحتلال الاسباني الثاني للمدينة جددوا بنايات البرج وربطوه مع باقي الحصون بأنفاق أرضية تسهل عملية المرور والمواصلات بين الأبراج والتخفيف من الهجومات المرتقبة. أصبحت أسلحته تضم 300 مدفع بعد أن كانت زمن فاليخو لا تتعدى واحد وثلاثين مدفعا وفي سنة

[38] أحمد بن محمد بن علي الراشدي، ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، (تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي)، قسنطينة، وزارة التعليم الأصلي، 1973م، ص 201.

1792م اتخذه الباي محمد الكبير مقر الحكمة. وهناك أبراج كثيرة شيدها الاسبان في المنطقة، كبرج القديس ميكائيل سنة 1740م، وبرج سانتا سنة 1734م، وبرجس انكارلوس، وبرج القديس سان فليب.

أعاد الاسبان تحصين برج المرسى الكبير من جديد، ودعمت أبراج القصبة بأسلحة وهذا ما يشير إليه بستيمو جاقلو (Pestemal-djaglou) الذي يؤكد أن أسلحته أثناء الاحتلال الثاني لا تتعدى سبعة وعشرين (27) مدفعا من الحديد والبرونز، وبطلب من فاليخو أضيف إليه 13مدفعا وصلت سنة 1772م إلى ثمانية وخمسين (58) مدفعا.[39]

وتجدر الإشارة أنه منذ عودة الاسبان إلى احتلال وهران للمرة الثانية عام 1732م فقد فكروا في إعادة احتلال باقي المدن الجزائرية الساحلية، فجهزوا حملة ضخمة عام 1775م، انطلقت أرماداتها من قادس وقرطاجنة وبرشلونة تتألف من 400 سفينة و24 ألف جندي، أسندت قيادتها إلى حاكم مدريد الكونت أوريلي orilly الأورلندي الأصل ولكن الحملة منيت بهزيمة شنيعة أمام القوات الجزائرية في معركة واد الحراش حيث خسرت إسبانيا زهاء 600 جندي وجرح 23000 و5 سفن كبيرة. وقد شاركت جيوش البايليك الجزائرية فيصد هذه الحملة الصليبية، حيث أرسل صالح باي قسنطينة بـــ25 ألف جندي، ومصطفى خزناجي باي التيطري بـــ5 آلاف وباي وهران بـــ20 ألف جندي.[40]

---

[39] للتخفيف من شدة الحصار المضروب على البرج، فكر فاليخو في بناء برجين سنة 1734م، الأول على اليمين وهو برج القديس فارديناند (Saint Ferdinand). ويضم حامية بـــ 100 جندي وعلى اليسار برج القديس شارل (Saint Charles) بحامية تضم 100 جندي و24 قطعة مدفعية، أما برج القديس فليب (Saint, Philippe) فكان يضم 16 مدفعا من البرونز، و12 مدفعا من الحديد و 3 هاونات.للمزيد راجع: A.Pestemaldjoglou, Cazenave, « Contribution »..., op.cit., PP.324-339 « Mers-El-Kebir, histoire et description de la Forteresse », in,R.A(N°84), 1940, PP.160-164.

[40] أعدت إسبانيا ثلاث حملات للانتقام من الجزائر بقيادة الكونت أوريلي ودون انطونيو، وشملت الأول سنة 1775م والثانية 1783م والثالثة 1784م.للمزيد راجع:

E.de la Primaudaie « les Trois attaques des Espagnoles contre Alger, au XVIIIe siècle », in, R.A (N°20), 1876, PP.300-304

ساهمت الحرب الأهلية في رغبة الجزائريين في تحرير المنطقتين من براثن الاحتلال الإسباني. ففي سنة 1708 تم تحرير وهران(20جانفي1708) والمرسى الكبير (3 أبريل 1708) ،من طرف باي الغرب مصطفى بوشلاغم (1708-1732)[41]، وكان التحرير بمثابة انتصار الإسلام على النصرانية و تأييد الحكم العثماني بالجزائر.[42]

لعل ما يؤكد التوجه الجديد في سياسة اسبانيا التوسعية في الجزائر من جديد ، هو بذل الملك فليب الخامس جهده في إعداد حملة عسكرية قوامها 30سفينة حربية محملة بالمدافع ومجهزة بـــ 30ألف جندي بقيادة الجنرال مونتيمار (Montémar) .وكان ذلك في فاتح جويلية سنة 1732 تمكنت اسبانيا من خلالها استرجاع وهران والمرسى الكبير.

---

[41] يعود تاريخ ظهور البايليك كتقسيم إداري وسياسي إلى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، حيث تم تقسيم البلاد إلى أربعة بيليكات تسهيلا للحكم . وقد حدث هذا التقسيم خلال **حكم حسنبن خير الدين**، الذي حكم إيالة الجزائر ثلاثة مرات، الأولى ما بين (1544-1552م) والثانية (1557-1562م) والثالثة (1562-1568م). ففي سنة 1563م اختار الباي ابن خديجة مازونة عاصمة للبايليك، نتيجة موقعها الاستراتيجي والمتمثل في توسطها للقبائل، وأنها تقع بين مستغانم وتنس وقريبة من الشلف. .لقد شكلت كل من المدن التالية عواصم وقواعد هامة، ففي المرحلة الأولى أي قبل القرن الثامن عشر شكلت مازونة عاصمة البايليك وتلمسان قاعدته العامة، ثم تغير الوضع السياسي، ففي القرن الثامن عشر أصبحت معسكر العاصمة سنة 1701م ثم وهران في المرحلة الأول سنة 1708م ثم مستغانم سنة 1732م، بعد ذلك عاد المقر إلى معسكر سنة 1737م، وأخيرا انتقل إلى وهران بعد الفتح الثاني سنة 1792م. إن عاصمة البايليك لم تكن مستقرة بمكان واحد فقد انتقلت من مدينة إلى أخرى، و هذا بسبب وضعيتها الاستراتيجية و العسكرية في مواجهة الأخطار الأجنبية المتمثلة في الاحتلال الإسباني القابع بوهران و المرسى الكبير و التهديدات المغربية المستمرة. ففي البداية كانت مازونة مقرا وخلال تولي **مصطفى بوشلاغم** لجأ إلى الجمع بين مازونة في الشرق وتلمسان في الغرب، وفي سنة 1701م أصبحت معسكر عاصمة البايليك، ثم انتقل بها نتيجة محاصرة وهران من طرف الإسبان وتمكن من تحريرها في عهد الداي **محمد بكداش**(1707-1710)، لكن حكمه له لم يستمر طويلا حيث استعادها الإسبان وهو ما جعله ينتقل إلى مستغانم متخذا منها عاصمة لبايليك الغرب وهذا الوضع استمر إلى غاية وفاته.ويعتبر بوشلاغم أول من تولى البايليكة على مازونة و تلمسان، فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية، فنقل كرسي الحكم من مازونة إلى معسكر، وجعلها قاعدته وذلك لكونها وسط بين مازونة وتلمسان، ولكون مدينة معسكر ذات أهمية استراتيجية نتيجة تحكمها في المسالك التجارية كما تحيط بها قبائل بني راشد التي تميزت بتقربها من الحكم العثماني ومناصرة له مع العلم أن معسكر قريبة من وهران، وهذا الاختيار يعود لتخطيط الباي لفتح مدينة وهران مستقبلا**للمزيد راجع:** الزياني، محمد بن يوسف، دليل الحيران، وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران (تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م. صص 190-192.

Camile, Kehl, , « Oran et l'Oranie avant l'occupation Française », in, B.S.G.A.O,T63,1942,p.37

[42] إن حرب الخلافة الإسبانية التي نشبت ما بين سنوات (1701-1714)كانت صراعا أوروبيا بدأت بوادره بالظهور عام 1701 مع موت الملك الإسباني شارل الثاني(1759-1788) وهو آخر ملوك سلالة هامسبورغ. وكان شارل قد أورث كامل مملكته لفيليب دوق أنجو، وهو حفيد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر(1643-1715)، فأصبح ملك إسبانيا وعرف باسم فيليب الخامس.

إن الأحداث لا تكون مهمة إلا بالنظر إلى عواقبها و ما يترتب عليها، إذ أم موضوع البقاء والمحافظة على المستعمرات الإسبانية في وهران والمرسى الكبير أو الخروج منهما، كان محل نقاش حاد في البلاط الإسباني بمدريد منذ زمن بعيد. والظاهر من خلال الوثائق أن اسبانيا كانت تفكر في الجلاء من المناطق الجزائرية ، و هو ما يؤكده تقرير سنة 1574 إذ بعث الحاكم الإسباني (Gui puzcua)بوهران إلى السلطات الإسبانية برسالة مفادها إخلاء سبيل وهران مع ضرورة الاحتفاظ بالمرسى الكبير. وفي وثيقة صادرة عن فاليخو سنة 1738 ، وهي عبارة عن رسالة موجهة إلى الملك فليب الخامس يخبره بضرورة التخلي عن وهران مع الاحتفاظ بالمرسى الكبير كاستراتيجية بديلة للتواجد الإسباني، وأن عدم الرضوخ للأمر الواقع ستكون له عواقب الموت لمصير المستعمرات. ويمكن مقارعة هذا التوجه الجديد ما أشارت إليه رسالة الحاكم الإسباني أرامبورو (1738-1742) (Joseph de Aramburu) إلى الملك فليب الخامس سنة 1741، يلزمه بالتخلي عن وهران وضرورة تحصين المرسى الكبير والبقاء فيها.[43]

في ظل الأجواء المتوترة وضعف القدرات العسكرية الإسبانية في المنطقة، والزلزال الذي ضرب المنطقة ، بات من الواضح جدا التراجع الإسباني في المنطقة[44]

وقد جرت مباحثات بين الطرفين الجزائري والإسباني في عهد الباي محمد بن عثمان(1778-1798) بهدف الجلاء النهائي للحامية الإسبانية.[45] وقد بدأت النوايا الحسنة منذ معاهدة السلم المبرمة في 14 جوان سنة 1786، و اتفاق 9 ديسمبر 1791الذي يهدف إلى خروج الإسبان النهائي من وهران و المرسى الكبير ، و كان ذلك في 12 فبراير 1792،

---

[43] Pedro Pablo Albarca(1718-1798) دبلوماسي إسباي و أمين سر الملك شارل الثالث، و سفير اسبانيا بفرنسا ما بين (1773-1784).

[44] درس كازيناف أحداث زلزال أكتوبر 1790 الذي ضرب وهران وضرب نصف المدينة، معتمدا في دراسته على الوثائق الإسبانية، والتي تبرر انعكاساتها السياسية على التخلي النهائي للإسبان عن وهران سنة 1792م، بعد الهجوم والحصار الذي قاده باي معسكر. للمزيد من التفاصيل راجع:

Jean, Cazenave, « le tremblement de terre en 1790 et ses conséquences politiques », in, l'Afrique latine, Alger, 1923, PP.243-262

[45] عين محمد بن عثمان باي ابعد حاج خليل(1771-1778) ولقب بالكبير وذلك التعيين كان صادرا من داي الجزائر(محمد بن عثمان الذي حكم الأيالة الجزائرية من (1766 – 1791م)). سنة 1784م.

مع إقرار معاهدة التجارة بين الطرفين وإحداث قنصلية اسبانيا بوهران منذ 1794، و التي استمرت إلى غاية 1830.[46]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بايليك الغرب يعد في الدرجة الثانية بعد دار السلطان من حيث التحصينات العسكرية التي تشتمل عليها أهم مدن البايليك كوهران ومستغانم ومعسكر وتلمسان.

ثانيا : كتابات الأسرى الإسبان :

من الذين كتبوا في الجزائر خلال الفترة العثمانية الأسرى الإسبان الذين عاشوا في مدينة الجزائر خلال القرنين السادس والسابع عشر وقد فضلوا عدم اعتناق الإسلام ومع ذلك فقد نالوا الشهرة وقد تركوا انطباعات عن حياتهم ومأساة أسرهم بالجزائر ومنهم ميغال دي 1- ***ميغال دي*** سيرفانتس سافيدرا (Miguel de cervantes saavedra) .

ولد الكاتب الاسباني سيرفانتي في قلعة هناريس الواقعة على ضفاف نهر هناريس وتبعد عن مدريد بحوالي ثلاثة وثلاثين كيلومترا وقد لعبت هذه المدينة دورا هاما في تاريخ اسبانيا بفعل الجامعة التي أسسها الكاردينال سيسنيروس (cisneros) في سنة 1498م وأخذت في استقبال الطرب في سنة 1508م وكانت خلال القرن السادس عشر واحدة من أهم الجامعات الأوربية أما تاريخ مولد سيرفانتس فهو 29 من شهر سبتمبر من سنة 1547م وعمد بعد ذلك في التاسع من شهر أكتوبر في كنيسة السيدة مريم.[47]

كان والد سيرفانتس وهو دون رودريغو طبيبا إلا أنه لم يكن موفقا في مهنته لذلك عاشت العائلة ظروفا صعبة ولكن ذلك لم يمنع سيرفانتس من الحصول على تعليمه الابتدائي في مدارس القلعة أين تعلم الأدب، اللغة اللاتينية وبقية العلوم التي كانت تدرس وقتها وكان فتى ذكيا متفوقا ميالا الى الشعر والمسرح وقد دفعت قلة ذات اليد بالعائلة الى الانتقال الى اشبيليا في سنة 1563م أين انضم سيرفانتس الى إحدى المدارس اليسوعيين المخصصة لأبناء الأشراف والنبلاء

(46) Cazenave(J), " Les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnol de cette ville (1509-1792),In, RA, n°71,pp.257-299.

(47) نجيب أو ملهم، وموسى عبود: سيرفانتيس أمير الأدب الاسباني، مطبعة المخزن تيطوان، المغرب 1947م ص22.

فتلقى فيها بعض الدروس العليا كما أنه شاهد في المسرح تمثيليات الروائي الاسباني الشهير لوبي دي رويدا (lopi de royda) فنبهت في نفسه ميلا الى المسرح.[48]

بقي الوضع المادي للعائلة على حاله و لم يتغير فيه شيء مما أدى بالعائلة الى الارتحال مجددا وكانت الوجهة مدريد هذه المرة وهناك استمع الى دروس النحو التي ألقاها الاستاذان فرنسيسكو د بايو (Francesco del paillo) وجوان لوبيز دي أيوس Juan lopezde (aillos الذي خلف الأول بعد موته كما اتصل سيرفانتس بعدد من الشعراء الشباب، الذي استعمل أشعارهم ومنظوماتهم وسيبتسم الحظ لسيرفانتس هذه المرة إذ بعد موت الملكة إيزابيل دي فالوا (Isabelle de valois) كلف الكاردينال دون ديغو دي اسبينوثا الأستاذ دي أيوس بكتابة سيرة الملكة والمراثي التي قيلت فيها وهنا أدرج الأستاذ مرثية لتلميذه سيرفانتيس وقيدها باللقب الذي كان معتاد على مناداته به، وهو "التلميذ العزيز الحبيب" وقد نالت هذه المرثية النجاح والإعجاب الكبيرين.[49]1

أثناء ذلك زار المبعوث البابوي جوليو أكوافيقا اراغون (Julio aquaviva aragon) في مهمة رسمية من طرف البابا وقبل أن يغادر اسبانيا أحب أن يطلع على أحوال الشعر والشعراء فيها فتعرف على سيرفانتس وقرر اصطحابه الى قصره وفعلا خرج معه هذا الأخير نحو ايطاليا في سنة 1568م ولكن حدث ما لم يكون سيرفانتتس يتوقعه إذ بعد أن نزل بقصر الأمير انصرف هذا الأخير الى أشغاله تاركا سيرفانتس مع عدد من الشباب الذين كانوا في القصر من دون أن يعيره اهتماما فخابت آمال سيرفانتس الذي قرر الدخول في ميدان آخر وهو الجيش.[50]

ودع سيرفانتس الأمير سنة 1569م وانخرط في الجيش الاسباني المتواجد وقتها في ايطاليا تحت إمرة القائد ميغيل دي مونكادا (Miguel de Moncada) فمكنه ذلك من زيارة عدد من

---

[48] نفسه ص24

[49] نفسه ص ص 30-31. 1

[50] محمد، عائشة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر و دورهم في العلاقات بين الجزائر و دول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس و السابع عشر للميلاد،مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، 2011-2012، ص ص 126-130.

المدن الايطالية والاطلاع فيها على مؤلفات الأدب الكلاسيكي فزاد ذلك من عبقريته ومهاراته الشعرية.[51]

أقلع سيرفانتس علة متن الباخرة في 25 أبريل 1571م نحو خليج ليبانت بعد توقيع البابوية مع عدد من دول أوربا للحلف المقدس ضد العثمانين قبل أربع سنوات من وقوعه في الأسر. وأثناء المعركة (ليبانت الشهيرة) جرحت يد سيرفانتس اليسرى وفقد القدرة على استعمالها للبد ولهذا أطلق عليه لقب "أكتع ليبانت" وقد انتقل سيرفانتس الى مسينا لتلقي العلاج المناسب ثم انتقل منها الى نابولي التي بقي فيها على الرغم من أنه شفي.

خرج سيرفانتيس من نابولي في يوم 26 سبتمبر 1575م على متن إحدى غاليرات الملك والمسماة "الشمس" ليعود الى اسبانيا وكان مصحوبا بأخيه رودريغو (Rodrigo) ولكن هذه السفينة وقعت في أسر الرايس الشهير أرناؤوط مامي [52] وهو أحد الرياس الأقوياء في وقته والذي سيكون سيده بعد ذلك وكان هذا الرايس مسيحيا ألبانيا اعتنق الإسلام وكان يكره المسيحيين بشدة وخاصة منهم الإسبان.[53]

وقد نفذ سيرفانتس العديد من محاولات الهرب كان أولها محاولة الهروب نحو مدينة وهران الخاضعة لحكم الإسبان وكما ذكرنا في فصل سابق فإن الصعوبات التي تعترض الأسرى الهاربين كانت كثيرة وقتها إذ ينفذ الزاد الذي حملوه معهم كما أن أعين حراس الشواطئ من ناحية والبدو من ناحية أخرى لا تغفل عن مطاردة الأسرى والذين وقعوا بين أيديهم يذوقون أقسى أنواع المعاملة هذا علاوة عن جهلهم بالطريق والأخطار التي من الممكن أن تعترض طريقهم مثل الحيوانات الضارية.[54]

---

[51] نفسه.

[52] هو ألباني الجنسية وقد عده هايدو الحاكم رقم خمسة وعشرين على مدينة الجزائر غير أنه لا يظهر على القائمة الرسمية لحكام الجزائر قدم للسلطان العثماني وهو طفل صغير وفق ما يعرف بضريبة الغلمان وأصبح بعد ذلك عبدا للقرصان الجزائري قارة علي ونظرا للخصائص والمزايا التي كان يتمتع بها فإنه عين على رأس طائفة الرياس في سبتمبر 1575م وقد أغار على العديد من المناطق واستولى على سفن كثيرة من بينها السفينة، التي كانت تقل ميغال دي سيرفانتيس وأخاه رودريغو، غادر أرناؤوط مامي مدينة الجزائر وتوجه الى تونس ومنها الى طرابلس التي عين باشا عليها، وهو ليس مؤكدا.

[53] Christian alexandra debelle : Histoire des pirate et des corsaires de l'océan et de la méditerranée depuis leur origine jusqu'à nos jours, edition Henri Nobel, Paris 1846T1 p418.

[54] Henri Klein feuillet et djazair ed tell alger 2003, T3, P111

اتفق سيرفانتس مع واحد من أهالي مدينة الجزائر وكان راغبا في الحصول على المال بإيصالهم الى مدينة وهران غير أنه وبعد ساعات من المسير استولى الندم والخوف على هذا لدليل فتوارى عن أنظار هؤلاء الهاربين الذين لم يستطيعوا مواصلة الطريق ولا حتى التقدم بخطورة واحدة من دون وجوده، فعادوا الى مدينة الجزائر وهم في غاية الحزن.

وقد حدث في هذه الثناء أن حصل أحد الفرسان الإسبان على حريته وقبل خروجه من مدينة الجزائر حمله سيرفانتس رسالة الى أهله فلما وصل الى مدريد سلم الرسالة الى عائلة سيرفانتس وكم كانت فرحتهم عارمة عندما علموا أن سيرفانتس وأخاه رودريغو ما يزالان على قيد الحياة وأحسوا بالحزن في مقال ذلك لاعتقادهم بأنهما يعيشان في منتهى التعاسة وهما في الأسر.[55]

خطط أفراد العائلة في هذه الأثناء لافتداء الشابين وبما أنهم كانوا فقراء فإن الأب قام ببيع كل ما يملك لدفع مبلغ افتداء ابنيه الاثنين وقامت البنتان اللتان لم تكونا متزوجتان ببيع ثمن المهر الذي قدم لكيلهما لأجل الغرض نفسه وبالإضافة الى ذلك ارتدتا مع والدتهما ثياب الحداد[56] وتوجهن الى الأب جورجي دي أليفار وأعطينه المبلغ الذي تم جمعه بعد أن أوصينه بالاهتمام بالشابينغير أن دالي مامي، رفض إطلاق سراح ميغال بدعوى أن هذا المبلغ غير كافي لافتداء روديغو لوحده وبعد حصوله على حريته وعودته الى اسبانيا قصد رودريغو وبتكليف من أخيه نائب قنصل فالنسيان للحصول منه على مركب يتوجه على متنه الى شواطئ مدينة الجزائر محضرا بذلك لمشروع هروب جديد.

وسرفانتس في مشاريعه هذه لم يكن يفكر في الهروب وحيدا ولكنه فكر في مساعدة جميع الأسرى الأسبان العاملين في الحقول والبساتين المحيطة بمدينة الجزائر على الهرب.

وصادف أن كان لأحد الأعلاج اليونانيين حديقة لا تبعد عن المدينة سوى بثلاث كيلومترات وقد عين لخدمتها أسيرا أوربيا من منطقة نافاري وبعد سنوات من العمل في الحديقة استطاع هذا الأخير أن يحفر نفقا في إحدى زواياها التي لا يرتادها صاحبها إلا نادرا والذي

---

[55] نجيب أبو ملهم وموسى عبود: المرجع السابق ص ص 67-68

[56] Henri KleinOp.cit, T2, p111

يؤدي الى البحر تمكن سيرفانتس من الهرب من مترل سيده وكان أول من عبر هذا النفق وقد حدث ذلك في نهاية شهر فيفري من سنة 1577م.

اجتمع في نهاية شهر أوت من نفس السنة خمسة عشر أسيرا اسبانيا وضعوا ثقتهم في سيرفانتس الذي كان على قدر كبير من الحكمة والتيقظ أما البستاني فقد كلف بمراقبة مدخل النفق وإعطاء هؤلاء الهاربين الإشارة عند ظهور أول خطر كما أسندت لأحد الأسرى وكان ملقبا بالمذهب لأنه كان يمارس مهنة التهذيب عند مالكه مهمة إحضار المؤن اللازمة الى الحديقة بسرية تامة لأنه كان يتمتع بقدر كبير من الحرية مما يمكنه من ذلك بسهولة.

وقد علم سيرفانتس في بداية شهر سبتمبر ان أسيرا من مايوركا يدعى فيا نواكن على وشك العودة الى بلاده وكان رجلا شريفا شجاعا وبحارا ممتازا وله معرفة كبيرة بسواحل المدينة عند ذلك حمله سيرفانتس رسالة الى نائب ملك نابولي استعرض فيها أحواله وأحوال زملائه في الأسر وقد وعد فيان سيرفانتس بأن يقوم بمساعدتهم على الهرب بواسطة مركب صغير يحضره لهم بعد أن يزوده به نائب ملك نابولي وبالفعل التزم فيان بوعده لأنه عاد في يوم سبتمبر يقود براغانتية كان نائب ملك نابولي قد وعد بتوفيرها له.[57]

اقترب فيان من الميناء عند غروب الشمس دون أن تعترضه أية عواقب وكان سعيدا ومسرورا للغاية ومتشوقا لعبور النفق غير أن بعض الأهالي شاهدوه وعرفوا مخططه فاستدعوا حراس الشاطئ وعندما رأى فيان أن مشروعه قد أحبط فكر في القيام في محاولة أخرى وفي هذه الأثناء كان سيرفانتس ورفاقه مجتمعين داخل النفق وليست لديهم أية فكرة عما يحصل في الخارج بالقرب منهم منتظرين شريكهم الذي وضعوا يفه كامل ثقتهم.[58] والسير الملقب بالمذهب الذي تعهد بالمساعدة والذي وضع فيه سيرفانتس كامل ثقته بفعل اهتمامه بالمصلحة العامة لم يكن في نهاية الأمر سوى الخائن وفي اليوم الموالي مثل المذهب بين يدي الباشا وأخبره أنه يريد اعتناق الإسلام و لم يكن ينوي الهروب فعلا، وإنما تظاهر بذلك وكدليل على كلامه كشف للبابا أسماء الأسرى المختبئين داخل النفق فأرسل الباشا عددا من جنود الانكشارية

[57] محمد، عائشة، المرجع السابق، ص 136.

[58] نفسه.

لإحضارهم مع تقييدهم زعيمهم سيرفانتس بالغلال، فعزم هذا الأخير على المخاطرة بنفسه من أجل إنقاذ زملائه في حال الخطر.

وقد خاطب الباشا بافتخار قائلا: "إذا كان جلالتك يرى بان هذا الفعل المتمثل في الحصول على حريتنا جريمة فانا المسؤول الوحيد عن ذلك، فارجوا أن لا تعاقب زملائي باعتباري أنا الذي أغريتهم فوثقوا في هذا الخائن الذي وشى بنا". وكان حسن اشار رجلا شهما فأعجبته جرأة سيرفانتيس فجلبه الى قصره بعد أن اشتراه من الرايس مامي بخمسمائة ريال ذهبي وقرر معاملته بحذر كبير. وفشل هذه المحاولة لم يثن عزم سيرفانتس الذي فكر في محاولة أخرى للهروب فقرر في البداية إعلام حاكم وهران بحاله، وأرسل إليه بكل سرية واحد من أهالي المدينة غير أن هذا الأخير كشف وألقي القبض عليه قبل أن ينجز مهمته.[59]

عزم سيرفانتس مرة أخرى على الهرب فخطط مع علج اسباني كان يريد العودة الى وطنه لشراء قارب والهروب بواسطته، ولكن هل ستنجح هذه المحاولة؟ لم تنجح بالطبع لأن أحد رجال الدين المسيحيين كشف لحسن باشا هذا المخطط فأودعه هذا الأخير السجن، بعد أن أوثقه بالسلاسل.[60]

وأثناء ذلك اتجهت دونا أندريا وهي أخت سيرفانتس الى مدريد في جويلية 1579م لرؤية الأب جوان جيل (Juan Gil) والأب أنطونيو دي لافيلا التابعين لتنظيم الثالوث الأقدس، والذين كانا مكلفين بشراء مجموعة من الأسرى من مدينة الجزائر ودفعت لهما مبلغا قدر بثلاثمائة دوكة، جمعتها بعد أن باعت كل ما تملك وبعد أن وصل آباء الافتداء الى الجزائر أخذوا في التفاوض مع حسن باشا الذي طلب منهم دفع ألف ريال ذهبي مما صعب من عملية الافتداء بعض الشيء.[61]

ولكن السلطان العثماني مراد الثالث استدعى حسن باشا الذي كان مستعجلا لتنفيذ أوامر السلطان فخفض ثمن الفدية الى خمسمائة ريال ذهبي أما الأب جيل فقرر إنفاق ما تبقى له من

---

(59) Henri Klein Op.cit, T2, P112.

(60) ibidem

(61) Christian, Debelle : Op.cit T9 P422.

المبلغ في افتداء بقية الأسرى وبقي سيرفانتس في الجزائر وقد حصل على حريته الكاملة الى أن تحين له فرصة الرجوع الى اسبانيا.[62]

وبعد بضعة شهور تمكن سيرفانتس من الرجوع الى بلاده وكان ذلك في 19 سبتمبر 1580م بعد أحد عشر سنة من الاغتراب أمضى خمسة منها في الأسر في مدينة الجزائر ونظرا لأن سيرفانتس أدرك بأن شلل يده سيعوقه عن أداء الخدمة العسكرية فقد قرر عند ذلك اعتزالها والزواج والتفرغ لكتابة الروايات التي كانت مواضيعها تدور حول سنوات أسره في الجزائر. [63]تزوج سيرفانيس وكان عمره وقتها سبعا وثلاثين سنة في يوم 14 ديسمبر 1584م فتاة نبيلة من قرية ايسكيفياس (Esquivais) الواقعة في قشتالة وتسمى دونا كاتالينا دي بالاسيوس.

وخلال السنوات الأربع التي تلت زواجه عانى سيرفانتيس من الحاجة والعور فاضطر للعمل في المسرح وبعد أن حصل على وظيفة أخرى تتمثل في تموين الجيش في سفيلا، ولكن وبفعل الوشاية التي قام بها أحد المفتشين ويدعى فرنسيسكو موسكوسو أودع سيرفانتس السجن ولكن مدة إقامته فيه لم تطل وقد شغل سيرفانتس وظيفة الممون لمدة خمس سنوات (1588-1593م) أتم من خلاله عمله المعنون بـــــ "المثلة الجديدة".

سافر سيرفانتس الى بلد الوليد في سنة 1603م مصحوبا بزوجته وابنته وأخته ماغدالينا للعيش مع أخته أندريا التي استقبلتهم بسرور كبير وعاش الجميع مع بعض في اطمئنان بعد أن تحسنت أحوالهم المادية بفعل تداول الناس لرواية دون كيشوت التي صدرت سنة 1605م.وتشاء الأقدار في هذه السنة (أي 1605م) أن يدخل سيرفانتس السجن مرة أخرى وكان في هذه المرة مصحوبا بكل من زوجته وابنته وأختيه غير أن حبسهم لم يطل إذ سرعان ما أخلى سبيلهم عند ذلك قرر سرفانتيس الانتقال وعائلته الى مدريد وكانت هذه آخر سفره له.[64]

---

(62) Ibid,p.423

(63) Henri Klein Op.cit , T2,P112.

(64) Fernand, Hoeffel ,Nouvelle biographie universelle depuis les temps les plus recules jusqu'à nos jours la conquête française 1830, éd Ernest le roux, Paris 1891, T9, P423.

عاش سيرفانتس بعد ذلك في اطمئنان وتزوجت ابنته إيزابيل من أحد النبلاء المنطقة ولكنه مات بعد أن رزق بطفلة فتزوجت أرملته مرة أخرى من شاب كان أسيرا في الجزائر هو الآخر وبعد مدة فقد سيرفانتس أخته دونا أندريا وكم كان حزنه شديدا عليها لأنها كانت صلة الوصل بين كل أفراد العائلة.

ومن رواياته: غالاتيه (La Galatée)، دونكيشوت دي لامانشا، (Don lamancha quichotte de ، سفرالبارناس (Le voyage d'Alparnas)، السلطانة العظيمة، حمامات الجزائر، روايات. ومن أهم الأعمال الأدبية التي صور فيها أوضاع الجزائر.

أ- **السلطانة العظيمة:** ويدور موضوعها حول فتاة من مالقة وقعت أسيرة أثناء سفرها الى وهران ثم أرسلت الى السلطان العثماني الذي تزوجها ونظرا لما كانت تتمتع به من همة وعلو نفس وإيمان راسخ استطاعت الاهتمام بشؤون الأسرى فلاقوا بذلك خيرا كثيرا ويحاول سيرفانتس هنا أن يظهر قضية على درجة كبيرة من الأهمية وهي زواج المسلمين وبالأخص العثمانيين من أوربيات وإجبارهن على تغيير دينهن غير أن السلطان قد تساهل بخصوص دين زوجته فلم يجبرها على تغييره.

ب- "**حمامات الجزائر:** وهي مثلما يدلنا عنوانها تتحدث عن الحمامات التي كانت سجونا للأسرى في مدينة الجزائر قبل أن تخصص لهم الحكومة أماكن يقيمون فيها وفي داخل هذه السجون يمارس الأسرى هوايات كثيرة للتسلية والقضاء على الملل منها: الألعاب، التمثيل، الرقص.[65]

ج - **روايات الجزائر:** وهي مسرحية مكونة من أربعة فصول يدور موضوعها حول فتاة مسيحية تقع أسيرة بين أيدي البحارة الجزائريين ثم تصبح بعد ذلك ملكا لأحد أغنياء مدينة الجزائر والذي كان شيخا وفي المقابل يقع خطيبها أسرا لدى واحدة من أعيان المدينة أيضا وقد بذل الشابان جهدهما حتى ى يلتقيا مجددا ويحققا حلمهما المنشود وهو الحرية، وهو ما حصل بالفعل إذ عادا الى وطنهما وتصور لنا هذه المسرحية حياة الأسرى في هذه المدينة

[65] نجيب أو ملهم، موسى عبود المرجع السابق ص ص 211-212.

والخطط التي يتبعونها من أجل الخلاص من الأسر وكذلك سفالة بعض الأعلاج والمؤامرات الداخلية التي يحيكونها كما لم يفعل عن تصوير حياة الأسرى في أحلك صورة.

وكان الغرض من وراء تأليف هذه المسرحية هو حث الملك فيليب الثاني على احتلال مدينة الجزائر والقضاء على نشاط بحارتها وإثارة حماس الجمهور من ناحية ثانية لمساعدة رجال الدين الساعين لافتداء الأسرى على القيام بمهمتهم وقد استنتج بعض النقاد أن هذه المسرحية ألفت في سنة 1580م وسيرفانتس لا يزال في الأسر وهذا إضافة الى مسرحيتي "الاسباني المقدام" التي تتمحور حور الصراع بين المسيحية والإسلام ز"دار الغيرة" التي يدور موضوعها حول الفرسان وبطولاتهم.[66]

2- ديغو دي هايدو (Diego de Haedo) :

هو راهب بندكتي اسباني ولد في منطقة كارانسا (Carança) ومات في النصف الثاني من القرن السابع عشر وينحدر من أسرة عريقة في منطقة بيسكايا،[67]كما كان والده أسقفا عل باليرمو وقد عرف بالطيبة والكرم والورع، تتبع هايدو خطى والده وتوجه الى صقلية أين أصبح كاهنا وكان تابعا للتنظيم البندكتيني[68].

أصبح بعد ذلك اشهر رجال الدين في عصره وقد انظم الى هذا التنظيم العديد من الشخصيات البارزة وقتها والذين أخذوا على عاتقهم تطوير الكنيسة والدفاع عنها. وقع دييغو دي هايدو في أسر القراصنة الجزائريين في سنة 1578م بعدج أن خرج لافتداء عدد كبير من الأسرى المتواجدين في الجزائر وحصل على حريته في سنة 1581م وحال عودته من الأسر تم تعيينه أسقفا على مدينة فروميستا.[69]

مؤلفات هايدو:

أ- **طوبوغرافية وتاريخ الجزائر العام (Topographie et histoire générale d'Alger)**

---

[66] نفسه.

[67] تسمى باللغة الاسبانية بيثكيا (vizcaya) هي احدى مقاطعات إقليم الباسك الاسباني وأهم منها بيلباو (Bilbao).

[68] هو تنظيم ديني أسس حوالي سنة 529م من طرف القديس بنوا دي نورسي والذي كانت كنيسة مونت-كاسان في ايطاليا مهدا له.

[69] Dan , les illustres captifs, Histoire générale de la vie des faits et des aventures de quelques personnes notables prises par les infidèles musulmans présente par de Grammont, in R.A N°27, 1887, p205-206.

لقد قلنا فيما سبق بان هايدو قد وقع أسيرا في الجزائر فمكنه من الاطلاع على أحوال سكانها وعاداتهم وتقاليدهم ونظام الحكم في هذه المدينة وحكامها وتنظيم الجيش فيها ويرى بعض المؤرخين أن هايدو قد أنهى كتابه قبل سنة 1605م ودمج فيه بين عنصري التاريخ والجغرافيا.[70]1

لقد نشر كتاب الطوبوغرافيا 1612م في بلد الوليد وترجمه الى الفرنسية بعد ذلك كل من مونرو و بربروجر ونشرت في المجلة الأفريقية في عدة أعداد تباعا. وهذا منذ سنة 1870م . وقد ا ضم ثلاثة أجزاء من هذا الكتاب والعدد 15 من سنة 1871م وجاءت فيه الأجزاء الباقية وعددها ستة وقد تعددت مواضيع هذا الكتاب إذ جاء فيه الحديث بداية عن تأسيس مدينة الجزائر والسبب في تسميتها بهذا الاسم وعن الحكام الذين تعاقبوا على حكمها وكيفية ارتباطها بالدولة العثمانية ثم تطرق هايدو الى الحديث عن المباني العسكرية والمدنية في مدينة الجزائر وفي الكتاب أيضا حديث عن الفئات المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر وحياتهم اليومية وعاداتهم وطقوسهم الاحتفالية وعن أفراد الجيش بنوعيه وقادتهم.

يلاحظ أن دييغو دي هايدو قد استفاد من الحرية التي كان يتمتع بها بعض الأسرى الأوربيين في مدينة الجزائر وخاصة في حديثه عن المباني العسكرية في المدينة وتحصيناتها وقد ركز في ذلك حول طاقة استيعابها والوسائل المساعدة للاستيلاء عليها بطريقة أبعد ما تكون عن مجرد فضول لرجل سائح ولكنها في الواقع دعوة لاحتلال مدينة الجزائر.

[71]وكمثال على ذلك وصفه لحصن الإمبراطور: "...إن هذا الحصن محاط من جميع الجهات فمن الجهة اليمنى في اتجاه الغرب، يوجد الجبل الذي يبعد عنه بمائة وخمسين خطوة ويمكن قطع كل اتصالاته بالمدينة بمساعدة فرقة من المدفعية ومن الجهة الجنوبية والشرقية توجد ثلاث تلال تقع على بعد مائة وخمسين ومائتين وخمسين خطوة على التوالي نستطيع بالاعتماد عليها أن نحطم أسوار الحصن بكل سهولة ومن ناحية ثانية وبين هذا الجبل والحصن أدت مياه

(70) Guy Turbet, delof , Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française 1532-1715 édition S.N.E.D Alger 1976. P75

(71) Belhamissi moulay, Alger, l'Europe et la guerre secrète 1518-1830, édition A.N.E.P Alger 2009 p 46.

المطار المنحدرة الى حفر التراب بعمق يسمح لجيش معتبر الاختباء فيه بسهولة والهجوم على الحصن."[72]

تاريخ ملوك الجزائر (Histoire des rois D'Alger)

نشر هذا الكتاب لأول مرة في سنة 1880م في الجزائر وقد جاء هو الآخر في عددين من أعداد المجلة الأفريقية ففي العدد 24 الصادر في سنة 1880م عرضت سنة أجزاء من هذا الكتاب. بينما جاء الجزاءان الباقيان في العدد التالي أي العدد 25 من سنة 1881م.

ومثلما يلاحظ من خلال عنوان الكتاب فإن هايدو خصصه لحكام مدينة الجزائر في القرن السادس عشر وعددهم ستة وعشرون بداية من عروج بربروسة وأخيه خير الدين وصولا الى مصطفى باشا الذي حكم البلاد للمرة الثانية في سنة 1596م.

ب- الأسر في الجزائر (De la captivité à Alger)

هو عبارة عن دراسة مستضيفة عن السر وأصوله لم يتردد صاحبها كما جرت العادة وقتها في العودة الى الأزمنة الغابرة والحديث عن أبناء قابيل والنمرود والفاتحين العظماء ليصل بعد ذلك وببطء الى عصره. إضافة الى ذلك كان يتحدث بين الحين والآخر عن العمالقة والهياكل الغريبة والعظيمة التي عثر عليها في صقلية، ليتوصل في النهاية الى أن البشرية لم تعش وضعية أسوء من الوضعية التي عاشها الأسرى المسيحيين في سجون الجزائر في العصر الحديث كما يعطينا بعض الأمثلة عن العصور القديمة التي توقف عندها (أي الأمثلة) بإعجاب مستفيض مع إدخال بعض الفقرات من الكتب المقدسة وأقوال بعض أباء الكنيسة وبعض المعاصرين له، واعتمد كذلك على أحداث سمعها، وأخرى قصها عليه بعض من عاشوها وهم أشخاص يمكن الوثوق بهم.[73]

كما أسهب هايدو في الحديث عن معاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر بغرض استعطاف الأثرياء في بلده حتى يجمعوا الأموال التي ينفقوها سدى، ويرسلونها في مقابل ذلك لافتداء هؤلاء الأسرى وقد قارن هايدو من ناحية ثانية بين خفة الغليوطات المستعملة من قبل البحارة

---

(72) Diego de Haedo, De la captivité a Alger, traduit par Molinier Violle, in R.A ,n°39, 1895 p.55

(73) Ibid., p56

الجزائريين وحيوية رياسهم ويقظتهم وبين ثقل غاليرات المسيحيين وقادتها أي الغاليرات- الذين لا يجرؤون على مواجهة البحر الهائج فيذهبون للاحتماء في بعض الموانئ أين يقضون وقتهم في إحياء الحفلات كل هذا يجري في الوقت الذي تتعرض فيه قراهم ومدنهم الساحلية للنهب من طرف البحارة الجزائريين.[74]

وكان هايدو من ناحية ثانية شديد الحماس فيما يتعلق بطرد مسلمي الأندلس وتشديد الخناق على الباقين منهم في المنطقة واضطهادهم كما شغل احتلال الجزائر اهتمامه الكلي ولذلك رغب في ترجمة الكتاب (الأسر في الجزائر) الى الفرنسية أما غراماي فأعطاها طبعة لاتينية حول الحوارات الموجودة في نهاية الكتاب تحت عنوان شهداء الجزائر. (Martyres d'Alger).[75]

تدور أغلب الحوارات في هذه المقالة الطويلة بين شخصيتين أساسيتين وهما: أنطونيو غونزاليز دي توريس (Antonio Gonzalez de torres) احد فرسان القديس يوحنا وكان أسيرا في أحد سجون الجزائر وصديقه الدكتور سوزا (Sosa) وقد حاول كلاهما التعايش مع الوضع الجديد وهو الأسر.

3- مارمول كربخال:

أ. ولادته ونشأته:

مارمول كربخال MARMOL KARVAJAL سائح ومؤرخ اسباني ولد بغرناطة في أوائل القرن 16م، اشتغل ضابطا في جيش الإمبراطور شارل الخامس، وشارك في الحملة التي شنها الأخير على تونس في سنة 1535م[76] وبعد مغادرة الأسطول الإمبراطوري تونس بقي مارمول في شمال إفريقيا يقوم بمهمة كلفه بها شارلكان ، وطال مقامه نحو اثنين وعشرين سنة، أسر خلالها من طرف الشرفاء السعديين، وبقي عنهم أسيرا سبعة أعوام وثمانية أشهر، يسير في ركابهم أين ساروا عبر بلاد سوس الأقصى والصحراء، أو في منطقتي فاس وتلمسان وغير ذلك

(74) Dan, Les Illustres captifs, manuscrit du père Dan, analysé par Lpuis, Piesse et H. D. de Grammont Reliure inconnue, 1884, p205

(75) Diego de Haedo , de la captivite…Op.cit p57

(76) اسماعيل العربي، "بجاية من خلال النصوص الغربية"، مجلة الأصالة، عدد 13، (عدد خاص)، قسنطينة 1972، ص 74.

من الجهات التي تقلبوا فيها، وعاصر مارمول ثلاثة من ملوكهم: أحمد الأعرج ومحمد المهدي وعبد الله الغالب، ووصف عن مشاهدة حروبهم وسلمهم وخلافتهم ورفاقهم وأفراحهم وأتراحهم، وبخاصة علاقاتهم بمنافسيهم من الوطاسيين ملوك فاس وأتراك الجزائر.[77]

ب. مؤلفاته:

وفي غضون هذه المدة استغل مارمول وقته لتعلم اللغة العربية التي تمكن بواسطتها من جمع معلومات تاريخية وجغرافية عن هذه البلاد، وبعد حصوله على حريته قام بتأليف "وصف عام لإفريقيا"

ألف مارمول زيادة على كتاب إفريقيا:

- ثورة الموريسكيين بغرناطة وما لقوا من عقوبات، وقد نشر بغرناطة سنة 1600.
- إلهام الجيش المقدس.
- كما ذيل كتاب "صلوات القسيسين الرومان".

ج- التعريف بكتاب إفريقيا:

ألف مارمول كتاب إفريقيا باللغة الإسبانية اعتمد على ملاحظات الحسن الوزان ونسج على منواله، فصولا كثيرة حرفا بحرف، وقد صدر هذا الكتاب في غرناطة عام 1573م، وقام بترجمته إلى الفرنسية ونشره في ثلاثة أجزاء دابلونكورت في باريس سنة 1667م، والمعلومات التي قدمها المؤلف في هذا الكتاب تشمل جميع مناطق إفريقيا الشماتلية حتى النيجر، بما في ذلك الصحراء الكبرى وإثيوبيا ومصر، كما يحتوي على معظم المعارك التي وقعت حتى سنة 1574م.[78]

يقول مارمول في شأن تأليفه لكتابه: " ... جبت مناطق البربر كلها ومصر حيث شاهدت أشياء كثيرة هائلة بدا لي أن الناس المحترمين بإسبانيا سيروقهم الإطلاع عليها بالإضافة إلى أنني بسبب ميلي طول الحياة إلى كتابة التاريخ، نظرت بإمعان طويل فيما لدينا من مؤلفات وافية مستقصية للموضوع سواء منها الإفريقية أو الإسبانية أو اللاتينية أو كتب الدول المجاورة،

---

[77] مارمول كربخال، إفريقيا، (ترجمة: محمد حجي،محمد زنيبر، محمد الأخضر)،الرباط: الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، 148-1409هـ/1988-1989،ج 1، ص 5.

[78] إسماعيل العربي، المقال السابق، ص 75.

واستخرجت من هذه الآثار الشهيرة ما رأيته أكثر ملائمة لغرضي، أضف إلى ذلك معرفتي الدقيقة إلى حد ما بالعربية والإفريقية اللتين لا علاقة قوية بينهما، ساعدني على أن أقرأ بتمعن كبير كل ما ألفه كتابهم عن بلادهم وبعد ذلك قمت بوصف عام لإفريقيا".[79]

أما عن دواعي تأليف مارمول لكتاب إفريقيا، فأنقل ما أورده هو بروح التعصب في مقدمة كتابه: "... لم يكن لي قصد في تأليف هذا التاريخ كله إطلاقا إلا تشجيع الدول الكاثوليكية على حمل السلاح ضد هؤلاء المسلمين الذين يكتسحون بوقاحة مجد المسيحية، ولا يفتؤون يحاربوننا ويتحينون الفرص لتحطيمنا. لكن سيسهل علينا غهلاكهم أكثر من أن نسترجع منهم أرض المقدس لأننا نعرف الآن قواهم..."[80]

الحياة السياسية بالمغرب الأوسط (الجزائر) من خلال كتابات مارمول:

عاش المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن 15م كغيره من بلاد المغرب الإسلامي في حالة من الفوضى والضعف، فكان يسوده النظام القبلي أو العشائري، إذ كان لكل قبيلة مقاطعتها الخاصة المستقلة ولا تتهمها إلا مصالح القبيلة داخل حدود مقاطعتها تلك.

وكانت بلاد الجزائر الحالية مقسمة أنذاك إلى حوالي خمسة عشر جزءا وكل جزء منها تحت سيطرة قبيلة عربية أو أمازيغية، فكانت سهول وهران تحت سيطرة بني عامر وقبيلة سويد، وكان آل المقراني يحكمون منطقة القبائل الكبرى فكانت تحت إمرة ابن القاضي ومقرهم جبل كوكو، ومدينة الجزائر تحت سيطرة الثعالبة يحكمها ابن التومي[81]

1-الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وتدخل الإخوة بربروسة:

أ- احتلال المرسى الكبير:

---

[79] مارمول، المصدر السابق، ج 1، ص ص9- 10

[80] نفسه، ص 12

[81] سالم بن التومي حاكم مدينة الجزائر عند مجيء الأتراك إليها، وهو من أولاد سالم الذين أخذو السلطة من الثعالبة . ينظر: حنيفي ،هلايلي، النظام الحربي للجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس ، 2004ص 30-35.

تمكن الإسبان – كما يذكر مارمول – من احتلال المرسى الكبير وتنصيب ديقو دي قرطبة عاملا على المدينة سنة 1505م[82] و لم تستطع الدولة الزيانية حماية المرسى الكبير، إذ كان سلاطينها عمدوا إلى المهادنة بعقد صلح مع الأسبان والوقوف أمام المجاهدين الذين يرفضون هده الوضعية التي آلت إليها الدولة وعلى الخصوص العلماء الذين راسلوا الونشريسي في هذه النازلة.[83]

وبذالك كان الاستيلاء على المرسى الكبير مكسب هام للأسبان لما يتميز به من موقع استراتيجي وحصانة طبيعية من جهة، ومن جهة أخرى فإن سلاطين الدولة الزيانية عمدوا من قبل إلى تخصيصه، مما جعل مارمول يقول: "وهي على صخرة يصعب تحطيمها، يحيط بها جبل عال شديد الإنحدار والوعورة بحيث لا يمكن الإرتقاء منه إلى المدينة إلا بصعوبة شديدة ما عدا عن طريق وهران بحيث يمر بطريق غير مستوي يسمى كرسي، أما من ناحية الشمال حيث تضربها أمواج البحر فيوجد برجان مربعان يدعمان المرسى وعلى طول امتداد السور السميك نجد برجا آخر مستديرا وحتى ركن جدار السور بر ج مربع آخر يقدم الدفاع عن هذه الجهة كما يوجد برج مربع بين الركن الثاني الذي يحرس المدينة من هذه الجهة والتحصينات الآنفة الذكر هي التي دفعت الأسبان لاحتلالها واتخاذها قاعدة انطلاق نحو بقية المدن الساحلية مثل تنس ووهران وهنين فيما بعد.[84]

يفيد هذان النصان وما دكرناه آنفا أن احتلال الأسبان للمرسى الكبير كان لأسباب استراتيجية وكذا اقتصادية، إذ اعتبر من بين الموانئ الرئيسية للدولة الزيانية التي تقوم بالمبادلات

---

[82] يذكر مارمول أن تاريخ احتلال المرسى الكبير كان سنة 1506م بينما أشار الوازان على وجه التقدير، والأصح ما ذكره أحمد توفيق المدني أنه كان في 23 أكتوبر 1505. انظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص96، 102 .الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا (ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر)، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.، ج2، ص31. وأيضا: كربخال ، المصدر السابق، ج2، ص327 .

[83] النازلة المشار إليها وردت في المعيار والتي جاء فيها ما يلي: سئل بعض فقهاء تلمسان بما نصه: " سيدي جوابكم عما عمت به البلوى في بلدنا وعظم من أجله الخطب، واتسعت به المقالات وذالك أن الخليفة حفظه الله صالح هؤولاء النصارى الذين أخذوا سواحلنا لأجل معلوم، والمسلمون يرون أن جهادهم من أعظم القربات إلى الله فصاروا يغيرون على أطراف بلدهم ويضيقون عليهم، هل ذاك طاعة أو معصية أرشدنا وفقكم الله " انظر: الونشريسي، أبو العباس أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981، ج8، ص157.

[84] كربخال، المصدر السابق ، ج2، ص321.

التجارية مع اوروبا، فالسيطرة عليه معناه التحكم في النشاط التجاري، وهذا سبب خسارة كبرى للدولة الزيانية.

ب – احتلال وهران:

تعرضت كتب الرحالة و الوثائق الأسبانية لذكر احتلال وهران، ومن بين هؤلاء مرمول الذي زار شمال إفريقيا.يذكر مرمول أن عملية الغزو كانت أسهل مما كان متوقعا ذالك لأن عامل المرسى الكبير كان قد اتفق مع يهودي (اشتورة) ومسلمين (عيسى العتيبي وابن قابش) وكانوا قائمين على تحصيل وجبات الأبواب لحساب أمير تلمسان، على أن يسلموا له المدينة في موعد مضروب، وبينما كانوا يديرون ذالك الإتفاق إذ وصل الجيش، ولما رأى المسلمون نزول تلك الحشود الكثيرة خرجوا دفعة واحدة لقتالهم و لم يخلفوا داخل المدينة سوى عدد قليل من الناس، وعندئذ منحت الفرصة للمتآمرين فأغلقوا الأبواب ونصبوا على أحد الأبراج صليبا أحمر كان عامل المرسى الكبير قد أرسله إليهم خفية ليتخذوه شارة يستحثون بها النصارى إذا وصلوا أمام المدينة ، وقد بادر الكاردينال بقيادة عدد من الجنود ومعهم السلالم لتسلق أسوار المدينة من الطرف الآخر بينما كان سكانها المسلمون يوجدون خارجا.

دخلها النصارى بدون مقاومة كبيرة، وهاجموا المسلمين من الخلف وهم يقاتلون النصارى فكانت مذبحة عظيمة في المسلمين ونجا منهم من نجا ففروا متشتتين في الحقول بعد أن رأوا سقوط مدينتهم وهزيمة جيوشهم، وبعد هذا النصر عاد الكاردينال إلى أسبانيا تاركا الدون دييكوا القرطبي عاملا على وهران ومعه حامية جيدة وكان الملك فرناندو يرغب في أن يدفع بفتوحاته في هذه الجهات إلى أبعد حد ممكن لولا أن صرفته عن ذالك حروب البابا(جول الثاني) مع ملك فرنسا والبندقية.[85]

ج – احتلال بجاية:

[85] كربخال، المصدر اسابق، ج2،ص329. كان احتلال الإسبان لوهران يوم الجمعة 8 ماي1509. انظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص110 وما بعدها. ,ايضا: كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541، (ترجمة جمال حمدانة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص120.

وفي عام 1510م – حسب ما يفيدنا به مرمول وما ترويه كتب التاريخ –، أبحر الكونت بيدرو نافارو في اتجاه بجاية ومعه أربعة عشرة سفينة كبيرة محملة بالجنود و لم يشعر به أحد ولا استعد له في مدينة بجاية، لذالك فوجئ أهلها بهجومه ففروا إلى الجبال، و لم يلبث سكانها وعددهم ثمانية الآف للدفاع عنها، كانوا يتصورون أن الدون بيدري لن يلبث أن ينسحب بعد نهب المدينة إلا أنه لم يفعل، بل إنه قام ببناء حصن على الشاطئ.[86]

وحدث أن جاءه خائن يقرب للأمير الذي فر مع السكان وعرض عليه معونته ليكون دليلا للجيش على مخابئ السكان بين الجبال، وعلى إثر ذلك خرج الكونت ليلا وهاجم السكان فقتل نهم وغنم، ومنذ تلك الواقعة لم يفتأ المسلمون يناوشون النصارى حيث يصلون إلى بجاية وينصبون الكمائن فسقط فيها قتلى وجرحى دون أن يحدث شيء يستحق الذكر.[87]

والمتتبع لما أورده مارمول يجده يذكر أحد أسباب هذه الحملة وهو تجهيز سكان البلاد لسفن حربية صغيرة للقيام بالقرصنة على حد تعبيره في سواحل البلاد المسيحية لكنه يغفل السبب الجوهري المتمثل في الأطماع المتكررة لأسبانيا في سواحل الجزائر خاصة والشمال الإفريقي عامة لأسباب اقتصادية واستراتيجية.

2. دخول الإخوة بربروسة الجزائر وبنائهم صرح الدولة الجزائرية الحديثة:

بعد مقتل سالم التومي قام عروج بهجوم على حصن البنيون دون أن يتوصل إلى الاستيلاء عليه لا هو ولا أخوه من بعده ، غير أن الأقوات نفذت من أيدي من كانوا بالحصن من الجنود إذ لم تعد الأزواد تصل إليهم كما كان الشأن في عهد سالم التومي، وعندئذ قام مارتين فاركاس الذي كان الحاكم والمدافع عنه بإعلام الملك بتلك الحال، وبينما كان ينتظر النجدة من اسبانيا سارع بربروسة بتوجيه طلب إلى مارتين فاركاس بالاستسلام لكنه رفض عندئذ قام بربروسة بمهاجمته وقتل مارتين وتم الاستيلاء على الحصن[88].

وتجدر الإشارة إلى أن مارمول أرجع سبب بناء هذا الحصن إلى ما كان يقوم به القراصنة – على حد تعبيره– انطلاقا من مدينة الجزائر، ولكن ربما كان هذا مجرد سبب واحد من أسباب

---

[86] كربخال، نفسه، ص377.

[87] نفسه، ص 378.

[88] مارمول، نفسه، ج2، ص 364.

عديدة لعل أهمها استراتيجية المكان وحصانة الطبيعة إضافة إلى تنفيذ الوصية التي تركتها الملكة ايزابيلا قبل وفاتها والتي تنص على السلم مع الدول المسيحية والتوسع على حساب الدول الإسلامية في الجنوب.

3. الصراع في تلمسان واستشهاد عروج:

إذا كان الوزان لا يذكر من الحياة السياسية لتلمسان سوى مرحلة ما قبل مجيء عروج أي الصراعات مع المرينيين، فإن مارمول وافانا بكتابة تكاد تكون مفصلة عن أصل عروج ومجيئه للجزائر ثم تلمسان وصراعاته مع ملوك بني زيان والإسبان هناك.

ظلت عائلة بني زيان تحكم تلمسان لفترة من الوقت ففي سنة 1475م حكمها محمد ثابت بن المتوكل، وفي سنة 1505م خلفه ابنه أبو عبد الله محمد، وفي 1516م خلفه أبو زيان لكن أنصار عمه أبو محمد عارضوه وتمكنوا من خلعه في نفس السنة وسجنوه وحكمها أبو حمو باسم حمو الثالث ولكنه ظل تحت الحماية الإسبانية، و لم يستطع الأهالي تحمل الإهانات فطلبوا المساعدة من عروج فأعد هذا الأخير قواته وتوجه إلى تلمسان ببعد أن تحرك أخاه نائبا له في الجزائر.

وفي هذا السياق يذكر مارمول أنه انضم إلى قوات عروج في طريقه عدد من الأعراب والبربر بقصد طرد العم وتمكين ابن أخيه الملك، وعندما وصل أمام المدينة أدخله السكان المتحالفون معه بعد أن طالبوه بأن يحلف على أنه لن يضر بأهل المدينة وأنه لن سيطلق سراح الأمير الشاب ويعيد إليه تاجه ، وفي أثناء ذلك كان الملك قد فر من باب سري في قصره متجها إلى الجبل، وبعد تمكن بربروسة من المدينة أفرج حينا عن الأمير الشاب الذي كان مسجونا في القلعة وبعد بضعة أيام قتله وتخلص من أنصار الأمير الشاب الذين استقدموه مخافة أن يتآمروا ضده، وأعلن نفسه ملكا لتلمسان تحت سلطة الخليفة الكبير العثماني ثم ذهب يستولي على باقي المدن وتفرغ لذلك بعض الوقت إلى أن طرد من تلمسان وقتله مارتين أركوط.

ومما يمكن التعليق به على نص مارمول أو ما كتبه في هذا الصدد نلخصه في النقاط الآتية:

- لم يذكر مارمول حادثة تصدي أبو حمو موسى الثالث لقوات عروج قبل وصولها لتلمسان في سهل آغبال وانهزامه.

- مارمول كعادته ينتقص من تضحيات عروج ويصفه وكل ما هو مغربي أو إسلامي بأقبح النعوت ويبالغ في قساوة عروج على أسرة بني زيان فذكر أنه رمى بهم هو في غدير حيث غرقوا وهو مغتبط بحالتهم المفجعة.[89]

- إن مارمول لما ذكر دخول عروج لتلمسان والظروف التي أطلق فيها سراح أبا زيان وولاه شؤون الدولة، لكن هذا الأخير لم يكن يثق في عروج لأنه خشي أن يقع له ما وقع لسالم التومي لذا حاول كسب ود التلمسانيين لمناصرته ضد عروج، أخطأ حين قال:" أن خير الدين لما دخل تلمسان استعمل عليها عروج ثم بعد انصرافه تعصب المسعود (أبو زيان) من ملوك تلمسان بجيش عظيم وخطب على منبر الجامع الأعظم وذكر شؤون ملوك الجزائر، ورغب الناس في مساعدة بني عبد الواد فهجموا على عروج ثم زحف إليهم بمن معه، وكان شديد البأس فدخل تلمسان عنوة وقتل سبعمائة من المترشحين للملك من بني زيان وستون من بني عمهم وأكثر من ألف من أهل البلد". فالمصادر تجمع على أنخير الدين لم يترك الجزائر خلال توجه عروج لتلمسان للدفاع عن المدينة في حالة الهجوم عليها.[90]

ونعود لما كتبه مارمول، إذ بعد نقل رأس عروج وسترته إلى أحد أديرة قرطبة خرج أبو حمو من وهران ليتسلم التاج وعرض نفسه كتابع دائم لملك اسبانيا يرسله إليه كل سنة اثنا عشر ألف قطعة ذهبية واثنا عشر فرسا وستة صقور اناثا فوفى بذلك إلى أن مات.

4- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وما تلى ذلك من أحداث:

لما بلغ أتراك الجزائر موت عروج نصبوا خير الدين مكان أخيه، فاتخذ اسمه وهو الذي احرز انتصارات عظيمة على المسيحيين والمغاربة برا وبحرا.[91]1

حكم خير الدين باسم السلطان العثماني وصك العملة باسمه وقد تخوف خير الدين من كثرة حدوث التمردات والعصيانات وحدوثها هو الذي دفعه إلى الارتباط بالدولة العثمانية وضمان حماية الجزائر من الخطر الإسباني.

5- الصراع بين الأتراك والإسبان حول المغرب الأوسط (الجزائر):

---

[89] مارمول، المصدر نفسه، ج2، ص 364

[90] نفسه، ج 2، ص 307

[91] نفسه، ج 2، ص 310.1

حمل بربروسة على عاتقه حماية السكان، وفي هذه الأثناء وصل أنصاره من الأعراب والبربر واستطاع التغلب على المسيحيين وهزمهم شر هزيمة وأسر الكثير من ضباطهم ونبلائهم، وقد أكسب هذا الإنتصار بربروسة الخير والشهرة.[92]

6- حملة أندريا دوريا سنة 1531م:

يذكر مارمول أن شارل الخامس لما علم أن بربروسة أخذ في جمع قراصنة الجزائر استعدادا للتوجه إلى مضيق جبل طارق أعطى الأوامر لقائد أسطوله آندريا دوريا بالتوجه بسفنه الحربية وسفن نابولي وسفن صقلية إلى بحار المشرق لمواجهة خير الدين، وهكذا قطع البحر في مواجهة سواحل بلاد البربر، ولما علم أن قطعا من أسطول بربروسة توجد في شرشال قام بهجوم مباغت عليها وذهل الأتراك لذلك، وفرا إلى داخل المدينة وإلى القلعة، وتمكن أندري دوريا من إحراق سفن الأتراك وأنزل عساكره واقتحم المدينة وحرر 800 من السجناء المسيحيين الذين كانوا يقومون بالأشغال الشاقة، وتوزع الجنود المهاجمون على دور المدينة ينهبونها، وعندئذ نزل إليهم الأتراك الذين لاذوا بالقلعة وأجهزوا عليهم صفا واحدا فقتلوا منهم أزيد من 400 وأجبروا الآخرين على الفرار، ولما رأى أندريا ما أصاب جنوده من الاضطراب وأنهم قد تقهقروا لائذين بالسفن قام بإبعادها عن الشاطئ حتى يضطرهم إلى الرجوع إلى القتال وهكذا أدى جشع الجنود إلى قلب النصر إلى هزيمة، ومع ذلك فإن جميع سفن الأتراك وأهل البلد قد دمرت وأحبط تخطيط بربروسة.[93]

وإذا قارنا ما أورده مارمول في شأن هذه الحملة بما كتب في المصادر الأخرى ، نجد أن مارمول يركز على الإنجازات التي قام بها أندري دوريا وربما بالغ فيها في حين تذكر المصادر الأخرى أن هذا الأخير تكبد خسائر فادحة كلفته أزيد من 50 قتيلا و 640 أسيرا منهم معاون أندري دوريا.[94]

---

[92] يشير مارمول أن هذا وقع سنة 1517، لكن هناك من المؤرخين من يرجعها سنة 1519م. أنظر: يشير مارمول أن هذا وقع سنة 1517، لكن هناك من المؤرخين من يرجعها سنة 1519م. أنظر: عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، (ترجمة: محمود علي عامر)، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1989م. ص 76

[93] مارمول، المصدر السابق، ج 2، ص 357

[94] كورين شوفالييه، ص 83 . ايضا: عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 94- 95.

7- حملة شارل الخامس سنة 1541م:

تحدث مارمول بإسهاب عن هذه الحملة ومن جملة ما ذكره عنها بعد أن تم لشارلكان الاستيلاء على مدينة تونس الشهيرة وبعد أن طرد منها بربروسة، عزم على تطهير الساحل الإفريقي كله من القراصنة الأتراك ولاسيما أتراك الجزائر الذين كانوا يلحقون أعظم الأضرار بالمسيحية، وأراد أن يحضر قتالهم بنفسه حتى لا تفشل الحملة كما فشلت سابقتها. ولهذا السبب حرص على تجهيز جيش بحري عظيم فيه السفن الحربية الضخمة والقاليرات السريعة ملأها كلها بعدد وافر من الجنود المحنكين الإسبانيين والألمانيين والإيطاليين وخرج الإمبراطور وأرسى سفنه بفرضة الجزائر يوم 20 أكتوبر 1541 لكن الرياح عرقلت نزول الجيوش التي هاجمها الأتراك وسكان المدينة وردوها على أعقابها، فكان جيش الإيطاليين أول من ركب البحر راجعا ثم تبعهم الألمانيون فالإسبانيون وعندما وصل الإمبراطور إلى مايورقا أرسل أندريا دورريا وفيرناندي كونزاك إلى إيطاليا للاستعداد لحملة في ربيع السنة المقبلة.[95]

8- تحرير بجاية:

بعد عودة صالح رايس من المغرب فكر في تحرير بجاية من الاحتلال الإسباني فخرج في شهر جوان 1555م، قاصدا مدينة بجاية على رأس حملة كبيرة برا وبحرا لمواصلة الصراع بين الأتراك والإسبان، وفي هذا الصدد يؤكد مارمول أن بجاية بقيت تحت حكم ملوك قشتالة مدة خمس وثلاثين سنة وكانت لهم بها حامية من 500 جندي في ثلاث قلاع ينطلقون منها للقيام بغارات في الجهات المجاورة ثم يعودون بأسرى يسترقونهم وبقطعان الماشية، ولما كان عام 1555م جاء صالح رايس الذي كان حاكما على مدينة الجزائر يحاصر بجاية من البر بأربعين ألفا من المقاتلين كان من بينهم عشرة آلاف من الفرسان المسلحين بالبنادق والقاذفات، ومن جهة البحر باثنين وعشرين من السفن الحربية الصغيرة. وبعد أن اقتحم الحصن الإمبراطوري الذي غادره الإسبانيون لتعذر الدفاع عنهن حاصر حصن البحر ولم يكنت بداخله سوى أربعين من الجنود ، وبعد ضربه مدة 22 يوما تعذر الصمود على من بداخله فصالح عليه الحاكم المسيحي آملا في انقاذ حياة النساء والأطفال، واستسلم بعد أن أخذ العهد بإخلاء

[95] مارمول ، المصدر السابق، ج 2، ص 365- 366

سبيله، ولما عاد ألفونسو إلى اسبانيا قطع شارل لخامس رأسه هو والذين نصحوه بالاستسلام في بلد الوليد. ومنذ ذلك العهد ومدينة بجاية تحت حكم الأتراك وقد جددوا تحصينها وجعلوا بها حاكما وحامية كافية.[96]

الحياة السياسية بباقي مناطق المغرب الأوسط

عرفت مناطق المغرب الأوسط مدنا وقرى في النصف الثاني من القرن 15 والقرن 16 تحولات عميقة تبعا للأحداث الكبرى التي شهدتها المنطقة والصراعات بين الدولة الزيانية المسيطرة عليها والتحديات التي واجهتها من قبل جيرانها الحفصيين بتونس والمرينيين وبعدهم الوطاسيون ثم السعديون بالمغرب والأتراك. فهنين التي تعتبر مركزا تجاريا هاما يقول عنها مارمول أن ملك تلمسان أرسل إليها حامية لتأمين التجارة، وكادت أن تصبح في حالة حسنة جدا لولا أن طمع السكان تسبب في تلفها لأنهم لم يكتفوا بتجارتهم بل آووا القراصنة وخرجوا معهم لشن الغارات على شواطئ إسبانيا فاضطر شارل الخامس إلى أن يبعث إليها دم الغاري بشأن قائد أسطوله الذي احتلها وأقام بها حامية بعد أن نهبها سنة 1533م، لكن الإمبراطور أمر بتدميرها لتلافي النفقات، وذهب إليها قائد الأسطول نفسه لتحطيم الأسوار والبروج وحرق الديار وتخريبها.[97]

أما وجدة فقد نهبت أثناء الحروب المتوالية بين ملوك فاس وملوك تلمسان حيث كانت منحازة لهؤلاء. ثم أعيد تعميرها بعد ذلك سنة 1515م، ولما احتل عروج مدينة تلمسان أرسل الإسكندر إلى وجدة لأنها امتنعت عن الاعتراف به، وعندما بلغ إلى المدينة خبر مجيئه كسروا قنطرة كانت فوق نهر ملوية معتقدين أن ذلك كان كافيا لحمايتهم لكنه أمر بقطع عدد من أشجار الزيتون وهي كثيرة في هذه الجهات واتخذ منها قنطرة ثم عبرها وجنوده واحتل المدينة وساق منها عدة أسرى إلى تلمسان.[98]

وأما قسطيلية فاعتاد سكانها –كما يقول مارمول– على أداء الجزية للإسبان منذ أن تم لهؤلاء فتح وهران ولاسيما تحت حكم مارتين القرطبي، وعندما جاء محمد باي ومامي رايس

---

[96] نفسه، ج 2، ص 352

[97] مارمول، المصدر السابق، ج2، ص ص 296- 297

[98] نفسه، ج 2، ص 294.

لغرب وهران انحاز هؤلاء السكان إلى جانب الأتراك، وكان ذلك الانحياز هو السبب في خروج مارتين إليهم ونهبهم بعد أن فك الحصار عنها، وقد استعبدهم جميعا ولكنهم ادعوا أنهم أكرهوا على فعلهم و لم يجدهم ذلك الادعاء فلم يستعيدوا حريتهم.[99]

أما عن الأعراب وسكان الجبال في مملكة تلمسان فهم كما يقول مارمول كثيرون ولا يكترثون إلا قليلا بملوك تلمسان لأنهم يتراجعون كلما أرادوا إلى صحاري نوميديا حيث لا يمكن متابعتهم، لذلك فإنهم غير تابعين لأحد في الغالب ويتقاضون من الملوك رواتب ليحافظوا على أمن البلاد وإذا شاءوا أثاروا وانضموا إلى من يؤدي لهم أحسن ثمن.

اعتاد ملوك تلمسان للحفاظ على المسالك أن يستأجروا بعض الأعراب بحيث يمكن المرور مدة الصيف كله بأمان ويكون من الخطر اجتياز هذه المنطقة في فصل الشتاء، وازداد ذلك أكثر فأكثر لأن الأعراب كانوا دائما ثائرين منذ أن أقام الأتراك بالبلاد[100].

فبنو زناتة لهم من القوة ما جعلهم في قتال مستمر ضد الأتراك وضد الشريف وضد العرب في الصحراء، يعتزون على هؤلاء بمنعة جبله، ومن عادة هؤلاء البرابرة الدخول في خصومات ونزاعات حول السلطة مما سبب التقاتل الشديد بينهم ، يحملون العداء الشديد للأتراك و لم يتوصل هؤلاء لإخضاعهم في يوم من الأيام لا باللين ولا بالإكراه.[101]

ووقف هؤلاء الأعراب إلى جانب سكان بريشكار حيث مكنوهم من الصمود أزيد من قرن في وجه حكام مدينة تنس إلى أن استطاع بربروسة الاستيلاء على مدينتهم و لم تزل منذئذ تحت حكم الأتراك.

أما مدينة مليانة فقد كان ملوك تلمسان يحرصون على تبعية المدينة إليهم وإن وقعت خارج ولايتهم لأنها ممرهم إلى نوميديا، ولما ضعف ملوك تلمسان ذاقوا الأمرين مكن غارات الجيتوليين والعرب وأهل نوميديا، إذ كان يتعذر أنجادهم من تلمسان مالم يتوفر الجيش العظيم نظرا لبعدهم عنها ومجاورتهم لأولئك الأعداء، وكان أمراء تلمسان في عهد عزهم يتخذون بهذه

---

[99] نفسه، ص 348

[100] نفسه، ج 2 ، ص 292

[101] نفسه، ص 351.

المدينة حامية تشن الغارات وتدافع عنها، وبذلك ظل جيرانها مساكين جانحين للطاعة، ولما قلّ أنجادهم مال أهل المدينة إلى أمراء مدينة تنس الذين يستطيعون أنجادهم عند الاقتضاء بسبب قربهم منهم، فعلى تلك الحال وجدها عروج ومنذ ذلك الفتح وهي تابعة لأتراك الجزائر وحاميتهم لا تغادرها، ويحتلون إضافة إليها مدنا أخرى في هذه الجهات في نوميديا وجيتوليا. ومن هذه المدن المهدية التي هي أعظم القلاع التي بيدي الأتراك في هذا الإقليم.[102]

وفي المسيلة بنى صالح رايس قلعة وقد سلمها حسان باشا إلى صاحب بني عباس عبد العزيز الذي كان بينه وبين صاحب كوكو (ابن القاضي) عداء بسبب نفرة استحكمت بين القبيلتين منذ القدم، وقد عرف عبد العزيز أن الأتراك لا يحبون أهل كوكو منذ مات سليم في قتالهم ولذلك تقرب منهم وعقد المودة مع حسان باشا بن خير الدين ببربروسة حاكم الجزائر حتى أن الأتراك تمكنوا بمساعدة بني عباس من تحقيق أمور عظيمة ولا سيما في تلك الموقعة التي توفي فيها مولاي عبد القادر بن الشريف عندما استولى على تلمسان، فقد سار عبد العزيز وجنوده في جيش الأتراك الذي كان يقوده حسان باشا للاستيلاء على تلمسان، ورغم النصر الذي حققوه فقد نشأت حزازات بين حسان وعبد العزيز، وبينما الأمر كذلك ذهب حسان باشا إلى تركيا وجاء صالح راسي مكانه وعرف ما لعبد العزيز من قيمة فوثق التحالف معه، وقد اشتركا مع في حرب تقرت وورقلة.[103]

أما عن قسنطينة المدينة الكبرى في شرق المغرب الأوسط والتي كانت تحت حكام تونس فيذكر مارمول أن النصراني نبيل الذي أسلم والذي كان يحكم قسنطينة باسم ملوك تونس انطلاقا من هذا الحصن الذي اعتاد ترميمه وتحصينه وكان يحكم- اضافة لسكان المدينة- العرب الذين هم سادة الجهات المجاورة لقسنطينة وهم أشهر من ببلاد إفريقية — يعرفون بأولاد الحنشة- من العرب وأشجعهم ويتوصل إلى التحكم فيهم بحمل رأسهم على تقديم ثلاثة من أولاده رهائن لملك تونس الذي كان يشهر عليه الحرب، وكان نبيل فخورا بانتصاراته حتى لقب بملك قسنطينة وضرب النقود وأتى بأمور مهينة للأمير، وكرهه السكان بسبب ذلك

[102] نفسه، ج 2 ص 360.

[103] نفسه، ج2 ، ص ص 381- 386.

وثاروا عليه وهو غائب في حرب مدينة بسكرة ولما رجع أغلقوا الأبواب دونه فلجأ إلى الملك وحبسه في السجن أياما حتى تبرأ مما نسب إليه وأعطى 100 ألف ريال من الذهب.

أمر الملك بما لا طلب من العساكر، فرجع إلى قسنطينة ودخل وقطع رؤوس الذين تسببوا في الثورة عليه، وما لبث سكان المدينة إن انتفضوا وحاصروه في القلعة إلى أن مات بها أسفا وغما. وفي عهد مولاي الحسن استسلمت المدينة للأتراك فأقاموا بها حامية تليق بمقامها بين أهم مدن هذه المملكة ولكنهم أظهروا في حكمها رعونة كبيرة، وهم السكان بالثورة عليهم غير ما مرة إلى كان عام 1568م حيث أقدموا على قتل العامل وإبادة الحامية واسترجاع حرية المدينة ولكن عامل الجزائر جاء يحاصرها ولما اقتحمها عنوة نهب ما بأيدي سكانها وأجبر أثريائهم على تحصين القلعة بأموالهم الخاصة بعد ذلك جردهم من السلاح.[104]

وكان من عادة أمير قسنطينة – وقبل مجيء الأتراك- أن يبعث إلى مدينة ميلة واليا ليقضي بين الناس ويجبي ما خصص له من إيرادات في آن واحد، وكان هؤلاء الولاة يضيقوا بأهلها لكن سكانها لم يترددوا في بعض الأحيان عن قتلهم لأنهم لم يرضوا بظلمهم و لم يتحملوا استبدادهم ودخل مدينة ميلة تحكم الأتراك الذين أصبحوا سادة البلاد.[105]

ولطالما انتفض سكان تبسة كذلك ضد ملوك تونس وحكام قسنطينة وقد تجرؤوا غير ما مرة على قتل الحكام الذين يعينون عليهم ولما كان عام 1550م مر مولاي أمحمد قريبا منهم وهو في طريقه لقتال هوارة، فلم يبادروا باستقباله فأرسل يسألهم عمن هم إليه يدينون بالولاء فأجابوه مزهوين بأنهم لا يعترفون بالولاء لغير أسوارهم فغضب لذلك الجواب، فناجزهم بالهجوم ودخل بلدتهم عنوة وهدم المدينة ولكن عددا من فقراء الناس سكنوها بعد ذلك.[106]

أما عن تقرت فينقل لنا مارمول ما كتبه الوزان عن خضوعها لملوك مراكش ثم تبعيتها لسيادة مملكة تلمسان ثم مآلها لملك تونس، لكنه يضيق قائلا " ... أما الحاكم الحالي عبد الله بن محمد الشيخ القائد الشجاع الذي يحرص على سلامة السكان وأمن الإقليم بحرس يتألف من الفرسان ورماة القذائف والبنادق ومن المشاة، وقد استأجر عناصر حرسه من بين المقاتلين

---

[104] نفسه، ج 3 ، ص 11- 12.

[105] نفسه، ج3، ص 13- 14.

[106] نفسه، ج 3 ، ص 15.

الأتراك، لكن ذلك الحاكم لم يكن يعلم ما يبيته له الأتراك الذين أوفى لهم الأجر والعطاء ومنحهم من الامتيازات ما لم يحلموا به، فدبروا المكائد وحاكوا المؤامرات وشنها عليهم حربا غادرة فأطاحوا بهم استولوا على تقرت وإقليمها وسلموها لقمة سائغة إلى السلطات التركية الحاكمة بالجزائر.

لكن الأهالي لم يتحملوا استبداد الأتراك فانتفضوا ضدهم وأبادوا العديد من جنودهم فأرسل صالح رايس جيشا يتألف من الأتراك والمرتزقة الأعراب، ضربوا على تقرت حصارا شديدا آل إلى استسلامها ولما دخلوا نهبوا ذهبا إلا أن محمدا ملك مراكش انتزع المدينة منهم وأخذ يسوسها، فوجد السكان أن ظروفهم أصبحت مع الشرفاء أفضل مما كانت عليه مع الأتراك.[107] أما بسكرة فلم يفلح ملوك تونس في استرجاع سيادتهم عليها بعد وفاة عثمان، حيث توجد المدينة تحت نفوذ الأتراك الذين احتلوها في عهد حسن آغا حاكم الجزائر.[108]

أ- الحياة الاقتصادية بالجزائر:

تميزت الساحة الاقتصادية بالمغرب الأوسط (الجزائر) بعدم الاستقرار، وذلك راجع إلى الاضطرابات التي شهدتها البلاد آنذاك ويبدو أن الوضع بالنسبة للدولة الزيانية المسيطرة على البلاد تقريبا لم يصل إلى حد الانهيار الذي يسبب المجاعات والاستقرار الذي سيؤدي إلى الرقي والتقدم في المجال الاقتصادي وهي الحالة التي وجدها الإخوة بربروسة عند بداية تشكيلهم لصرح الدولة الجزائرية الحديثة التي معها بدأ النمو التدريجي في الحياة الاقتصادية.ونجد في كتب من جابوا المنطقة الذين عايشوا تلك الفترة كمارمول كربخال ذكر للدعائم التي تقوم عليها الحياة الاقتصادية كالزراعة والصناعة والتجارة والجهاد البحري.

أولا: الزراعة:

تعتبر الزراعة النشاط المنتشر نظرا لطابع البلاد إذ تكثر السهول الخصبة وتتنوع المحاصيل الزراعية وتتوفر اليد العاملة فيها.

---

[107] نفسه، ص 165- 166. وتجدر الإشارة إلى أن مارمول كعادته يبالغ فيما هو ضد الأتراك لما يكنّه من يحقد عميق لهم، وننبه هنا أن صالح رايس توجه إلى تقرت لإخماد ثورة قائدها وقائد ورقلة اللذان أرادا الإستقلال الذاتي وظنا أن المسافة بين الجزائر والصحراء تثني والي الجزائر عن المغامرة بجنوده في صحراء يجهلها الأتراك ورفضا الإعتراف بها. أنظر: جون ب وولف المرجع السابق، ص 20.

[108] مارمول، المصدر السابق، ج 3 ، ص 168.

1-المحاصيل الزراعية:

أ. **الحبوب:** تعتبر الحبوب (القمح والشعير) أكثر المحاصيل الزراعية إنتاجا نظرا للإمكانيات المتخاذلة له أكثر من غيره في ذلك الوقت: فأهل ندرومة – كما نجد عند مارمول- كانوا يحصدون كمية معتبرة من القمح والشعير والحال نفسه بالنسبة لسكان بريشك، وفي خارج مدينة عنابة تحرث البادية على مسافة نحو أربعين ميلا طولا وخمية وعشرين ميلا عرضا وكلها صالحة للقمح.[109]

ب.**الفواكه والخضر:** ازدهرت غراسة الأشجار بالمغرب الأوسط في القرن السادس عشر بفضل ما لقيته من عناية واهتمام فقد كان السكان يعتنون بالبساتين ويغرسون فيها أنواعا من الفواكه.

ففي الناحية الممتدة ما بين هنين وتلمسان فكانت تنتج كمية هامة من الفواكه من بينها الكروم والمشمش والتفاح والكمثري والدراق ومقادير لا تحصى من التين وكذلك الزيتون بالمناطق القريبة من تلمسان، وتوجد أشجار اللوز والجوز بالجبل المطل على مدينة مليانة.

وهناك محاصيل زراعية أخرى كالحنة والكمون التي انتشرت في قرية بني يفرن وتنس، وكذلك العسل الذي كان ينتج في بني راشد وتنس، والفحم في مطغرةوالفلين والأرز في قيصرية.[110]

2. تربية الحيوان:

كانت تربية الحيوان مقرونة غالبا بالأراضي الزراعية إذ المزارع لا يقتصر على النشاط الفلاحي فقط بل يعمد إلى إنتاج الثروة الحيوانية، مع وجود من كان يقتصر على حرفة الرعي فقط، فالمنطقة المحصورة بين بريشك ومازونة كانت من بين المناطق التي يعتمد سكانها على تربية المواشي، والنشاط نفسه امتهنه سكان ندرومة.[111]

ثانيا: الصناعة:

---

[109] مارمول كربخال، المصدر السابق ، ج3، ص 7

[110] نفسه، ج2، ص 296

[111] نفسه، ص 355

كانت الصناعة ببلاد المغرب الأوسط – الجزائر- في القرن السادس عشر تقتصر على تصنيع الإنتاج الزراعي وما يتصل به كذلك استخراج المعادن والإستفادة منها، وأهم هذه الصناعات:

1-صناعة الأقمشة والمنسوجات:

ازدهرت في عدد من المدن الجزائرية في القرن السادس عشر صناعات كانت تعتمد على الموارد الأولية المحلية، وفي مقدمتها الأقمشة والمنسوجات القطنية والكتانية والصوفية والحريرية، يذكر مارمول أن سكان هنين قبل نزوحهم عن المدينة اثر احتلال الإسبان لمدينة وهران سنة 1509م فكانوا يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات.[112]1

2-صناعة الأسرجة وملحقاتها:

تكثر في تلمسان – كما يشير مارمول- الصقوم وأسرجة للخيل مع ركابات جميلة ، ومهاميز وأجوادها يصنع من رؤوس اللجم في إفريقيا، والصناعة نفسها تكثر في مليانة، إذ معظم سكانها من صناع السروج على طريقة المغاربة.[113]2

3-الحدادة والخراطة:

تنتشر هذه الحرفة في تفسرة بصورة ملفتة حتى أن كل سكانها يكادون يشتغلون بالحدادة ويتوفرون على عدد من المناجم ويستخرجون منها مادة عملهم.

أما سكان مدينة كوكو الذين تتوفر عندهم معادن الحديد ففيهم صناع مهرة يجيدون صنع السيوف والخناجر والرماح، ولكنهم لا يتوفرون على الفولاذ: حالهم في ذلك كحالغيرهم من سكان بلاد البربر وإنما يستعيضون عنه بالحديد يجعلونه على هيئة قضبان طويلة يضعونها في قدور طين أو يسقونها بالغطس في الماء والرمال والأعشاب، ثم يعيدون إنضاجها فتكون لها صلابة الحديد ومع ذلك فهو أقل جودة من الذي يجلب إليهم من أوروبا.[114].أما سكان مليانة فكان من بينهم خراطون يصنعون أوعية خشبية للشراب يقبل الناس على اقتنائها.

4-صناعة البارود:

---

[112] نفسه، ج3، ص 196.

[113] نفسه، ج 2، ص 300.

[114] نفسه، ص 323

يشير مارمول أن من بين البربر الذين يقطنون مدينة كوكو عدد ممن يحسنون صناعة البارود حيث تتوفر جهاتهم على معادن ملح البارود، وياتيهم التجار بالكبريت من فرنسا.[115]1

5-المراكز الصناعية:

من بين الذين تناولوا الصناعة ومراكز توزيعها بأراضي الجزائر خلال القرن السادس عشر، مارمول كربخال الذي أشار إلى أن مدينة هنين من بين المدن التي ازدهرت فيها الصناعة حيث قال في شأنها أن سكانها يصنعون أشياء متقنة ومن بينها الأواني الفخارية، التي نجد بعض بقاياها في الآثار الباقية المبعثرة في أرجاء المدينة القديمة، يضاف إليها صناعة المنسوجات، وذكر بأن هنين كانت تصنع بها أقمشة وزرابي فاخرة ويبدوا أن الإقبال عليها كان كثيرا من قبل تجار أوروبا الذين يتوافدون على المدينة قبل احتلالها من قبل الإسبان سنة 1531م.[116]

واشتهرت كذلك مدينة شرشال بالصناعة بعد استقرار الجالية الأندلسية، حيث عمد هؤلاء إلى الإهتمام بالمنسوجات الحريرية.وما يقال عن شرشال ينطبق أيضا على القليعة التي استقر بها الأندلسيون وشجعوا صناعة الحرير.[117]

واشتهرت مدينة مزرغان القريبة من مستغانم التي قال عنها مارمول أن صناعها مياسير، لكن سقوط مدينة وهران في يد الإسبان قد آثر على صناعتهم لأنهم كانوا يصدرون ما ينتجون إلى سوق وهران وعندما سقطت المدينة أثر ذلك على مجموعة الحرفيين المتواجدين بمزغان.ومن بين المدن التي كان سكانها يهتمون بالصناعة قلعة بني راشد التي قدر مارمول عدد الحرفيين بها فقال: " بلغ نحو أربعين دارا للصناع ومن بين الصناع أفراد الجالية اليهودية كانوا يصنعون الصابون والمنسوجات والسروج وحاجيات الخيول[118]2.

ثالثا: التجارة:

ازدهرت التجارة بالجزائر في القرن السادس عشر نظرا لكثرة المنتوجات والمراكز التجارية، فمملكة تلمسان كان لها ميناءان مشهوران: ميناء وهران وميناء المرسى الكبير.

---

(115) نفسه، ص 360.

(116) نفسه، ج 2 ، ص 296

(117) نفسه، ص 296

(118) نفسه، ص 349.

وطائفة التجار في تلمسان – كما يذكر مارمول- أناس طيبون أوفياء في تجارتهم مهذبون مع الأجانب وأهم تجارتهم في غينيا حيث يحملون إليها بضائعهم كل سنة ويأتون منها بالتبر والعنبر والمسك وسنور الزباد ورقيق السود وأشياء أخرى من بضائع البلد، ويتجرون بالتبادل محققين كثيرا من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التاجر، الأمر الذي يحملهم على أن يخترقوا رمال ليبيا متعرضين لأخطار عدة.[119]

يشير مارمول إلى أن تجار تني الذين لهم تجارة واسعة مع الأجانب الذين يجلبون من هذه الناحية القمح والشعير وغيرها من السلع فيحملونها إلى الجزائر وإلى غيرها من الآفاق

أما مدينة القل فتعتبر مركزا تجاريا مهما ومقر لعدد كبير من التجار والصناع، أهلها طيبون مؤتمنون بفضل التعامل التجاري مع أوروبا إذ هي مقصودة لشراء الشمع والجلود وغيرها من البضائع. وما يقال عن القل يقال عن عنابة التي لها مرسى تقصده سفن التجارة لشراء الجلود والصوف والسمن والتمر وغيرها من البضائع الوفيرة.[120]

رابعا : الضرائب:

نجد عند مارمول ذكرا للضرائب بمختلف أنواعها التي كانت سائدة في بعض عصره فالخراج كان يفرض على الفلاحين إذ يقدمونه كضريبة للدولة. ومن بين اللذين كانوا يدفعون الضرائب للدولة الزيانية سكان معسكر والنواحي المجاورة لها أما سكان ندرومة فيقول عنهم مارمول أنهم يقدمون بعض الهدايا إلى الملك من أجل التجارة.[121]1

و لم يقتصر استخلاص الضرائب على الدولة الزيانية أو الحفصية اللتان كانت تقتسمان الجزائر قبل مجيء العثمانيون بل إن الإسبان المحتلين للسواحل الجزائرية قد فرضوا ضرائب جائرة منذ احتلالهم لوهران حتى سقوط الدولة الزيانية عام 1554م وأول ضريبة فرضت على أمراء الدولة الزيانية كانت نتيجة لمعاهدة أبو عبد الله الثاني مع الإسبان وقد نصت على أن تقدم

---

(119) نفسه، ج2، ص 300

(120) نفسه ، ج 3 ، ص 6

(121) نفسه، ج 2 ، ص 324.

الضريبة من خزينة الدولة، وقد اعتاد سكان قسطيلية على أداء الجزية للإسبان منذ تم لهؤلاء فتح وهران ولاسيما تحت حكم كونت الكوديت.[122]

ب: الجهاد البحري:

لا يمكن إغفال ما لنشاط رياس البحر من تأثير على الوضعية الإقتصادية للجزائر خلال القرن السادس عشر، فمرمول يذكر أن ميناء الجزائر كان عادة غاصا بسفن المسيحية التي يسوقها ما سماهم القراصنة محملة بالناس والبضائع وهؤلاء الناس كثير ما يؤسرون ويصبحون يشكلون القسم الأكبر من مداخيل خزينة الجزائر ويستعملون للخدمة في الحجارة عبر طرق الإيالة، وفي وضعيات الدولة في دار الصناعة بالجزائر وورشات بناء السفن.[123]

ج : الحياة الاجتماعية بالجزائر

عرف المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الإسلامية المعاصرة له، في القرن السادس عشر، مميزات اجتماعية نتيجة لظروف سياسية واقتصادية وثقافية ولعل أبرزها ما سنتناوله في النقاط الآتية:

1. الطبقات الإجتماعية:

قبل الحديث عن طبقات المجتمع الجزائري حسب ماذكره مارمول فإنه من المفيد ذكر خريطة التوزيع السكاني.ومن خلال ماكتبه مارمول يمكننا استنتاج أن التوزيع السكاني في البلاد الجزائرية آنذاك لم يكن على أساس المناطق أو النواحي فقط، وبين المدن والأرياف، بل كان على أساس عرقي، فعلى الرغم من تعريب السكان وانتشار القبائل العربية ضمن محيط الدولتين الزيانية والحفصية اللتان كانتا تقتسمان البلاد قبل مجيء العثمانيين ثم في محيط الدولة الجزائرية الحديثة تحت حكم الأتراك، فإن العنصر الأكثر انتشارا هو العنصر البربري ثم العربي وبعده المهاجرون الأندلسيون ومجموعة من الجاليات الأجنبية يهود ونصارى.

أما بخصوص طبقات المجتمع الجزائري في ذلك الوقت فننقل ما كتبه مارمول في هذا الصدد إذ يقول أن السكان ينقسمون إلى ثلاث طوائف طائفة التجار وطائفة الصناع وطائفة النبلاء،

---

[122] نفسه، ص 348

[123] هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 69

الأولون أناس طيبون أوفياء في تجارتهم معتزون بالنظام والحضارة وحسن التدبير، مهزبون مع الأجانب، والصناع أناس بسطاء لطفاء يعتزون بأنهم يعملون بأدب، أما النبلاء والمحاربون فيعتزون كثيرا بما لهم من وجاهة وشجاعة لأنهم هم الذين يرافقون الملك، لذلك فإن لهم عدة امتيازات وإعفاءات من رواتب حسنة تمكنهم من أن يعيشوا عيشة راضية.[124]

2. الزي ووسائل الزينة:

بلغ من اهتمام سكان المغرب الأوسط بهندامهم أن تفننوا في تنوعه ومواسم لباسه، واختلف هذا الهندام من طائفة لأخرى فالتجار الحضريون يرتدون لباسا جميلا يكون أحسن أحيانا من لباس أهل فاس لأنه أكثر أناقة وسخاء، وكذلك الصناع إلا أنهم يرتدون لباسا قصيرا والقليل منهم يتعمم ويكتفون بوضع قلنسوة بدون ثنايا على رأسهم وينتعلون نعالا تعلو نصف الساق، وأسوأ لباس هو الذي يتخذه الجنود غذ يضعون على ظهورهم قميصا واسعا عريض الكمين يغطونه بكساء كبير جدا من قماش القطن يلتفون فيه شتاءا وصيفا، حقا إنهم يرتدون في الشتاء سترة من الجلد مصنوعة على نمط ذلك القميص من الكتان غير محشوة، ويضع العسكريون الأرقى درجة فوق القميص كساء آخر من الجوخ وفوقه معطف على نمط المعاطف التي كانت تستعمل قديما في إيطاليا للأسفار يغطون به رأسهم. عند نزول المطر ويلبس الطلبة ثيابا مناسبة لوضعيتهم، فالجبلي يلبس لباس أهل الجبل والأعرابي لباس الأعراب، اما الأساتذة والقضاة والأئمة وغيرهم من الموظفين فلباسهم أحسن، وعن زي النساء يذكر مارمول أن زيهن كزي نساء نساء مراكش وهو أكثر أناقة وابهة.[125]

د: الحياة الثقافية بالجزائر

عرفت الحياة الثقافية والفكرية والدينية في الجزائر خلال القرن السادس تمايز من حيث الازدهار والركود فبينما كانت مناطق تعج بالمدارس ودور العلم ومساجد كانت بالمقابل مناطق يخيم على سكانها الجهل وعدم المعرفة.

---

[124] مارمول، المصدر السابق، ج 2، ص 298

[125] نفسه، ص 288

فمرمول يقول عن مدينة تلمسان أنها تحتوي على عدد كثير من المساجد الفخمة ذات الموارد الكبيرة وهي مجهزة بجميع ما يلزم علاوة على خمس مدارس رئيسية مزخرفة من إنشاء بعض ملوك زناتة ولها دخل للإنفاق على عدد من الطلبة الذين يقيمون بها ويدرسون على أساتذة جميع العلوم الطبيعية والأشياء المتعلقة بدينهم.[127]1

كما شيدت مدارس أخرى في عنابة التي يذكر مارمول أنه بها مدرسة إلى جانب المسجد يتعلم فيها شرع محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد بلغت مساجدها – حسب مارمول- نحو سبعة وثلاثين مسجدا.[128]

ثالثا :الجزائر في عيون الإسبان من خلال الراهبين فرنشيسكو خيميناث و مالغور غارثيا نفاراو

ليس من السهل في هذه الدراسة تقديم الصورة التي كونها الإسبان عن أيالة الجزائر في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، لذلك سنكتفي بتقديم أهم العناصر المكونة لهذه الصورة ، حيث يمكن أن نلاحظ أن الجزائر قد مثلتها في عيون الإسبان مركزا أساسيا لعمليات القرصنة البحرية ، "سجنا كبيرا للمسيحيين"، و بالتالي الوجهة الرئيسية للباحثين عن تخليص الأسرى المسيحيين من الأسر ، و بالإضافة إلى هذه الصورة الرئيسية سنحاول الوقوف عليها في كتابات الراهبين فرنشيسكو خميناث و مالغور غارثيا نفاراو فإننا سنحاول باختصار الوقوف على بعض الجوانب الأخرى المتعلقة بنظام الحكم و السكان في أيالة الجزائر.

قبل أن نخوض في مختلف هذه الصور ، يحسن أن نبدأ بتعريف بمصدرينا الرئيسيين، فالراهب فرنشيسكو خميناث دي سانتا كاتالينا شخصية طريفة و ذات أهمية بالغة للوقوف على تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، فقد ولد هذا الراهب بتاريخ 2ديسمبر 1685 ، في مدينة صغيرة بالقرب من طليطلة تسمى اسكيفياس Esquivais، و تم

[127] نفسه، ج2، ص 298.

[128] نفسه،ج 3 ص 8

تعميده في 09 ديسمبر1685 في كنيسة البلدة التي تسمى كنية القديسة ماريا lglesia de Santa Maria [129]

انتمى منذ فترة شبابه إلى طريقة الترينيتاريين (المثلثين) Orden trinitaria، و هي البعثة التي لعبت العديد من الأدوار الدينية و الإجتماعية المهمة، خصوصا في مجال افتداء الأسرى و معالجتهم ، فليقدر عدد الذين افتدتهم هذه الطريقة بحوالي خمسمائة ألف أسيرا ، و لعله يمكن أن نذكر ميكال دي سرفنتس، مؤلف رواية دون كيخوت، كأحد أشهر الذين قامت هذه الطريقة بتحريرهم في الجزائر سنة 1580.

توجه خمينات إلى شمال أفريقيا عندما كان سنه 32 سنة، أي سنة 1717، فوصل أولا إلى وهران ثم توجه إلى مدينة الجزائر ، حيث بقي إلى سنة 1720 و لكن على إثر اتهامه بالتجسس لصالح الإسبان، توجه إلى تونس أين استطاع تحقيق مشروعه بإنشاء مستشفى للأسرى المسيحيين و الذي تم افتتاحه سنة 1722 [130] امتدت إقامة خمينات في الجزائر إلى سنة 1735 ، تاريخ عودته إلى إسبانيا[131].

من إقامة خمينات بالجزائر تحتفظ لنا المكتبات و الأرشيفات الإسبانية بأعمال. أهمها يوميات خمينات التي دونها في الجزائر طيلة 18 سنة قضاها في الجزائر، و هي يوميات تتكون من سبعة مجلدات ضخمة مازالت إلى حد اليوم غير منشورة. و على عكس فرانسيسكو خمينات لا تملك الكثير من المعطيات حول الأب مالغور غارثيا نفاراو Malchor Garcia navarro ،الذي ولد في جهة قشتالة خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، حيث انتمى

---

[129] Iglesia Parrochial de Santa Maria Esquivais Matrimonios libro 3 folio 106 anv 1a inscripcion

[130] كان لطريقة الترينيتاريين ما يشبه المستوصف الصغير في تونس منذ سنة 1204 و هو عبارة عن قاعة صغيرة، و قد أمر حسين بن علي بهدمه سنة 1727 بعد إنشاء المستشفى المذكور آنفا لمزيد التفاصيل حول هذا المستشفى أنظر: الوسلاتي (الهادي) : "المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس و وثيقة أرشيفية عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة 1756 على تونس"، المجلة التاريخية المغاربية،تونس، عدد 21-،22 جوان 1981 ، ص 167 – 176.

[131] Guacir (Ahmed) Historia de Tunez .Traduccion del arabe al espanol por Mohamed el Tahager de urrea .De letra de fr Francisco ximénez Madrid Real Academia de la Historia ms.9/6025

إلى طريقة الرحمة Orden de La Merced، ثم تم تعيينه في سنة 1720 كراهب بمدينة طرسونة Tarazona، التي تقع بجهة سرقسطة .

نظمت طريقة الرحمة تسع بعثات لإطلاق الأسرى من الجزائر ما بين 1709 و 1731 1729، أما الأب مالغور فقد شارك في بعثة 1723 إلى الجزائر ، حيث ترك لنا هاتين البعثتين كتابه ¨بعثات إطلاق الأسرى من أفريقيا(1723-1725)¨ و هو الكتاب الذي حققه و قدمه مانوال فاتكات باخارو سنة 1946.(132)

بخصوص الجزائر يقدم الأب مالغور لما يسميه ¨منزل الملك¨ Casa del Rey الذي زاره هو و من معه عند وصوله إلى الجزائر، فالتقاليد تفرض عند وصول أي سفينة جديدة أن يقود قائد الميناء الأجانب للقاء الداي ، و تقبيل يده و الذي يسألهم باللغة الفرنكية عن سبب قدومهم حيث يخبرنا الأب مالغور فيما يتعلق بهذا المنزل الملكي عن وجود عدد من الحراس بالأبواب ، ثم يذكر بأن الحاكم أي الداي كان يرتدي قفطانا متعدد الألوان ، و بأنه ¨ممدد فوق أريكة عالية كالنساء¨ و على يمينه يوجد طاولة طويلة يجلس إليها أربعة كتاب ¨كل واحد منهم يدون في مجلد ضخم¨ مؤكدا بان هؤلاء كانوا يشغلون وظيفة المستشارين للداي في الشؤون اليومية بالإضافة إلى كونهم كتابا ، أما عن بناية مركز السلطة فيصفه الأب مالغور بالتواضع الشديد.(133)

من جهة أخرى و فيما يتعلق بالبعثات الدبلوماسية إلى الجزائر في سنة 1723 ، يتحدث مالغور عن القنصلية الفرنسية التي زارها رفقة البعثة واصفا القنصل الفرنسي دوران بأنه ذكي و لطيف . هذا القنصل الذي حاول التوسط للبعثة لدى الداي بعد تأزم العلاقة بينه و بين المحررين لم يسلم من شتم الداي (134) يحدثنا مالغور أيضا عن زيارته لقنصل انجلترا الذي أحسن استقباله هو و من معه و تجدر الإشارة هذا إلى أنه كانت توجد بالجزائر بالإضافة إلى قنصليتي

(132) Ximenez (Francesco) colonia trinitaria de tunez Tetuàn, s.n.1934

(133) Ibid ,p 52 .

(134) Ibid ,p 62 .

فرنسا و انجلترا القنصلية الهولندية التي تم إغلاقها بسبب انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.[135]

يغلب على الوصف الذي قدمه الراهب مالغور لنظام الحكم في تونس المقارنة بين ما شاهده في الجزائر و ما عاينه في تونس، فقد ذكر أنه على الرغم من تشابه نظام الحكم بين البلدين، فإن مركز السلطة في تونس أي قصر باردو يتميز بالجمال و الضخامة ، مقدما وصفا مهما و دقيقا لهذا القصر و جميع مكوناته كما قال بأن رجال القصر في الجزائر أكثر غلظة و قساوة. و قد ذكر مالغور بأن ميناء الجزائر منفتح على كل الأمم "و بأن للأعداء أيضا قنصليات بالبلاد" حيث ذكر قنصليات فرنسا و انجلترا و هولندا و جنوة و ليفورنة.[136]

1- السكان في أيالة الجزائر:

يخصص خميناث الفصل الرابع من كتابه "مستعمرة التثليث" للحديث عن سكان أيالة الجزائر و الذين يقسمهم إلى الأتراك المعتنقون للإسلام Los rengados ، المورو أو العرب الذين يقسمون بدورهم إلى الشرفاء ، الأندلسيون، الحضر و البدو، ثم المسيحيون و اليهود الذين يقسمهم كذلك إلى اليهود المحليين واليهود الليفورنيين.

أما فيما يتعلق بالموريسكيين فيقدم لنا خيمينات العديد من التفاصيل المهمة حول جغرافيا حضورهم بالبلاد الجزائرية. لقد حاولت السلطة الحاكمة استعمال الموريسكيين مخزونا بشريا لتعمير المناطق الزراعية في فحوص مدينة الجزائر و لكسب مناطق على حساب القبائل في من جهة ، و من جهة ثانية وظفتهم لتعمير المناطق الساحلية الخالية كمدينة تنس و شرشال و البليدة و القليعة التي سعى حكام الجزائر ، بدعم من السلطات العثمانية ، إلى تشجيع الموريسكيين من خلال إعفاءهم من الضرائب و تسليحهم بالبنادق على النزول بها، لكن هذا المشروع فشل كما ذكر خيميناث يقول"...الذين ذهبوا لإعمار المهدية كان ذلك ضد إرادتهم و بقوا هناك مدة قصيرة "[137] و يضيف في موضع آخر: «أما الذين توجهوا إلى مدينة المهدية

(135) Ibid ,p 73.

(136) Ibid ,p 285-287.

(137) Epalza (Mikel de). «Moriscos y Andalusies en Tunez durante el siglo XVII» Al-Andalus N° 34 (1969)-pp247-327.

فقد أعطاهم الداي البنادق، لأنها منطقة ساحلية ، و لكي يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم من المسيحيين الدين كانوا يأتون بغرض القرصنة، و لكنهم لم يتمكنوا من العيش هناك، ة توجهوا إلى جهة أخرى".[138]

و يشير خيميناث إلى أهمية الأدوار التي لعبها بعض أعيان الموريسكيين فيتجارة البلاد الخارجية سواء خلال النصف الأول من القرن السابع عشر كما تكشف وثائق أرشيف القنصلية الفرنسية على غرار لويس ثباتا و مصطفى داي كردناس الذين كانوا

يتاجران في عديد السلع كالتوابل و الصابون و خصوصا تجارة العبيد[139] أو خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر كما تثبت"يوميات خيميناث" إذ وقفنا على أسماء محمود السرايري و الشريف القسطلي، كمجهزين لسفن القرصنة أو تاجرين في العبيد، يفسر خيميناث الثراء السريع و الكبير للموريسكيين "...بالحلي و النفائس التي جلبوها معهم من أسبانيا "مشيرا إلى أنه كان من بين نساء الموريسكيين" ...من يضع حليا و جواهر أكثر مما كان يخزن في أغنى حوانيت مدينة تونس .و قبل قدومهم حتى ملكات هذه البلاد لا يضعتها .أما حول ملاحظات الأب مالغور في كتابه حول سكان الجزائر فهو يعبر عن صدمته من غقبال عدد من الأتراك و العرب على شرب الخمر بشراهة ، كما يذكر بأن السكان المحليين يحبون الطورون و الحلويات عموما.[140]

أما بالنسبة إلى اليهود فيقدم خيميناث التقسيم التالي لليهود المتواجدين في الجزائر: اليهود المحليين الذين يقول بأنهم ولدوا في شمال افريقيا و يرتدون ملابس سوداء، و يضعون على رؤوسهم قلنسوات سوداء ، ثم اليهود الليفورنيون الذين تزوجوا في العالم المسيحي ثم جاؤوا للعيش في الجزائر ، يرتدون العديد من الملابس المتنوعة ، و يضعون على رؤوسهم "قبعات جميلة"، و هؤلاء في الغالب هم من التجار و يعرفون اللغات الأوروبية، و أن بعضهم أثرياء

(138) GAFSI (Abd el Hakime) , «Aperçue sur l'ancien palais de Mustafa de Cardenas à Grombalia » en Abdeljalil Temimi (éd) Mélanges louis Cardaillac Zaghouan, FTERST , 1995 , vol ,I.PP.303-318

(139) Ibid ,pp,263 – 266

(140) Ibidem.

جدا،و غالبيتهم من ليفورنة. مواصلا بعد ذلك الحديث عن المهجرين من اسبانيا و البرتغال فيقول: "الذين قدموا من اسبانيا و البرتغال حافظوا على اللغة ، و يتحدثون بشكل جيد الإسبانية و البرتغالية ..."

2- الأسرى الأوروبيين :

مما لاشك فيه أن قضية الأسرى كانت دائما محل توتر للعلاقات بين الجزائر والأمم الأوروبية و كانت المحرك الرئيس في تلك العلاقات، كانت فرنسا ثم إسبانيا من الدول الأولى التي وقعت مع الجزائر اتفاقيات حول افتداء الأسرى. فبعد حملة الأميرال"دوكين" سنة 1682م، والتي قصف من خلالها مدينة شرشال يوم 1682/07/25، رفض الهدنة وتوقيع أي معاهدة جديدة مع الداى"بابا حسن"، مالم يتم تسليم الأسرى الفرنسيين .

بعد فشل حملة "دوكين" أفريل1684م، تم إبرام معاهدة السلم بين الجزائر وفرنسا بعد مفاوضات دامت (20) يوما، وذلك لمدة مائة عام، ومن بين أهم ما نصت ما يلي:

- إطلاق سراح أسرى الفرنسيين والجزائريين.
- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين حتى ولو اسروا من طرف قوات أخرى.
- يشترى الأسرى الفرنسيون قبل سنة 1670م بثلاثمائة ليرة للشخص الواحد.

في عهد لويس الرابع عشر(1638-1715م)،أقدمت فرنسا على إطلاق سراح الأسرى الجزائريين بالمقابل طلب من الداى أن يقدم المساعدة الضرورية للضباط والتجار الفرنسيين الذين يترددون على الموانئ الجزائرية، وكحسن للنية أرسل الملك الفرنسي جوهرة من الماس الخالص إلى الداى تعبيرا له عن تقديره.[141] .

[141] سبنسر، وليم، الجزائر في عهد رياس البحر (تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية)، الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.ص 145.

والملاحظ ان الأسر لم يستثني أحدا من الطبقات الاجتماعية الأوربية، فقد اسر الكثير من النبلاء والأثرياء، وهذا مايذكره الأسرى بأنفسهم أو تتحدث عنهم المصادر .

جدول أصول الأسرى في الجزائر حسب خمينيث:

البلد	العدد	النسبة
اسبانيا	59	14.28
ايطاليا	263	63.68
اليونان	25	6.05
البرتغال	11	2.66
غير معلوم	55	13.31
المجموع	413	100

من خلال متابعتنا للأنشطة القرصنية و الأسرى في يوميات خيميناث سنتي 1724-1725 بالجزائر، وقفنا على أن نسبة الإسبان في هذه الفترة كانت حوالي 14.28% بعد الإيطاليين الذين كانوا في المرتبة الأولى و يمثلون63.68% من نسبة الأسرى.

جدول الأسرى الإسبان حسب أصولهم (1725-1742)

الأصول	العدد	النسبة المئوية
بورغوس	1	1.69
كاتالونيا	31	52.54
يارينا	1	1.69
ميورقة	26	44.06
المجموع	59	100

في الجدول الثاني نلاحظ أن غالبية الأسرى الإسبان هم من الكتالانيين بنسبة 52.54% ثم المايوركيين بنسبة 44% الأمر الذي يمكن تفسيره بالوضعية الجغرافية أي الساحلية لبرشلونة و ميورقة و تعاطي العديد من سكانهم لأنشطة بحرية كالصيد و التجارة. ففي شهر جوان من سنة 1724 يخبرنا خيميناث عن عملية أسر 19 ميروقي،

و أسر 03 آخرين في شهر سبتمبر من نفس السنة، و قد وقع أسر 31 كتالونيا في شهر أفريل من سنة 1725، و بفارق يوم واحد وصل إلى الجزائر في 2 أفريل 11 كتالانيا و 04 ميروقيين، كلهم كما وصفهم خيميناث من ال وصفهم خيميناث من الصيادين الذين أسروا قربسروا قرب السواحل السواحل الإسبانية، أما البقية و البالغ عددهم 20 كتالونيا فقد وصلوا إلى الجزائر في 3 أفريل 1725.[141]

إن هذا "الغزو" للسواحل الإسبانية من قبل القراصنة الجزائريين حسب رأينا يمكن تفسيره بوجود أخبار حول قدوم محرري الأسرى التابعين " لطريقة الرحمة " الجزائر في ذلك الوقت، بمعنى أن هؤلاء القراصنة، كانوا يعلمون بأن عملية بيع هؤلاء الأسرى ستكون سريعة و مؤكدة.

إن تحرير الأسرى هو هدف كل المتدخلين في عملية الأسر: و خصوصا بالنسبة إلى مالك الأسرى ، فللأسير ثمن أو قيمة مادية ستعود إلى مالكه ثم الأسير الذي يبحث عن حريته و العودة إلى وطنه و عائلته، أمام الطرف الثالث فهو "المحررون" و هم في معظم الأحيان من رجال الدين، الذين يتولون مهمة تحرير الأسرى لأسباب في الغالب دينية، أي الخوف من خروج الأسرى من المسيحية و اعتناق الإسلام يمكن القول إجمالا أن تحرير الأسرى" هي عملية تقوم على دفع معلوم مادي مقابل الحرية، و يقوم بهذه العملية أشخاص عاديين أو مؤسسات خاصة، في الغالب ذات طبيعة دينية"[142].

بدأت مهمة تنظيم عملية تحرير في شهر أفريل من سنة 1724 عندما زار فرانشيسكو خيميناث ر داي الجزائر ، كي يقدم له مشروع الاتفاقية التي اقترحتها طريقة الرحمة، حيث

(141) Ximéneze (Francisco) , ms 9/6013, f°,59V ,Sabado 10 de junio de 1724

(142) Buccianti (Cinzia) « A proposito de las redenciones de la Orden de la Merced en Argel y Tunaz durante los Años 1723-1725» Investigaciones histôricas Època moderna y contemporanea. N°17 .1997 ,pp. 61-78.

قال: "ذهبت عند المساء لزيارة الداي، و حملت معي البنود(الشروط) التي يطلبها الآباء المحررون من مقاطعة قشتالة و أندلسية ليأتوا لهذه المدينة..." [143] يحتوي مشروع هذه الاتفاقية على 11 بندا منها تسعة بنود في علاقة مباشرة بموضوع التحرير، في حين أن البندين الأخيرين يتعلقان بمستشفى الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر يمكن أن نلخص من خلال هذه البنود إلى أن طريقة الرحمة قد أكدت خصوصا على هذه النقاط.

الترخيص يجب أيكون غير محدد زمنيا، و المحررون يمكن أن يأتوا و يذهبوا بكل حرية إلى السلطات أو الخواص لا يمكن أن يفرضوا على المحررين شراء أسرى غير اسبان.

ثمن أسرى البايليك هو 250 بسوس ، و ثمن اسرى الخواص يحدد في إطار التفاوض مع أسيادهم.

- إذا اعتنق أي عبد محرر الإسلام، على أسياده أن يعيدوا ثمن تحريره للمحررين.
- يجب ترك الأسرى يبحرون بعد تحريرهم و عدم مطالبتهم بديون قديمة.
- لا يمكن لأصحاب الأسرى أن يتراجعوا بعد الاتفاق على ثمن التحرير .
- على السلطات أن تضن سلامة المحررين.

و لكي يتحصل خيميناث على إجابة على هذا المقترح كان عليه زيارة قصر الداي خمس مرات ما بين 3 و 23 أفريل 1724، حيث كانت الإجابة الأولى المؤرخة في 19 أفريل سلبية فقد اعتبر الباي حسين بن علي الثمن المقترح أي 250 بالجزائر قليل جدا، مطالبا بمبلغ 400 بالجزائر لكل عبد من البايليك.[144]

[143] francisco ximénez. ms 9/6013 ,f° 42v , Martes.3 de Abril de 1724

[144] francisco ximénez. ms 9/6013 ,f° 47v ,f°48 jueves 19 de Abril de 1724

الخاتمة

ارتكزت الأنشطة الدعائية للأوروبيين المقيمون في الجزائر و على رأسهم رجال الدين و المبعوثين الدبلوماسيين على الجوسسة و الدعاية المغرضة و تشويه صورة الجزائر على جميع الأصعدة. كانت جل كتاباتهم حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني تنطلق من نظرة استعلائية باغضة لقيم أمة الجزائر وحضارتها بعيدة عن الموضوعية و النزاهة. وتوضيح أبرز أليات النشاط الدعائي

و أهدافه سجلته مذكراتهم و تقاريرهم العدائية ضد الجزائر و أمتها، و تتمحور في النقاط التالية:

- تصوير حياة و معاناة الأسرى الأوروبيين في الجزائر ، مع نسيان أسرانا في الجهة الأخرى.
- أسباب اعتناق الأسرى الأوروبيين للإسلام بمدينة الجزائر.
- الطعن في معتقدات الأمة الجزائرية و السخرية من الشعائر الإسلامية.
- تصوير الجزائر على أساس أنها وكر للقرصنة و أمة متخلفة.

أمام اختلال التوازن بين تفوق القوى الإيبيرية وتراجع قوى المغرب العربي مع بداية القرن **15**م حيث تكالبت إسبانيا والبرتغال ضد الإسلام والمسلمين في حرب صليبية مدعمة بدعاية وسند مادي للكنيسة، عن طريق شن غارات اتسمت بالتوحش والشراسة، وأمام سلبية المقاومة الرسمية للدولة الزيانية ، كان الفضل للقوة الإسلامية العثمانية التي ستدخل في إطار عاطفة دينية لتوحيد الخلافة الإسلامية لإنقاذ المغرب الإسلامي من هذا الغزو ، وتلبية دعوات السكان المحليين لمساعدتهم على صد العدوان الصليبي وحماية الثغور وتحريرها، وإقامة حكم إسلامي جديد في إطار إحياء الخلافة الإسلامية. تعددت الدوافع التي جعلت الأوروبيين من قناصل وتجار وجواسيس ورحالة أن يشدوا الرحال نحو الجزائر أثناء العهد العثماني، والاهتمام بتاريخها وألقوا بذلك أهم في الجزائر أثناء تلك الفترة ،ولعل أهمّ هذه الدوافع: : الدوافع السياسية، الجوسسة، الدوافع الانسانية والدينية، الدوافع العلمية، الدوافع السياسية، الجوسسة، الدوافع الانسانية والدينية، الدوافع العلمية.

لقد تم تصوير مدينة الجزائر في العهد العثماني على أساس أنها حصن متين للإسلام لا يمكن اختراقه. و قد زاد من قوتها المظهر الطبيعي و الميناء الذي تم تشييده منذ عهد خير الدين الذي

جعلها قاعدة بحرية فعالة في حوض البحر الأبيض المتوسط، و قد انبهر الكثير من الرحالة بجمال المدينة و عمرانها ذو الطابع العثماني و خاصة الاستحكامات القوية المتمثلة في المواقع العسكرية و القلاع و الأبراج و الأرصفة المسلحة. لقد بنيت مدينة الجزائر العثمانية على شكل مثلث، قمته القصبة و من وراء المواقع الدفاعية الميناء أو الاستحكامات الدفاعية. و استحقت المدينة اسم الجزائر المحروسة طوال الفترة العثمانية بسبب قوة تحصيناتها الجيدة التي بناها العثمانيون و تطوير هياكلها العسكرية بدرجة عالية و مهارة معمارية فائقة. فقدم الأسرى و الرحالة الفرنسيين و الإسبان صورة واضحة عن الجزائر العسكرية في كتاباتهم، لمعرفة حقائق عن الجزائر شعبا و حضارة.

تم اختيار مصدرين في توضيح صورة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال انطباعات الدبلوماسيين و التاجران الفرنسيان شارل فليب فالييرو بيار جوزيف ما يفريد لأنهما سجل معظم الأحداث و الانطباعات عن فترة تواجدهما بالجزائر خلال الفترة العثمانية. انطلاقا من مذكرات شارل فيليب فالير " ،الذي جمعها شايو من وثائق خاصة حول القنصل الفرنسي شارل فيليب فالير، يتمكن الباحث من خلالها معرفة صورة واضحة عن الجزائر خلال الفترة العثمانية بدون خلفيات،مثله مثل سابقيه من الأوروبيين إلا أنه قدم انطباعات جد قاسية عن الجزائر و الجزائريين خلال هذه المرحلة ، فكتب عن تمرد الإنكشارية ضد الداي علي خوجة(**1817**) ، وثورة الكراغلة ضد الأتراك ومجزرة الإنكشارية. وتضمنت جل انطباعاته و ملاحظاته عن مدينة الجزائر حول: قصر الداي، حكومة الجزائر، انتخابات الديوان، وزراء الجزائر،الباشا، السكان، العادات و التقاليد ،الدين الإسلامي و الشعائر الدينية، البايليكات و تقسيماتها، اللغة والزواج، أوضاع المرأة، المستشفيات و الأمراض، القوات العسكرية.

كما كانت المشاريع الفرنسية للاحتلال الجزائر من خلال مذكرات و تقارير الجواسيس و المبعوثين الدبلوماسيين، فرصة لمعرفة تطورات الاحتلال و أسباب انتصار الحملة الفرنسية على الجزائر سنة **1830**.

على العموم كانت الكتابات الفرنسية والإسبانية من خلال مذكرات رجال الدين و الأسرى و المغامرين و الرحالة و المبعوثين الدبلوماسيين تجري في سياق واحد هو:

- تشويه صورة الجزائر على جميع الأصعدة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

- جعل الجزائر سجن كبير للأسرى الأوروبيين و تصوير مشاهد القمع و التعذيب في حقهم. مع نسيان أوضاع الأسرى المسلمين و المغاربة في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط.[1]
- الحط من قيمة الجزائر و الجزائريين.
- تشويه صورة الإسلام، و أن الأسرى إذا اعتنقوا الإسلام فتقدم لهم امتيازات و كأنها رشاوي دينية.

[1] موضوع يحتاج من الباحثين العرب و المغاربة على الخصوص البحث فيه ، بالاعتماد على أرشيفات البحر الأبيض المتوسط.

الملاحق

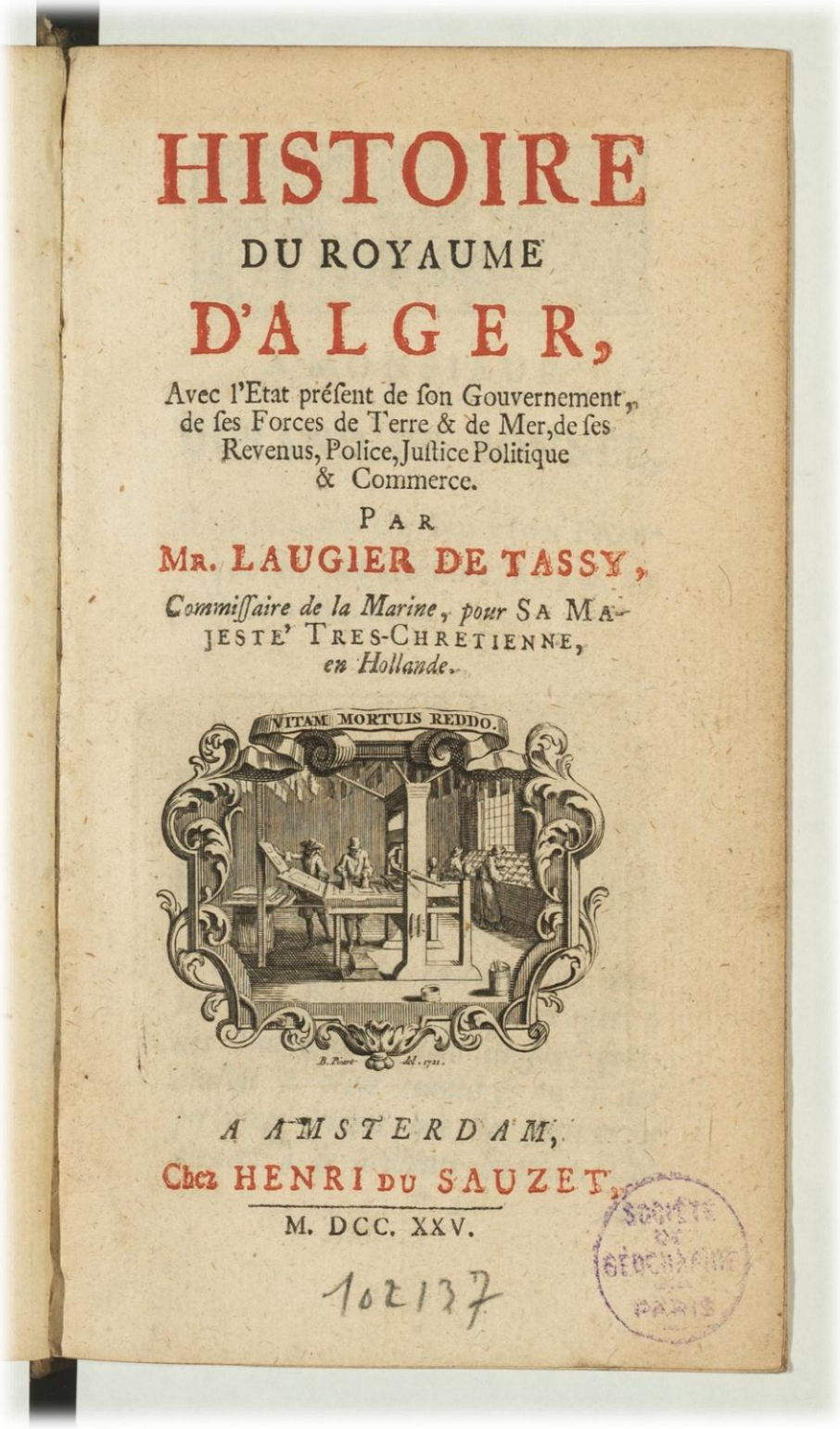

HISTOIRE
DU ROYAUME
D'ALGER,
Avec l'Etat préſent de ſon Gouvernement, de ſes Forces de Terre & de Mer, de ſes Revenus, Police, Juſtice Politique & Commerce.
PAR
Mr. LAUGIER DE TASSY,
Commiſſaire de la Marine, pour SA MAJESTE' TRES-CHRETIENNE, *en Hollande.*
VITAM MORTUIS REDDO.
A AMSTERDAM,
Chez HENRI DU SAUZET,
M. DCC. XXV.
102137

صورة غلاف كتاب لوجي دي طاسي المطبوع في أمستردام

PEYSSONNEL ET DESFONTAINES.

VOYAGES

DANS LES RÉGENCES

DE TUNIS ET D'ALGER,

PUBLIÉS

PAR M. DUREAU DE LA MALLE,

Membre de l'Institut
(Académie des Inscriptions et Belles-Lettres).

TOME PREMIER.

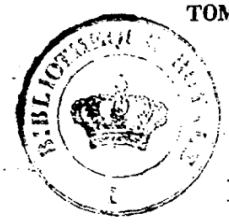

PARIS,

LIBRAIRIE DE GIDE,
ÉDITEUR DES ANNALES DES VOYAGES,

1838.

صورة غلاف كتاب بايصونال طبعة 1838

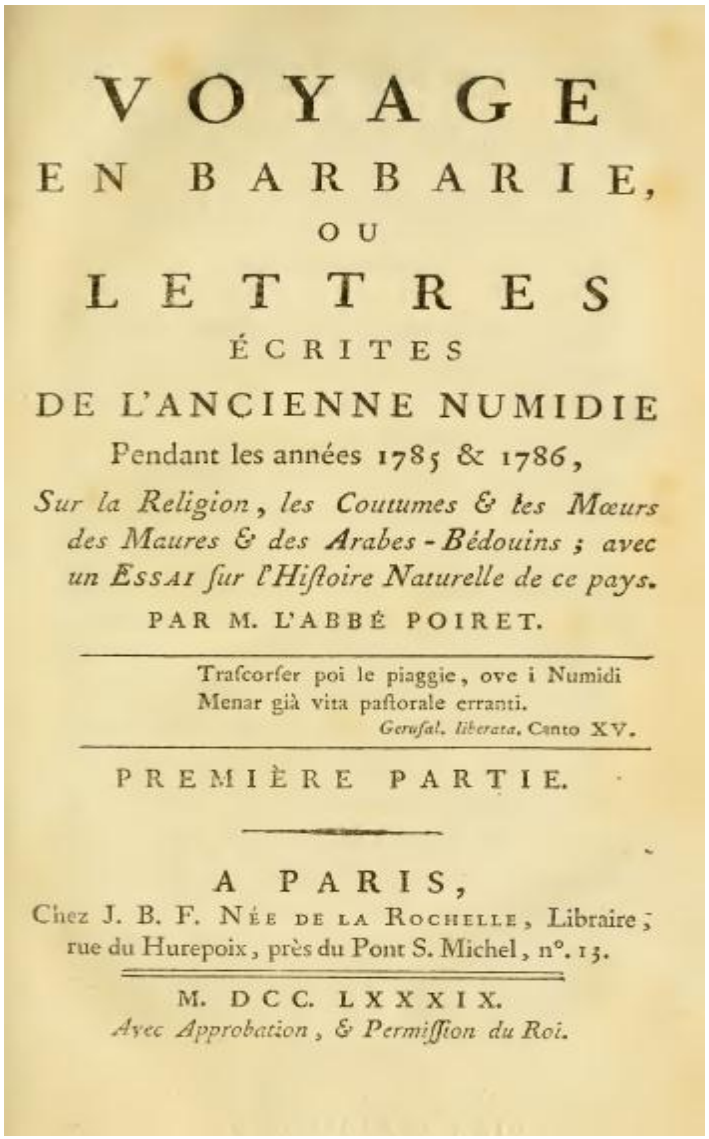

VOYAGE
EN BARBARIE,
OU
LETTRES
ÉCRITES
DE L'ANCIENNE NUMIDIE
Pendant les années 1785 & 1786,
Sur la Religion, les Coutumes & les Mœurs des Maures & des Arabes-Bédouins ; avec un Essai sur l'Hiſtoire Naturelle de ce pays.
PAR M. L'ABBÉ POIRET.

Traſcorſer poi le piaggie, ove i Numidi
Menar già vita paſtorale erranti.
Geruſal. liberata, Canto XV.

PREMIÈRE PARTIE.

A PARIS,
Chez J. B. F. Née de la Rochelle, Libraire ;
rue du Hurepoix, près du Pont S. Michel, n°. 13.

M. DCC. LXXXIX.
Avec Approbation, & Permiſſion du Roi.

صورة غلاف كتاب بواري

صورة أسير مسيحي مكبل بالسلاسل سنة 1690 كما صورته المصادر الأوروبية

المصدر:

Récit de captivité de Joao Mascarenhas1621–1626,Traduit du Portugais ,Annoté et présenté par Paul Teyssier,paris,Chandeigne,1993.

Falaque infligée à un esclave. Cliché Bibliothèque nationale, Paris.

معاقبة الأسرى في الجزائر كما صورها الأسرى و مفتديهم

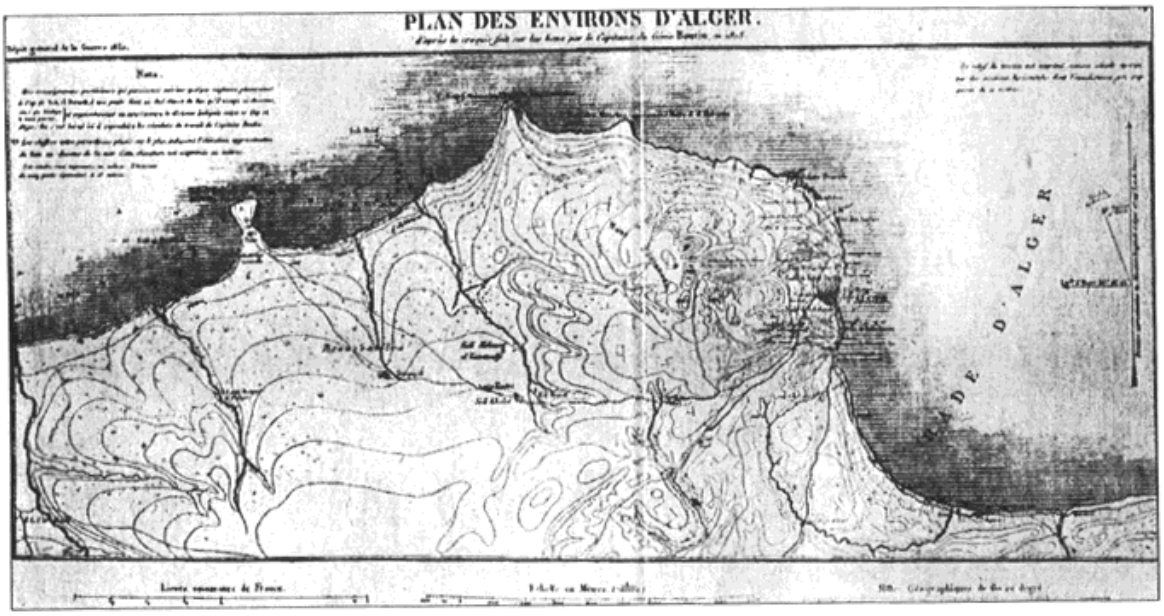

توضيحة من تصميم الجاسوس بوتان خريطة

المصادر

Léo, **BERJAUD**, ***Boutin agent secret de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie française***, **Ed**. **Frédéric Chambriand**, **Paris**, **1950**.

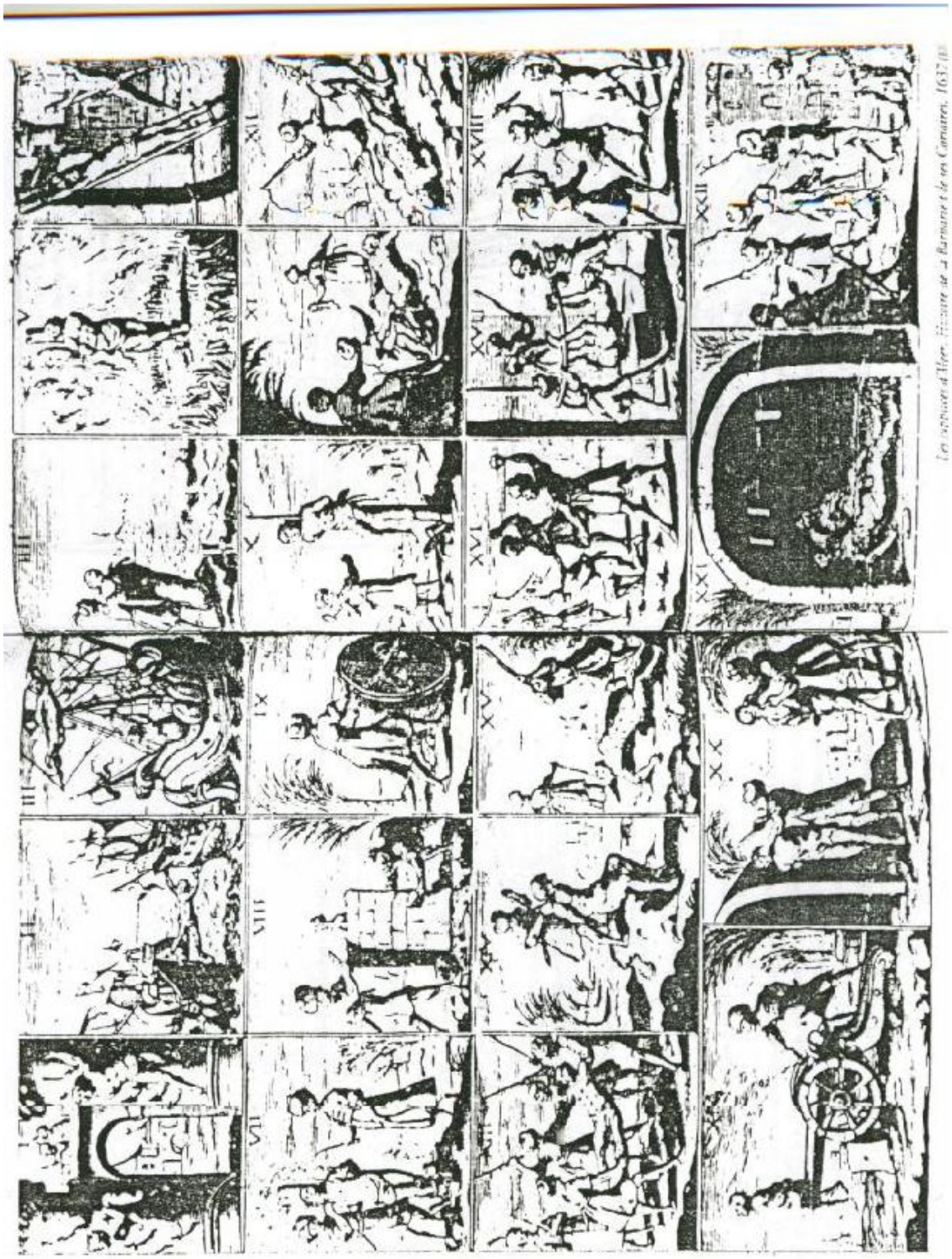

العقوبات المسلطة على الأسرى المسيحيين في الجزائر حسب كتابات دان

معاهدة 1619م

عن جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، ص.ص، 263-265

معاهدة 21 مارس 1619

البند ـ 1

كل معاهدات الامتيازات المبرمة بين العاهلين (السلطان العثماني، وملك فرنسا) من أجل السلم والراحة العامة لممالكيهما ستبقى مرعية ومحترمة بدقة واخلاص ولن يمس بها بطريق مباشر أو غير مباشر ولا بأية طريقة كانت.

البند ـ 2

كل قرصنة أو غارة وكل الاعمال العدائية ستتوقف بين الطرفين، ومن الآن فصاعدا فان القراصنة [2] الجزائريين عند ملاقاتهم بالسفن والمراكب الفرنسية سواء تلك القادمة من الشرق أو الآتية من الغرب، أو بأي تاجر مبحر تحت الراية الفرنسية، فانه لا يجوز لهم الاستيلاء على هذه المراكب أو تفتيشها ولا أخذ أي شيء منها، ولا يحق لهم مساس أي شخص أو مد يدهم لأي شيء لا الى السفينة ولا الى الأمتعة أو السلع أو لأي شيء آخر، حتى ولو كانت هذه ملكا لاعداء السلطان وفقا لمعاهدات الامتيازات المشار اليها حيث أن هذا التخصيص تم التنصيص عليه فيها، وحتى ولو كان الاشخاص المقلين بهذه السفن مقاتلين باعتبار أن السلم مع الجزائر لا يشمل جميع البلاد المغربية [3] ولا يمكن التأكد من أي بلد كان المعتدى [4].

البند ـ 3

لضمان عدم خرق هذا الاتفاق من طرف الأفراد والخواص فلن يسمح لأي مركب أو سفينة قرصنة مغادرة ميناء مملكة الجزائر الا بعد تقديم ضمانات بكونها لن تتعرض للفرنسيين بأي أذى ولا اقتيادهم الى موانئ أخرى خارج المملكة.

البند ـ 4

لن يسمح لقرصان بلدان وممالك أخرى بسوق الاسرى من الفرنسيين الى الجزائر أو الى سواحلها، واذا ما حدث ذلك فانه سيطلق سراحهم في الحال وترد اليهم مراكبهم وأمتعتهم.

البند ـ 5

كما أن جلالته لن يسمح أبدا بتسليح أية سفينة في موانئه ومرافئه لغرض الاعتداء على المراكب الجزائرية، وفي حالة ما اذا قام بعض رعاياه الذين هم في خدمة أمراء أجانب بأعمال القرصنة على سواحل البلاد المغربية، فان جلالته يتبرأ منهم ولن يسمح لهم باللجوء الى سواحل مملكته أو سوق الاتراك[5] الى موانئه، واذا ما حدث ذلك فانه سيتم إطلاق سراحهم في الحال وترد اليهم أمتعتهم.

البند ـ 6

كل الفرنسيين بصفة عامة سواء الذين هم من أهل هذا الساحل أو أولئك الذين هم من أهل لا نقدوك، ڤويين، نورماندي أو بروطانيا وبصفة عامة كل رعاياه أو غيرهم الذين أسروا تحت الراية الفرنسية والموجودين في مدينة الجزائر أو في الاراضي التابعة لها، سيطلق سراحهم وتعاد اليهم مراكبهم وأمتعتهم، كما أن كل أتراك مملكة الجزائر أينما وجدوا، سواء في أجفان الملك أو في داخل مملكة فرنسا سيطلق سراحهم ويسلمون الى هذين المندوبين لاقتيادهم الى الجزائر. واذا وقع البعض في الاسر في المستقبل فانهم سيوضعون بين أيدي قناصل هذه المدينة (الجزائر) في مرسا[illegible]

نقلهم الى الجزائر.

البند ـ 7

إن الايطاليين والاسبان الساكنين والمقيمين في فرنسا والذين يطلبون أن يعتبروا مثل رعايا الملك فانهم سيعاملون تماما كما يعامل الفرنسيون الاصليون.

البند ـ 8

من أجل ضمان أكثر لتنفيذ ترتيبات هذا الاتفاق وهذه المعاهدة فان صاحبي الفخامة الباشا والديوان، سيرسلان اثنين من الاعيان للاقامة في هذه المدينة، مرسيليا، كرهائن [7] لسماع الشكاوي التي تقدم بسبب التجاوزات التي قد تحدث وتبليغها للباشا والديوان بكل اخلاص، كما سيحضيان بكل انواع المعاملة الحسنة، وكذلك بالنسبة للقناصل الفرنسيين الذين سيقومون بنفس المهمة في الجانب الآخر والذين سيعاملون بالاحترام والتكريم اللائقين بموظف ممثل لشخص ملك كبير مثله.

البند ـ 9

وفي حالة ما اذا وقع حدث في المستقبل، من طرف أو من آخر والذي من شأنه أن يعتبر تعديا وانتهاكا، فانه لايجوز للطرف الذي يعتبر نفسه مؤذى أن يبادر الى استعمال القوة أو الرد بالتعدي وإنما يجب أن يطلب ترضيته في الحال، واذا ما رفض له ذلك ففي هذه الحالة يمكنه أن يعمد الى استعمال القوة. وبالنسبة للأمور الأخرى فانه يرجع فيها الى معاهدات السلم القائمة بين الامبراطوريتين (الفرنسية والعثمانية). لقد ألح على المندوبين بوجوب نشر هذه المعاهدات والتعريف بها بين رعاياهما لاحترامها والتقيد بها لكي لا يضطر صاحب الجلالة مرة أخرى الى استعمال جيشه الذي لا يقهر لأجل رفع الحيف الذي قد يحيق برعاياه والذي لا يقبله. لقد تعهد المندوبان باسم الباشا والديوان والاوجاق بالقيام بذلك [8].

الملحق رقم 02معاهدة 19 مارس 1628 م عن جمال قنان، مرجع سابق، ص.ص266-268

معاهدة 19 مارس 1628

البند ـ 1

كل الاسرى المسترقين من المسلمين الذين يفرون من أراضي الاعداء ويلتجئون الى بلاد فرنسا، ستعطى لهم حرية المرور للعودة الى الجزائر. وستعطى أوامر لكل حكام المدن ومناطق الحدود لمملكة فرنسا ولكل انسان آخر بعدم ارجاع أو بيع هؤلاء المسلمين الى اعدائهم.

البند ـ 2

عندما تلتقي المراكب الجزائرية بالمراكب الفرنسية سوف تتبادل المعلومات كأصدقاء حقيقيين. ولكي يسمح لرجال السفن الجزائرية بزيارة (تفتيش) المراكب الفرنسية، فانه يمنع عليهم أخذ أي شيء كاستبدال أشرعة قديمة بأشرعة جديدة أو حبال أو مدافع أو ذخائر حربية أو أي شيء آخر، كما يحضر عليهم تهديد أصحاب المراكب أو الكتاب أو أي فرد من أفراد الطاقم أو غيرهم لاجبارهم على التفوه بغير الحقيقة.

البند ـ 3

اذا كانت السفينة أو كان المركب المفتش محملا بسلع لحساب اعداء السلطان، وبعد توضيح الأمر والتأكد منه جليا، فانه سيتم سوق المركب أو السفينة الى الجزائر حيث يتم استخلاص المكوس على هذه السلع ثم توجه الى حيث تشاء، ولن تصادر هذه السلع لئلا يؤدي ذلك الى ضياع ثقة الناس في السفن المكرية.

البند ـ 4

كل فرنسي أسر على مركب من مراكب اعداء الجزائر، ويكون متزوجا ومقيما في بلد هؤلاء الاعداء فانه سيعتبر عدوا.

البند ـ 5

واذا تعارفت المراكب الفرنسية والجزائرية وتم استجلاء الوضع بينهما،

ضرورة تجنب ذلك، ومن أجل ضمان أكثر، فانه سيتم أخذ تعهد من كل الذين سيخرجون بالمراكب من أجل القرصنة بكونهم سيعودون الى الجزائر، ويمنع تعيين أجانب رياسا للاجفان والسفن.

البند ـ 10

يتعهد كل من الطرفين بمراعاة واحترام بنود المعاهدات المبرمة بين عاهليهما، اللذين يرفع الله مجدهما ويزيد من تقواهما، بدقة.

البند ـ 11

والتي بمقتضاها فانه لا يحق لأي احد أن يدخل بيت قنصل فرنسا ولأي غرض كان، واذا طلب أحد شيئا من القنصل فان الديوان يختار شخصا للفصل في ذلك بحضور الآغا، رئيس الديوان، وتراعي العدالة ولن يلحق بالقنصل أي أذى من أجل أن يعيش في أمن واستقرار مع كل التكريم والاعتبار.

البند ـ 12

قد يوجد سواء من جهة فرنسا أو من جهة الجزائر من يقوم بعمل من شأنه المساس ببنود هذه المعاهدة أو بوصايا السلطان أو بالمعاهدات المبرمة معه، هذا الشخص سوف يعاقب بالموت القاسي وكل من يمس بنود المعاهدة سوف تقطع رؤوسهم [10]

معاهدة 1640م

عن جمال قنان، مرجع سابق، ص ص، 268-272

«معاهدة السلم التي أبرمت مع الجزائريين من طرف السيد كوكيل في هذا اليوم 7 جويلية 1640» (11)

سبب تحرير هذا المكتوب هو أنه في سنة 1640 وفي السابع من جويلية الموافق لسنة 1050 من يوم الخامس من هلال ربيع الأول حسب تاريخ المسلمين الاصدقاء القدامى لامبراطورنا الاقوى والأمجد.

إن امبراطور فرنسا، ختم الله كل اعماله بالنجاح وابقاه دائما على طريق المجد، قد أرسل من طرفه جون باتيست دي كولييل نبيله، كمبعوث الى مدينة الجزائر المحروسة لأجل العمل على تغيير حالة العداء القائمة بيننا الى حالة السلم الجيد.

ولقد امتثل من أجل هذه الغاية أمام ديواننا وقدم رسائل اعتماده بحضور يوسف باشا، أجاب الله دعاه وأمام الحكماء والقضاة وكل أعيان هذه المملكة الذين وافقوا جميعا، مراعاة للصداقة القديمة التي تربط بين امبراطورنا (السلطان) وامبراطور فرنسا، على كتابة هذه المعاهدة.

البند ـ 1

كل الاشخاص من أية جنسية يكونون الذين أخذوا في باستيون فرنسا وكذلك كل الفرنسيين الاصليين الذين أسروا بدون قتال والموجودين حاليا في هذه المدينة سيطلق سراحهم ويسلمون الى المعني دي كوكييل وكذلك كل الموجودين في الاماكن الأخرى وفي الأراضي الملحقة بالباستيون فانهم سيسلمون الى القنصل أو الى نائب قنصل فرنسا ويبحرون بدون دفع رسم الميناء ولا الرسوم الأخرى لموظفي الميناء.

البند ـ 2

وبالمقابل، فبمجرد وصول نبأ هذه المعاهدة الى فرنسا فانه سيرسل الى هذه المدينة (الجزائر) كل المسلمين الذين تم أسرهم من بحارة سفن : البرنوسي، ورجب رايس وفيليبو وكذلك أولئك الذين تم أسرهم من على متن البولاكر التي استولت عليها سفن الملك وكذلك طاقم المركب الذين أسروا قرب بونة.

البند ـ 3

سيسلم كذلك للمعنى كوكييل باستيون فرنسا مسكاريس المشهور بالقالة والرأس الحمراء وميناء بونه وسواحله مثلما كان عليه الحال في الماضي.

البند ـ 4

في المستقبل، اذا ما التقت سفننا مع السفن الفرنسية فانها ستتبادل التحية وكذلك الاخبار مع بعضها البعض اذا رغبت في ذلك، ولا يسع لأي فرد من البحارة بالصعود الى السفن الفرنسية ولا أخذ أي شيء من تجهيزاتها ولا من مواد تموينها وسلعها ولا أي شيء آخر، ولا مضايقتها، كما لا يضرب أي أحد من بحارتها لاجباره على الاعتراف بما اذا كانت لديهم سلع ملك لاعدائنا، فهؤلاء يدلون بتصريحاتهم بدون أي ضغط ويسلمونها ان وجدت لديهم هذه السلع، وتدفع لهم أجرة النقل.

البند ـ 5

ولا يسمح بإجبار الأطفال ولا الأشخاص الآخرين لكي يصبحوا أتراكا، (أي مسلمين) والذين يقومون بهذا العمل سيعاقبون عند عودتهم والأطفال سيطلق سراحهم بعد الادلاء بأقوالهم.

البند ـ 6

فالساكنون والمتزوجون في فرنسا سيتمتعون بنفس الامتياز الذي للفرنسيين الأهليين مهما كانت جنسيتهم.

البند ـ 7

كل الفرنسيين الذين يعملون على السفن الحربية التابعة لاعدائنا ومتزوجين في بلدانهم فانهم سيسترقون عند أسرهم مثل الاعداء.

البند ـ 8

كل المراكب الفرنسية التي تضطرها سوء حالة الطقس الى الارساء في الجزائر أو في احدى الموانئ البربرية فانها لن تمس بأي أذى ولا حتى تساق الى مدينة الجزائر.

البند ـ 9

واذا ما وجد فرنسيون على متن سفن اعدائنا كمجرد ركاب فانهم لا

يعاقبون ولا يسترقون حتى ولو كانوا على ظهر سفن حربية.

البند ـ 10

واذا حدث أن قامت سفن من الجزائر، كانت قد جهزت (سلحت) من طرف الاهالي أو من الطفاريين، (أهل الاندلس الـذين استقروا في مـدينة الجزائر) ولم يكن بها ضباط للديوان، بأسر أحد الفـرنسيين منتهكة بـذلك معـاهدة السلم فـان مجهزي هـذه السفن سيعتبـرون مسؤولين ويعـوضـون الخسائر.

البند ـ 11

ان الفرنسيين الذين لايزالون هنا كأرقاء والمسلمون الذين أخذوا من على ظهر الاجفان الاسبانية والموجودين في فرنسا (في نفس الوضع) فـانه سيتم، بعون الله تحريرهم في أجل قصير، وفي انتظار ذلك، فاذا وجد من بين الفرنسيين الباقين هنا من يريد افتداء أنفسهم فانهم يستطيعون ذلك بدفع الثمن الذي اشتروا به لأسيادهم.

البند ـ 12

إن شخصية القنصل ستحترم وسيتمتع بنفس التشريفات والامتيازات والحقوق التي يتمتع بها نظراؤه في موانئ السلطان كما يعترف به من طرف رعايا الأمم التي ليس لها قنصل، وتدفع له الحقوق وخاصة رعـايا القـورنة وغيرهم.

البند ـ 13

يستطيع القنصـل المعني استحضار قسيس أو غيـره الى منزلـه لاداء الصلوات والقيام بالشعائر الأخرى في الكنيسة الخاصة التي يستطيع بناءها مثل القناصل الاخرين في الشرق بدون أن يمنعه أحد من ذلك.

البند ـ 14

ولضمان احترام هذه المعاهدة فانه يرسل عضو من الديوان ـ مزور أو آغا

أو بلوك باشي ـ للاقامة في باريس لدى جلالته لضمان ما نص عليه اعلاه والذي سيتم تغييره مرة كل ثلاث سنوات.

البند ـ 15

ان المسلمين الذين يفرون من اسبانيا أو من الاماكن الأخرى تعطى لهم حرية المرور بفرنسا ويتم إرسالهم (الى الجزائر) في أول فرصة مواتية.

البند ـ 16

اعتبارا للسلم القائم بين سلطاتنا وإمبراطور فرنسا صديقه القديم الحميم، فاننا نحن كذلك وعدنا وأقسمنا على المحافظة على هذا السلم، ولن يستطيع أحد انتهاكه.

قرأت هذه المعاهدة أمام كل الحكماء واعيان الديوان وأمام كل الرياس والضباط وحررت في نسختين واحدة لترسل الى فرنسا والاخرى للاحتفاظ بها هنا في خزينة القصبة.

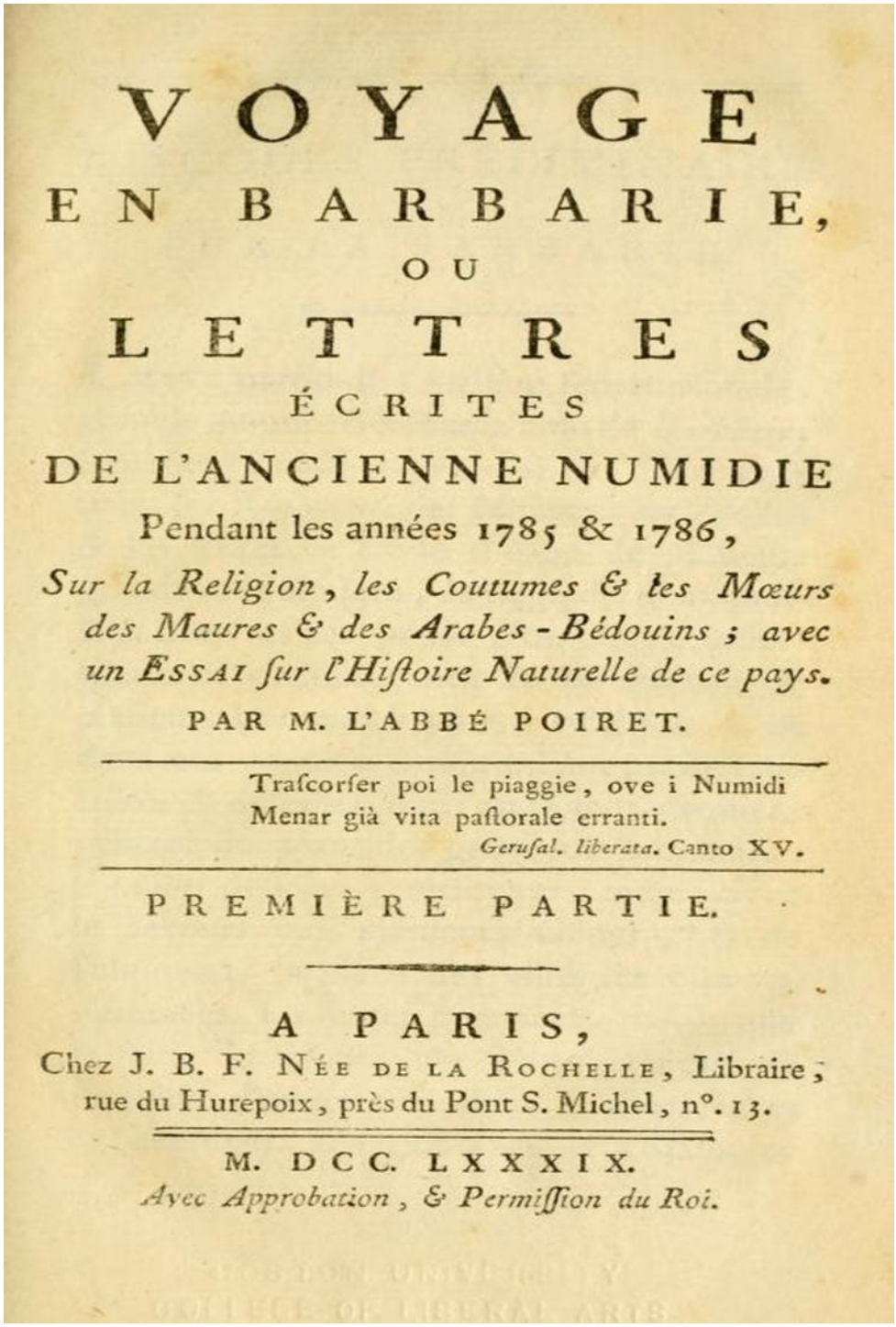

VOYAGE
EN BARBARIE,
OU
LETTRES
ÉCRITES
DE L'ANCIENNE NUMIDIE
Pendant les années 1785 & 1786,

Sur la Religion, les Coutumes & les Mœurs des Maures & des Arabes-Bédouins ; avec un Essai sur l'Hiſtoire Naturelle de ce pays.

PAR M. L'ABBÉ POIRET.

Traſcorſer poi le piaggie, ove i Numidi
Menar già vita paſtorale erranti.
Geruſal. liberata. Canto XV.

PREMIÈRE PARTIE.

A PARIS,
Chez J. B. F. Née de la Rochelle, Libraire ;
rue du Hurepoix, près du Pont S. Michel, n°. 13.

M. DCC. LXXXIX.
Avec Approbation, & Permiſſion du Roi.

Abbe, Poiret, Lettres de Barbarie, Préface Denise Brahimi, Paris, éditions le Sycomore,1980.

RELATION D'UN VOYAGE

SUR

LES COTES DE BARBARIE,

FAIT PAR ORDRE DU ROI,

EN 1724 ET 1725,

PAR

JEAN ANDRÉ PEYSSONNEL,

DOCTEUR-MÉDECIN, CORRESPONDANT DE L'ACADÉMIE DES SCIENCES, ASSOCIÉ DE L'ACADÉMIE DE MARSEILLE, DE LA SOCIÉTÉ ROYALE DE LONDRES, ET DES ACADÉMIES DE ROUEN ET DE MONTPELLIER.

PEYSSONNEL ET DESFONTAINES.

VOYAGES

DANS LES RÉGENCES

DE TUNIS ET D'ALGER,

PUBLIÉS

PAR M. DUREAU DE LA MALLE,

Membre de l'Institut
(Académie des Inscriptions et Belles-Lettres).

TOME PREMIER.

PARIS,
LIBRAIRIE DE GIDE,
ÉDITEUR DES ANNALES DES VOYAGES,
1838.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

I. باللغة العربية:

أولا: الوثائق:

1. مجموعة وثائق تاريخ الجزائر العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 174.**
- **مج 3190، الملف الثاني، ورقة 2.**
- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 301.**
- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 74.**
- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 436.**
- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 126.**
- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 196.**
- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 357.**
- **مج 3190، الملف الأول، ورقة 93.**
- **مج، 1642، ورقة 9.**

2. **الأرشيف الإسباني**

- francisco ximénez. ms 9/6013 ,f° 42v , Martes.3 de Abril de 1724,Madrid
- Ximéneze (Francisco) , ms 9/6013, f°,59V ,Sabado 10 de junio de 1724
- Iglesia Parrochial de Santa Maria Esquivais Matrimonios libro 3 folio 106 anv 1a inscripcion.

Mohamed el Tahager de urrea .De letra de fr Francisco ximénez Madrid Real Academia de la Historia ms.9/6025

ثانيا: المصادر المطبوعة:

- **ابن ميمون، محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية (تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.**
- **الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا (ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر)، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.**
- **بفايفر، سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال (ترجمة وتقديم وتعليق: د.أبو العيد دودو)، الجزائر: دار هومة، 1998م.**

- خوجة، حمدان بن عثمان، المرآة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
- كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، (ترجمة وتعليق: اسماعيل العربي)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.
- مجهول كتاب غزوات عروج وخير الدين، (تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر)، الجزائر المطبعة الثعالبية، 1934م.
- مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، (ترجمة: اسماعيل العربي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982م.
- مارمول كربخال، إفريقيا، (ترجمة: محمد حجي،محمد زنيبر،محمد الأخضر)،الرباط: الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، 148-1409هـ/1988- 3،1989 أجزاء
- ابن سحنون ،أحمد بن محمد بن علي الراشدي، ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، (تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي)، قسنطينة، وزارة التعليم الأصلي، 1973م، ص 201.
- الونشريسي، أبو العباس أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981

ثالثا: المراجع:

- ألتر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، (ترجمة: محمود علي عامر)، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1989م.
- أسيودان، العربي ، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة. ترجمة: جناح مسعود. الجزائر: دار القصبة. 2007 (د ص).
- بوعزيز، يحي، موجز تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة و الحديثة.ج2. الجزائر: عالم المعرفة. 2009.
- بوعزيز (يحيى)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا(1500-1830) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985.
- بوعزيز، يحي، الموجز ، ج1: ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1965.
- بوحوش، عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962. بيروت: دار الغرب الإسلامي.(د س ط).

- بفايفر، سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال (ترجمة وتقديم وتعليق: د. أبو العيد دودو)، الجزائر، دار هومة، 1998م.
- بوضرساية، بوعزة ،الجرائم الفرنسية الجماعية في الجزائر خلال ق 19م،الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954. 2007.
- بوضرساية، بوعزة ، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830. 1930 و انعكاساتها على المغرب العربي. الجزائر: دار الحكمة. 2010.
- بوهند، خالد ، بحوث و قراءات في تاريخ الجزائر العام. الجزائر: دار الغرب. 2008
- جوليان ،شارل أندري، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة مزالي وآخرون، الدار التونسية، تونس 1983
- حمداني، عمار ،حقيقة غزو الجزائر. ترجمة لحسن زغدار. الجزائر: وزارة المجاهدين. 2008
- خلاصي، علي، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، الجزائر:المتحف المركزي للجيش،1985م.
- خرشي، جمال ،الاستعمار و سياسة الاستيعاب في الجزائر (1830– 1962).ترجمة : عبد السلام عزيزي، الجزائر: دار القصبة. 2009.
- رافق، عبد الكريم، العرب و العثمانيون، (1516–1916)، دمشق: مطبعة ألف باء، 1974
- رزوق، محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991م.
- الزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال (1792–1830م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972م.
- الزبيري، محمد العربي، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي. الجزائر: الشركة الوطنية. 1972.
- زبير ،سيف الإسلام. صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي. الجزائر: المؤسسة الجزائرية. 1988
- محمد، زروال. العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791– 1830).الجزائر: مطبعة دحلب. 1994.
- سبنسر، وليم، الجزائر في عهد رياس البحر (تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.

- سليماني، أحمد تاريخ مدينة الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. (د س ط).
- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، الجزء الثاني.
- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر التوزيع، 1981م، القسم الأول.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، جزءان.
- سعد الله، أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال). ط2. الجزائر: الشركة الوطنية، 1982.
- سعد الله، أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930،ط4،بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1992، ج2
- سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792–1830م)، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.
- شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519–1830)، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009،
- فركوس، صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر، الجزائر: كوكب العلوم. 2012.
- قداش..،محفوظ جزائر. الجزائريين تاريخ الجزائر 1830– 1954. ترجمة : محمد المعراجي. الجزائر: المؤسسة الوطنية. 2008
- قنان، جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619–1830م، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،1987م.
- قنان،جمال، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790–1830م، الجزائر:منشورات متحف المجاهد 1999م.
- قنان.، جمال، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر. الجزائر: المؤسسة الوطنية. 1994.
- قنان.، جمال، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500– 1830. الجزائر: دار الرائد.2010.
- قنديل ،فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي الدار العربية للكتاب ، ط2 ،2002

- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510–1541، (ترجمة جمال حمدانة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- كوزان، أرجمند ، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827–1847).ط2. ترجمة: عبد الجليل التميمي. تونس: بدون دار نشر،1994
- المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492–1792م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م.
- الميلي ،مبارك محمد ،.تاريخ الجزائر في القديم و الحديث. ج3. الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية. (د س ط).
- محمد الميلي (مبارك)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر 1976م
- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، (شرح وتعليق: ممدوح حقي)، بيروت: دار اليقظة العربية، 1964م.
- مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، (ترجمة: اسماعيل العربي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982م
- الميلي، محمد والشريط عبد الله، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، قسنطينة: دار البعث، 1965م.
- مجهول كتاب غزوات عروج و خير الدين (تصحيح و تعليق: نور الدين عبد القادر)، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1934
- محمود باشا، محمد. الاستيلاء على إيالة الجزائر أو (ذريعة المروحة). ترجمة :عزيز نعمان. الجزائر: دار الأمل.2005.
- نبور ،فريد. المخططات الفرنسية اتجاه الجزائر (1782–1830). (د م ط): مؤسسة كوشكار. 2008
- العسلي (بسام)، خير الدين بربروس والجهاد في البحر(1470–1517)، ط1، دار النقاش، بيروت 1980
- غربي نالغالي، و آخرون. العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات و الأبعاد. (د م ط) :منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر.(د س ط).
- الطمار (محمد بن عمرو) تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984

- وولف، جون (ب)، الجزائر وأوروبا 1500–1830م، (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
- العسلي، بسام، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830– 1838). بيروت: دار النقاش.1980.
- عامر (محمود علي)، تاريخ المغرب العربي المعاصر، دمشق 1997
- عبد القادر ،نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورهما إلى انتهاء العهد التركي، قسنطينة: مطبعة البحث، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965
- عمورة، عمار، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962،.ج2.الجزائر: دار المعرفة. 2006.
- وولف، جون (ب)، الجزائر وأوروبا 1500–1830م، (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
- هلايلي،حنيفي، العلاقات الجزائرية الأوروبية الإيالة (1815–1830م)، دار الهدى،الجزائر، 2007م.
- هلايلي ، حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008م.
- يحيى ، جلال، المغرب الكبير، ج3 – العصر الحديث وهجوم الاستعمار–، دار النهضة العربية، بيروت1981

رابعا: الدوريات:

- أجقو، علي، "الدولة الجزائرية الأولى (1514–1830م) دراسة مؤسساتية"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، جامعة باتنة، ديسمبر 1994م، ص 137–154.
- أميلي، حسن، "تاريخ بربارية وقرصنتها للراهب دان"في مؤسسة التميمي للبحت و المعلومات، زغوان ن تونس،العدد 106، فيفري 2002 نص 176–190.
- أميلي حسن ، " النظام العسكري في الولايات المغاربية العثمانية من خلال المؤرخين الفرنسيين نيكولاي و الراهب بييردان"،منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 123، 2005
- بونو ،سالفاتوري ، " وضع الجاليات الأوروبية في المغرب "مجلة الأصالة العدد،25 ، ماي–جوان،الجزائر ،1975، ص ص 138–152.

- حماش، خليفة، "كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 13-14، زغوان: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، أكتوبر، 1996م، ص 288-448.
- حمادي ،عبد الله، "الجزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الاسبان "مجلة المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر **1954** ن العدد **06** مارس **2002** ص ص**15-19**.
- حنفي ،بن عيسى "ميشل، آبار"الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي "،مجلة الثقافة ، العدد ، 3 الجزائر 1971 ،ص 47-50.
- التميمي، عبد الجليل، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد6، تونس، جويلية 1976م، ص 116-120.
- التميمي، عبد الجليل، "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 1541م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد3، تونس، جويلية 1975م، ص 37-47.
- التميمي، عبد الجليل، "الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين"،المجلة التاريخية المغربية، العدد23-24، تونس، نوفمبر 1981م، ص 187-193.
- شويتام، أرزقي ،" التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرن 18-19 و موقف الجزائر منه."، حولية المؤرخ. 4،3. الجزائر: اتحاد المؤرخين الجزائريين. 2005. ص 169-176.
- العربي، اسماعيل ،"بجاية من خلال النصوص الغربية"، مجلة الأصالة، عدد **13**، (عدد خاص)، قسنطينة **1972**
- الوسلاتي (الهادي) : ¨المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس و وثيقة أرشيفية عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة **1756** على تونس¨، المجلة التاريخية المغاربية ،تونس،جويلية، عدد **21-،22** جوان **1981** ، ص **167 – 176**.

II. باللغة الأجنبية:

أولا: المراجع:

- Abbe, Poiret, Lettres de Barbarie, Préface Denise Brahimi, Paris, éditions le Sycomore,1980.

- Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'Armée expéditionnaire d'Afrique, rédigé par trois officiers anonymes, 2 édition, Paris, C.Picquet, 1830.
- Belhamissi (Moulay), Histoire de la marine Algérienne 1516-1830, Alger, 1983.
- Belhamissi (Moulay), Marins et Marines d'Alger (1518-1830), Bibliothèque nationale d'Algérie, 1996, 3T.
- BERJAUD, Léo,Boutin agent secret de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie française, Ed. Frédéric Chambriand, Paris, 1950.
- Berbrugger (Adrien), « un mémoire sur la peste en Algérie, depuis 1552 jusqu'en 1819 », in exploitation scientifique de l'Algérie, imp, Royale, Paris, 1847, T2, PP.205-247.
- Blanvin, la condition et la vie des Français dans la régence d'Alger, Alger, 1899,
- Brahimi, Denise, Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVIIe et XVIIIe siècles ,Paris, Société nationale d'édition et de diffusion, 1978.
- Brahimi (Denise), Opinions et regards des Européens sur le Maghreb au XVII^{e} et XVIII^{e} siècle, S.N.E.D, Alger, 1978.
- Braudel, (Fernand), La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de philippe II, 2ème édition, Armand colin, Paris, 1966.
- Boyer (Pierre), la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Paris, Hachette, 1963
- Carette (E), Algérie, F.Di dot, Paris, 1862.
- Carvajal,Luis del Mármol, Historia del rebelión y castigo de los moriscos del Reino de Granada,Madrid,1600.
- Dan (Père), histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes d'Alger, de Tunis, de Sali et Tripoli, 2ème édition, Paris, P.Rocdet, 1637.
- Dan, Les Illustres captifs, manuscrit du père Dan, analysé par Lpuis, Piesse et H. D. de Grammont Reliure inconnue ,1884

- De Gramaye (Jean, Baptiste), les cruautés exercés sur les chrétiens en la ville d'Alger en barbarie, Paris, 1620.
- Debelle ,Christian alexandra , Histoire des pirate et des corsaires de l'océan et de la méditerranée depuis leur origine jusqu'à nos jours, edition Henri Nobel, Paris 1846T1 p418.
- De Tassy (Laugier), Histoire du royaume d'Alger, Paris, éd Loysel, 1992.
- De Testa (le Baron), Recueil des traités de la porte Ottomane, Paris, 1864.
- Deneveu(X), Les Khoans, ordre religieux chez les musulman de l'Algérie,
- Denise, Brahimi, Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVIIe et XVIIIe siècles, Paris, Société nationale d'édition et de diffusion, 1978.3éd, Jourdan, Alger, 1913.
- De Sandoval, Ximenez, las inscripciones de Oran y Mazalquivir, madrid, 1867
- Dubois – Thainville, Mémoire sur Alger 1809, Pub.par G.Esquer, Paris, Champion, 1927.
- El Korso (M), De Epalza (M), Oran et l'Ouest Algérien au XVIII^{e} siècle d'après le rapport Aramburu, B.N.A, Alger, 1978.
- Epalza (Mikel de). «Moriscos y Andalusies en Tunez durante el siglo XVII»
- Al-Andalus N° 34 (1969)-pp247-327
- Estermazy, Walsin, La domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, C.Gosselin, 1840.
- Fey (H.L), Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole, Oran, 1858.
- Gaïd (Mouloud), l'Algérie sous les Turcs, Alger, éd, Mimouni, 1991.
- Garrot (Henri), Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910.
-
- Genty De Bussy (P), De l'établissement des Français dans la régence d'Alger et des moyens d'un assurer la prospérité, 1ère éd, Paris, Firman Didot, 1839, 2 vol.
- Grammont (H.D.de), Histoire d'Alger sous la domination Turque, 1515-1830, Paris, E.Leroux, 1887.

- Guacir (Ahmed) Historia de Tunez .Traduccion del arabe al espanol por
- Guy Turbet, delof , Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française 1532-1715 édition S.N.E.D Alger 1976. P75
- Haedo (Fray, Diego de), « Histoire des rois d'Alger », Trad et annotée par (H.D- de Grammont), A.Jourdan, Alger, 1881.
- Kaddache(Mahfoud), L'Algérie durant la période Ottomane, OPU, Alger 1991
- Kercy, Mémoire sur Alger en 1791, Pub par G.Esquer, Libraire ancienne honore, champion, Paris, 1927.
- Klein (Henri), Feuillets d'El-Djazaïr, Collection des cahiers du comité du vieil Alger, Alger, Fintana, L.Chair, 1937.
- Mouloud,Gaïd, l'Algérie sous les Turcs,Alger éd Mimouni, 2ed, Alger, 1991,
- Lapyre, Henri, Géographie de l'Espagne morisque, Paris : S. E. V. P. E. N. 1959
- Le Roy, État général et particulier du royaume et de la ville d'Alger, de son gouvernement, de ses terres et de mer, revenus, justice, police, commerce, politique et auquel on a joint quelques pièces aussi authentiques que rares et intéressantes, La Haye, Antoine Van Dole, 1750.
- .Lespés, Rene, Oran étude de géographie et d'histoire urbaine, Paris, Alcan, 11938.
- Nettement (Alfred), Histoire de la conquête d'Alger écrite sur les documents inédits et authentiques, Paris, Jacques le coffre, 1856.
- Pananti, Relation d'un séjour à Alger contenant des observations sur l'état actuel de cette régence, Trad de l'Anglais par Blanquière, le Normand, 1820.
- Parés, A. Jacques, Un Toulonnais à Alger au XVIIIe siècle Meifrun (Pierre Joseph) 1723-1814, Paris, Les éditions Rieder,1931.
- Peyssonel et Desfontaines, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Pub. par. M.Dlureaud de la malle, Paris, Gide, 1838, 2 vol.
- Poiret, Abbe, Lettres de Barbarie, Préface Denise Brahimi, Paris, éditions le Sycomore,1980.

- Poiret, Jean –louis marie , Voyage en Barbarie, ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785 et 1786, sur la religion, les coutumes et les mœurs des Maures et des Arabes-Bédouins ; avec un essai sur l'histoire naturelle de ce pays.Lyon,1789.
- Pouyanne (M), La propriété foncière en Algérie, imp, A.Jourdan, Alger, 1900.
- Rotalier (Charles), Histoire d'Alger et la piraterie des Turcs dans la méditerranée, Paris, 1841.
- Rozet (C.A), Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée Française en Afrique, Paris, Arthus Bertrand, 1830, 3 vol.
- Valensi (Louis), Le Maghreb avant la prise d'Alger, Ed : Flammarion, Paris 1969
- Valette Jacques, « Vallière (C.-Ph.) : L'Algérie en 1781, mémoire du consul C.-Ph. Vallière »Toullon 1974,74Pp., publ. par Lucien Chaillou ,In Revue française d'histoire d'outre-mer Année 1976 , Volume 63 Numéro 230 , p. 151.
- Vallière (J.A), L'Algérie en 1781, Mémoire du consule J.Vallière, Pub. Par lucien chaillo, Toulon, Valbert, Rand.S.D.
- Venture de paradis, Tunis et Alger au XVIII^{e} siècle, présenté par Joseph.Cuoq, Paris, Sindbad, 1983.
- Shaw (Dr), Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc., et de cet état, Trad. de l'Anglais avec des nombreuses augmentations par J.Mac Carthy, Paris, Malin, 1830, 2 vol.
- Sirgodfrey, Légende barbaresque : guerre, commerce ;et piraterie en Afrique du nord
- de (1415- 1830),Traduction et Annoté par Hellal (F), OPU, Alger 1991
- Serres, La politique Turque en Afrique du Nord sous la monarchie de Juillet, Goutheser, Paris, 1925, PP.9-10.
- Ximenez (Francesco) colonia trinitaria de tunez Tetuàn, s.n.1934
-

ثانيا: الدوريات:

- Charles ,BARBET, "*Le colonel Boutin*», In, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger, N° 105-108, Alger, 1926, pp.286-294.
- Berbrugger (Andrien), « les casernes de Janissaires à Alger », in **R.A** (N°3), 1858-1859, PP.132-50.
- BERBRUGGER (A.) et DEVOULX (A.), « Les casernes de janissaires à Alger », Rev. af., In,RA,n°3, pp.132-150.
- Ben mansour ,A.E.H., « le regard du captif ou le bestiaire algérien de J.B,Gramaye » in Revue Historique, N°1985, P.11
- Braudel (Fernand), « Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577 », in **R.A**(N°49), 1929, PP.184-233 / 351-428.
- Boyer ,Pierre , « Chaillou (Lucien), L'Algérie en 1781, mémoire du Consul C Ph. Vallière »,In ,Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Année 1974 Volume 18 Numéro 1 , pp. 193-194.
- Boyer (Pierre), « Introduction à une histoire intérieure à la régence d'Alger », in **R.H**, N°478, Avril – Juin, 1966, PP.297-316.
- Boyer (Pierre), « Le problème Koulougli dans la régence d'Alger», in **R.O.M.M**, N° spécial, 1970, PP.74-94.
- Buccianti (Cinzia) « A proposito de las redenciones de la Orden de la Merced en Argel y Tunaz durante los Años 1723-1725¬» Investigaciones histôricas Època moderna y contemporanea. N°17 .1997 ,pp. 61-78.
- Cazenave, (Jean), « Contribution à l'histoire de vieil Oran », in, **R.A** N°66, 1925, PP.323-368.
- Cazenave, (Jean), « Les présides Espagnoles d'Afrique leur organisation au XVIII^{e} siècle», in, **R.A** (N°63), 1922,
- Cazenave(J), " Les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnol de cette ville (1509-1792),In, RA, n°71,pp.257-299.
- Colombe (Marcel), « Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence », in, **R.A** (N°87), 1943, PP.165-183.

- Cresti (Frederico), « Alger à la période Turque : observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale », in **R.O.M.M** N°44, 1987, PP.127-139.
- De la Primaudi (Elie), « Documents sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1516-1574) », **R.A (**N°20), 1876, PP.136-150.
- De la Primaudaie (E), « Les trois attaques des Espagnoles contre Alger, au XVIII^{e} siècle», **R.A (**N°20), 1876, PP.300-304.
- Deny (Jean), « Les registres de soldes des janissaires conservés à la B.N.A », in R.A, (N°61), 1920, PP.19-46 / 212-260.
- Emerit (Marcel), « Les aventures de thédenat, esclave et ministre d'un Bey d'Afrique au 18^{e} siècle (1772-1782) », in **R.A**,(N°92), 1948, PP.143-184 / 331-362.
- Emerit (Marcel), « Le voyage de la condamine à Alger (1731)», in **R.A**,(N°98), 1954, PP.353-381.
- Emerit ,Marcel, « Description de l'Algérie en 1787 » In ,**RHM** N°4 , Tunis , 1975, PP. 209-215
- Emerit (Marcel), « Un astronome Français à Alger en 1729», in **R.A**,(N°84), 1940, PP.249-256.
- Epalza (Mikel de). «Moriscos y Andalusies en Tunez durante el siglo XVII»
- Al-Andalus N° 34 (1969)-pp247-327.
- Fau (Père de la Mercy), « Description de la ville d'Alger avec l'observation d'une éclipse de lune qui arrive le 13 février 1729 », in **R.A** (N°84), 1940, PP.250-256.
- Frendi ,Mounir, « Trois Voyageurs allemands en Tunisie au XVIII siècle in RHM, N°35-36 Tunis,Juin,,1984, p.85
- GARCIA – ARENAL, Mercedes (1985), «Nota a las traducciones manuscrias de F ximénez en la Real Academia de la Historia», Al-quantara, vol 6.Fase 1-2 p. 526.

- GAFSI (Abd el Hakime) , «Aperçue sur l'ancien palais de Mustafa de Cardenas à Grombalia » en Abdeljalil Temimi (éd) Mélanges louis Cardaillac Zaghouan, FTERST , 1995 , vol ,I.PP.303-318.
- Georges, Yver « Si Hamdan Ben Othman Khoudja », in, R.A(N°57), 1913, PP.96-138.
- GORGUOS, « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el Kebir », In, R.A, n°, 185, pp.52-61.
- Haedo (Fry Diego de), « Topographie et histoire général d'Alger », Traduction (Monnereau et A.Berbrugger), in **R.A** (N°14), 1871, PP.41-498.
- Hantabaat, Don Arnaldo, « Relation général de la consistencia de las plazas de Oran y Mazarquivir le 31 de Décembre 1772 », Trad, Par Pellecat, in, **B.S.G. O**, T.45, 1924, PP.99-130/PP.211-264.
- Kehl (Camile), « Oran et l'oranie avant l'occupation française », in **B.S.G.A.O**, T63, 1942, PP.35-48.
- Kuran, E. ,« la lettre du dernier Dey d'Alger au grand-vizir de l'Empire Ottoman », in, R.A (96), 1952, PP.194-195.
- la Primaudaie, E.de « les Trois attaques des Espagnoles contre Alger, au XVIIIe siècle », in, R.A (N°20), 1876, PP.300-304.
- Lespès, Rene, « Oran, ville et port avant l'occupation Française 1830 », in, **R.A** (N°84), 1940, P.306.
- Pavy,MGR, « La piraterie Barbaresque », in, R.A (N°2), 1857, 1858, P.351.
- Venture de Paradis, « Alger au XVIII^{e} siècle », in, R.A(N°40), 1896, PP.40-42.
- WATBLED ,ERNEST, , « Pachas-Pachas-Deys », in, R.A (N°17), 1873, PP.438-443.
- Walsin, Esterhazy, de la domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, C.Gosselin, 1840.

III. الأطروحات الجامعية

1. باللغة العربية:

- بن حادة، مصطفى، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال كتب الرحلات شارل فليب فالبير نموذجا، مذكرة ماجستير جامعة سيدي بلعباس ،2011-2012.
- شويتام، أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره **1800-1830** ، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الإسكندرية، **1988**.
- عائشة، محمد، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر و دورهم في العلاقات بين الجزائر و دول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس و السابع عشر للميلاد،مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، **2011-2012**.، ص ص **126-130**.
- غطاس، عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن السابع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 1984م/1985م.
- لريبي، إسمهان، الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري (1741-1794) من خلال وثائق مخطوطة، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2005-2006.
- معاشي، جميلة، . الإنكشارية و المجتمع بباياك قسنطينة في نهاية العهد العثماني. رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة،. **2008/2007**
- هلايلي، حنيفي، المورسكيون الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط (الجزائر)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، 1999 – 2000م.
- هلايلي، حنيفي ، النظام الحربي للجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830،أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس ،2004.

2. **باللغة الأجنبية:**

- Belhamissi (Moulay), Marine et marins d'Alger à l'époque Ottomane (1518-1830), Thèse de Doctorat d'état, université de Bordeaux III, Mars, 1986, 4 vol.

الكشافات العامة

الكشاف العام

1. كشاف و الأفراد والأعلام .
2. كشاف الشعوب و الجماعات.
3. كشاف الأماكن والبلدان.
4. فهرس الموضوعات

المدخل إلى الكشافات

لقد توخينا في بحثنا تجزئة الفهارس وأثبتنا كلا منها على حدة، إلى أن وضع هذه الفهارس قد تم بناء على الملاحظات التالية:

- إسقاط الأسماء التي تتكرر في أغلب الصفحات والتي يمكن العثور عليها باستمرار مثل: الرحالة، الأسرى.
- عدم إثبات الأسماء التي تتضمنها الجداول و المنصوصة وبين المعقوفتين، لسهولة التعرف عليها.

1. كشاف الأفراد والأعلام.

– أ–

إبراهيم أغا: 63

إبراهيم داي: 79

أرامبورو: 163.

أكسموث اللورد: 41، 81، 76، 93،

اندري دوريا: 8، 176،185.

– ب –

باننتي:55،57.

باربروجر: 63،62، 173.

بدرو نافارو: 152

بوشناق:نفطالي:117،

بايصونال: 42.

بيار ،بويار:87.

بوتان: 132، 133، 138.

– ت –

تاتفيل دي بوا: 95، 135.

– ج –

جوان كانو، أسقف: 100

.– ح –

.الحسن الوزان : 177، 191،182.

حسن باشا ابن خير الدين: 63، 170، 187.

حمدان خوجة: 67، 95، 34، 59، 104، 124.

– خ –

خير الدين بربروسة: 27، 40، 175، 183، 185.

– د–

دوغرامون : 89

دافيد بكري: 303.

دان، الأب: 44، 57، 58.

دارندا:61.

دوكيرسي: 123، 124.

دوني،جون: 62

دوفال، قنصل فرنسي: 118،

دي بو رمون: 102.

ديسفونتان: 183.

دي بوا تانفيل: 132.

– ر –

روسو:41

– س –

سانت أندري، قنصل: 128

سرفانتيس،ميغال: 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172،200.

سليم الأول، سلطان عثماني:46.
سعد الله: 56،139.

– ش –

شارل الخامس، شالكان: 70، 161، 173، 176،185، 186، 187.
شارل العاشر: 117، 119، 144.
شايو، لوسيان: 85،87
شاو الدكتور: 106.

– ع –

.
عروج بربروسة: 10، 40، 51، 71، 74، 75، 120، 160، 183.
عمر باشا ،داي: 83
علي بتشين: 73
علي خوجة، داي: 85
علي بوصبع، داي: 29.
علي علج، باشا: 14، 62، 74، 75، 150.

– ف –

فاليير،قنصل فرنسي:75، 81، 85،100
فرانشيسكو: راهب: 199، 200، 203، 203.
فليب الثاني: 43، 127.
فليب الخامس: 162، 163
فاليخو: 157، 159، 160، 200.
فانتوري، دي بارادي: 49، 50، 55، 61، 62، 82، 83، 121، 124، 142، 147، 160.

– ك –

كاستري:قنصل: 87
كولي: 140، 144.
كوهين بكري: 117، 306.

– ل –

لوجي دي طاسي: 48، 57.
لوميرروني، قنصل: 73
لويس الثالث عشر: 45
لويس الرابع عشر: 45
لويس السادس عشر:121.

– م –

مالغور : راهب: 201.
محمد رسول الله عليه الصلاة و السلام: 199
محمد بن عثمان باشا، داي: 78، 86، 117، 118، 119، 215، 335.
محمد الكبير،باي: 159، 161
مصطفى باشا،داي: 95، 175.
مارمول: 183،184،186،187،195،199.
مايفريد ، جوزيف: 85 ،88
مصطفى بوشلاغم، باي: 140.
مصطفى الأحمر المسراتي، باي: 142.
مصطفى بن يوسف المسراتي، باي: 142. 293.

– ن –

نابوليون الأول: 49، 116، 121، 130، ، 134،135، 137.

نورالدين، عبد القادر: 62

نيكولاي: 57.

– هـ –

هلايلي،حنيفي: 97

هنتبات: 158.

هايدو: 43، 60، 76، 81، 153، 160، 169، 173،175.

– و –

الونشريسي : 179.

وليام شالر: 103.

– ي –

يعقوب بكري: 117.

يوسف بن مصطفى بوشلاغم، باي:185.

.

2- كشاف الشعوب و الجماعات

– أ –

أل بوربون، أسرة ملكية: 109، 116.

الإسبان: ،79،151، 155، 158، 159، 166، 167، 179، 186.

الأتراك: 86،90،104، 153، 177، 185، 186،187،188،189،190، 191.

الأندلسيون : 71، 152، 153.

الأوروبيون: 41، 53، 56، 59، 70، 75، 79، 80، 96، 102، 104،148، 174.

– ب –

بنو ميزاب: 63

بنو عامر: 178.

البسكريون : 125

.

– ج –

جماعة الثالوث المقدسة:44، 45، 46،.79، 170، 199.

الجزائريون: 43، 44، 57، 71، 94، 102، 104، 157،158، 162، 172، 173،175.

– د –

الدنماركيون: 95.

– ط –

الطولونيون: 111

– ع –

العثمانيون: 43 ، 148، 153

.

الفرنسيون: 33، 73، 75، 115، 127، 88، 131، 155.

– م –

المسلمون: 43، 53، 54، 57، 156، 159، 171،180.

المسيحيون: 122، 59، 90، 99، 127، 166، 169، 202.

المغاربة: 23، 159،.
الموريسكيون: 152، 153، 156، 202.

– ن –

الإنجليز : 109، 116،
النصارى: 56، 159.

– ي –

اليهود : 160، 203.

3. كشاف الأماكن والبلدان

– أ –

إثيوبيا: 43،177.
أزمير : 134.
إسبانيا: 70،108، 112، 151،153، 156، 162، 166، 168، 181، 182،204.
اسطامبول: 49، 14، 53، 58، 76، 81، 148.
.إفريقيا: 9، 31، 48، 51، 200.
إكس أون بروفانس: 87.
إكس لاشابيل : 117.
الأندلس: 70، 176.
ألبانيا :166.
انجلترا: 73، 77، 95، 108، 201، 202.
إيطاليا : 165.
أوروبا: 42، 53، 109،54

– ب –

الباب العالي: 73.
بجاية: 152، 153،181، 186.
البرتغال : 108.
برشلونة: 205.
بروسيا :117.
.البحر الأبيض المتوسط:60، 61، 64، 69، 70،. 71، 73،109، 115، 131.
البندقية : 97، 148، 180.
باريس: 41، 44، 45، 48، 49، 50، 123،134
بولونيا : 148.
البنيون:153.

– ت –

تلمسان: 41، 30، 36، 37، 164،156،180، 182، 183، 184، 192، 198،193.
تنس: 139،192،179.
تونس: 41، 45، 49، 133، 153، 154، 187.
التيطري: 25، 37.

– ج –

جبل طارق: 96، 108، 185.
الجزائر:86،87،88،89،90،92 ، 93، 96، 97، 101، 106، 109، 111، 112، 115، 116،117، 124، 126، 128، 130،129.، 131، 133، 134، 136، 138، 139، ة140،

141، 142، 144، 148، 149، 153،162،
173ن 174، 176، 183، 198، 199.
جزر البليار: 144.
جنوة : 202.
– د –
دار السلطان:92.
دلس: 92، 152.
– ر –
رأس الرجاء الصالح: 73.
– س –
سردينيا : 118.
سرقسطة : 200.
سيدي فرج: 123، 128.
.
– ش –
شرشال : 92،139، 152،195.
شمال إفريقيا: 72، 42، 44، 151، 152.
– ص –
صقلية: 175.
الصحراء: 176.
– ط –
طرابلس:88، 151، 152، 153.
– ع –
عنابة: 115،، 199.
– غ –
غرناطة: 43، 152.
– ف –
فاس: 41، 135، 187،177.
فرنسا:49، 81، 102،109، 110، 115، 117، 118، 119، 120، 121، 124،122، 125، 126، 130، 131، 135، 137، 138، 140، 143، 148،180.
– ق –
القالة : 115.
القل: 115، 197.
قسنطينة :92، 189، 190.
القسطنطينية : 134.
– ك –
كانديا:88
– ل –
ليفورنة: 95،202.
– م –
مايورقة : 205.
مدريد : 169.
المدية: 92.
مدريد: 200.
متيجة: 92.
المرسى الكبير: 154، 155، 157، 163، 164ن 179، 180،196.
مرسيليا: 88،89

مراكش: 41
مستغانم : 152، 164.
معسكر: 27، 28، 105، 106، 180، 189، 190، 191، 192، 194، 202، 245، 251، 261، 274.مصر: 43، 49، 120، 125.
المغرب الأوسط: 8، 10، 115، 153، 178، 189، 191، 193،198.
المغرب الأقصى: 135.
المغرب الإسلامي: 178.
المغرب العربي : 127، 142، 150.
مالطة: 57.
مليانة : 194.

– ن –

ندرومة : 193.
النمسا : 117، 148.

– هـ –

هولندا : 202.
هنين : 192، 194.

– و –

وادي الحراش: 135، 145، 161.
وهران: 152، 153، 154، 155، 157، 158، 161، ، 164، 179، 193،180، 195ن 196.

– ي –

اليونان : 139.

فهرس الموضوعات

الإهداء	الصفحة
المختصرات	
المقدمة	أ - ك
فصل تمهيدي : ظروف وعوامل تأسيس إيالة الجزائر	14
أولا: اتساع ظاهرة القرصنة البحرية	16
ثانيا : تحرير ثغور المغرب الأوسط و جهود العثمانيين	18
أ.عروج	19
ب.خير الدين	20
ثالثا: **الجهود الرسمية للدولة العثمانية**	22
رابعا: التمزق السياسي للإمارة الزيانية في المغرب الأوسط	22
1- صد العدوان الإسباني	23
2- ظهور معالم الكيان السياسي للجزائر	24
1- مرحلة الارتباط المركزي بالخلافة العثمانية	24
الفصل الأول: انطباعات و ملاحظات الأوروبيين حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني	34
أولا: الدوافع السياسية :	34
- الجوسسة	34
ثانيا : الدوافع الانسانية والدينية	37
ثالثا: الدوافع العلمية	38
رابعا : الدوافع السياحية والثقافية	40
خامسا : مؤلفات الرحالة و المغامرين و الجواسيس و رجال الدين	42
مارمول كاربخال	42
2- فراي دياقو دي هايدو	42
3- الأب بيير دان	43

4- لوجيي دوطاسي	**46**
5- فونتوردي بارادي	**47**
سادسا : طبيعة الكتابات الأوروبية و قيمتها الإخبارية	**51**
لفصل الثاني: صورة الجزائر العسكرية في الكتابات الفرنسية و الإسبانية	**60**
أولا : البنية العسكرية من خلال الكتابات الفرنسية و الإسبانية	**58**
أ.الثكنات:	**58**
ب.الرتب العسكرية	**65**
ثانيا : رياس البحر	**67**
أ. المجندون في الأسطول الجزائري	**70**
ب. **وكيل الحرج**	**72**
ج. **القبودان**	**73**
د. **واردیان باشي**	**74**
ثالثا : الأسطول	**75**
1.الأسرى المسيحيون	**76**
2.الأتاوات و الهدايا الإلزامية	**77**
3. الرواتب	**80**
الفصل الثالث : صورة الجزائر العثمانية في ضوء ملاحظات فالبير و مايفريد	**86**
أولا : الصورة السياسية للجزائر في كتابات فالبير	**88**
1- **الوزراء وضباط الإيالة:**	**88**
2- **الديوان**	**91**
3- **الباشا الحاكم الأكبر**	**91**
4- **تقسيمات الأيالة**	**91**
5- **الأمن و الشرطة**	**93**
ثانيا: **ملامح** الاجتماعية: عادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر	**95**
1.شارل فيليب فالبير ومدينة الجزائر	**98**
2.اللّغة	**102**
3.مستشفى الجزائر العاصمة	**102**

4 . التربية والتعليم	102
ثالثا: الملامح الاقتصادية	104
1. التجارة	104
2.الزراعة	105
رابعا: الملامح الدبلوماسية : الجزائر والسلام الأوربي	107
1. الأوربيون والحرب مع الجزائر	107
2. علاقات الجزائر بفرنسا من خلال نظرة القنصل فالبير	108
خامسا : انطباعات مايفريد في الجزائر 1762-1781	110
الفصل الرابع: المشاريع الفرنسية للاحتلال الجزائر من خلال مذكرات و تقارير الجواسيس و المبعوثين الدبلوماسيين	115
أولا : جذور المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر	120
ثانيا :المشاريع الفرنسية من سنة 1782م ألى 1801م.	121
1- مشروعي دوكيرسي 1782م – 1791م)	121
2- مشروع لوماي 1800	125
3- مشروع ديبواتانفيل الأول	127
4- المشاريع الفرنسية في سنة 1802م.	127
5- مشروع جون بون سانت أندري 1802	127
6- مشروع تيدينا 1802	129
7- مشروع بيرج 1802	131
8- مشروع هولان 1802	131
ثالثا : المشاريع الفرنسية من سنة 1808م إلى 1809م.	133
مشروع بوتان 1808	133
مشروع ديبوا تانفيل الثاني	135
رابعا : المشاريع الفرنسية في عهد شارل العاشر	137
خامسا : المشاريع الفرنسية في سنة 1827م.	138
أ- مشروع كلير مون تونير	138
ب- مشروع باربي دوبوكاج	139
ج- مشروع لوفيردو	140

د- مشروع ليني دوفيلفيك	140
هـ- مشروع كولي كولي	141
و- مشروع دوبوتي تووار	142
ز- مشروع شابرول	143
سادسا : **مشروع بيار دوفال**	143
سابعا: المشاريع الفرنسية من سنة 1828-1829	143
أ- مشروع دي لافروني	143
ب- مشروع اللجنة العسكرية	144
ج- مشروع دولا بروتونير	145
د- مشروع بيار دي فال	146
الفصل الخامس: صورة الجزائر السياسية و العسكرية و الاقتصادية في الكتابات الإسبانية	148
أولا : الكتابات العسكرية حول الاحتلال الإسباني :	154
ثانيا : كتابات الأسرى الإسبان	164
1- ***ميغال دي*** سيرفانتيس سافيدرا	164
2- ديغو دي هايدو	172
3- **مارمول كربخال**	176
أ- الحياة الاقتصادية بالجزائر	191
أولا: الزراعة	191
ثانيا: الصناعة	193
ثالثا: التجارة	195
رابعا: الضرائب	196
ب: الجهاد البحري	196
ج : الحياة الاجتماعية بالجزائر	197
د: الحياة الثقافية بالجزائر	198
ثالثا : الجزائر في عيون الإسبان في ضوء الراهبين فرنشيسكو خيميناث و مالغور غارثيا نفاراو	199
2- السكان في أيالة الجزائر:	202
3- الأسرى الأوروبيين	204
الخاتمة	208

الملاحق	212
قائمة المصادر و المراجع	233
الكشافات العامة	248
1- كشاف الأفراد و الأعلام	251
2- كشاف الشعوب و الجماعات	253
3- كشاف الأماكن و البلدان	254
4- فهرس الموضوعات	257

ملخص الأطروحة

هذه الأطروحة ترتكز على إبراز الأنشطة الدعائية التي كان يقوم بها الأوروبيون المقيمون في الجزائر و على رأسهم رجال الدين و المبعوثين الدبلوماسيين و الرحالة و إبراز كتاباتهم حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.و أبرز أليات النشاط الدعائي و أهدافه سجلته مذكراتهم و تقاريرهم العدائية ضد الجزائر و أمتها، و تتمحور في النقاط التالية:

- تصوير حياة و معاناة الأسرى الأوروبيين في الجزائر ، مع نسيان أسرانا في الجهة الأخرى.
- أسباب اعتناق الأسرى الأوروبيين للإسلام بمدينة الجزائر.
- الطعن في معتقدات الأمة الجزائرية و السخرية من الشعائر الإسلامية.
- تصوير الجزائر على أساس أنها وكر للقرصنة و أمة متخلفة.

لقد تكالبت الدول الأوروبية ضد الجزائر وبخاصة في الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وقادت حملات عسكرية ضخمة، كما عملت الكنيسة على مباركة هذه الحملات في إطار تجدد النزعة الصليبية، وبفضل فعالية التنظيم الدبلوماسي لإيالة الجزائر تمكنت من إبرام عدّة اتفاقيات ومعاهدات مع الدول الأوروبية عامّة وفرنسا خاصة.إنّ الفترة العثمانية لم تلق العناية الكفاية من الباحثين الجزائريين، فبقي الجانب الدبلوماسي مرتبطا برؤية الطرف الفرنسي المعادي للجزائر، الذي كان الغرض الأساسي منها الوصول بالقارئ إلى فكرة مردها أنّ الفترة العثمانية ليس فيها ما يكسب الجزائر شخصية وطنية وكيانا سياسيا، ونظاما اقتصاديا، وأطرا دفاعية، فالكتاب الأوروبيون وغيرهم يركزون فقط، على ما وصفوه بالقرصنة وتجارة الرقيق.

الكلمات المفتاحية:

الجزائر–الأوروبيون–المغامرون–رجال الدين–الرحالة–الدولة العثمانية

Thesis Summary :

This thesis is based on highlighting the propaganda activities that were carried out by Europeans living in Algeria, led by clerics and envoys, diplomats and travelers, and to highlight their writings on the history of Algeria during the Covenant Alosmana.o highlighted the mechanisms of propaganda activity and objectives recorded their memoirs and hostile reports against Algeria, nation, and centered on the following points:

- Portray the lives and suffering of European prisoners in Algeria, with forgotten our prisoners on the other side.
- Reasons to hold prisoners Europeans to Islam in Algeria.
- Challenge the beliefs of the Algerian nation, and the irony of Islamic rites.
- Photo Algeria on the basis of it a den of piracy and underdeveloped nation.

European nations have assailed against Algeria, particularly in the period of the eighteenth century and the beginning of the nineteenth century, and led a massive military campaigns, as the church worked on the blessing of these campaigns in the framework of a renewed trend crusade, thanks to the effectiveness of diplomatic regulation of Aaalh Algeria managed to conclude a number of agreements and treaties with General European countries, France Khash.an Ottoman period did not receive care enough Algerians researchers, remained diplomatic side keyed to see the French hostile party of Algeria, who was the primary purpose of which the reader access to the idea due to the Ottoman period, none of which earns Algeria national figure and political entities, and economic system, and frameworks defensive, Scripture Europeans and others are focusing only on what they described as piracy and the slave trade.

key words:

Algeria-Europeans-adventurers- Pilgrim- Monks- Ottoman Empire